

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة-

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية



الثقافة السياسية عند جورج أرويل -رواية مزرعة الحيوان
ورواية 1984 أنموذجا-

مذكرة مقدمه لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د. في الآداب واللغة العربية.

تخصص: أدب عام ومقارن

إشراف الأستاذ الدكتور:

جمال شوالب

إعداد الطالب:

مهدي ماط

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	المؤسسة
أ.د. قربوع عزوز	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة-
أ.د. شوالب جمال	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة-
أ.د. وليد بوعديلة	ممتحنا	أستاذ التعليم العالي	جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة-
أ.د. نسيمة علوي	ممتحنا	أستاذ التعليم العالي	جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة-
أ.د. رشيد قريبع	ممتحنا	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة 1
أ.د. علي خفيف	ممتحنا	أستاذ التعليم العالي	جامعة باجي مختار -عنابة-

السنة الجامعية: 1444/1445 هـ - 2022/2023 م



مقدمة

يعتبر الأدب من أكثر الفنون الشائعة التي اهتم بها الإنسان منذ القدم لاهتمامه بالقضايا الإنسانية العليا، كما يتيح للإنسان معرفة ما بداخله وما يجري حوله، ويمكن القول أن الأدب قراءة متأنية للواقع الذي يرصده.

وتعتبر الرواية من أكثر الأجناس الأدبية استيعاباً لما يدور في العالم في شتى ميادين الحياة، كونها تجيب عن مختلف الأسئلة التي يطرحها الإنسان، فبقدر ما هي جنس أدبي يندرج تحت مظلة الأدب، فإنها استطاعت أن تقفز داخل جل العلوم الأخرى، وذلك بسبب طبيعتها المرنة، والزبقية التي تنساب داخل كل شيء، وربما هذا ما جعل مختلف الدارسين يتعثرون في تقييدها ضمن تعريف جامع يوفي قدرتها الجاملة لمختلف العلوم وباقي الأنواع الأدبية.

ومثل الرواية، كذلك السياسة، فشلت كل محاولات حصرها في تعريف واحد، كونها تتدرج أيضاً في كل مجالات الحياة، فجاء جورج أورويل المؤلف الروائي والكاتب السياسي، فزواج بين السياسة والرواية في كتابته الإبداعية، ملقياً بثقافته السياسية على أكبر قدر من القراء، بتعدد مستوياتهم الثقافية، ومشاربهم السياسية.

فالقارئ الذي يملك بين يديه كتابات جورج أورويل يدرك مباشرة أن السياسية لم تكن أبداً بمعزل عن حياته في مختلف جوانبها، كما يدرك أن العالمية التي حققتها رواياته قيد دراستنا لم تكن مجرد خيال علمي تطرق إليه الكاتب من أجل إشباع رغبات نفسية دفينه، كما لم تكن مجرد إضافة عادية إلى مكتبة الأدب العالمي، بل كانت استيقاءً مباشراً لتلك الفجوات الدقيقة داخل الأنظمة السياسية التي عاصرها، حيث كشف عبرها مواطن الأورام الخبيثة التي تنهشها، فتحولها إلى أنظمة شمولية لم يسبق للعالم معرفتها.

وبالرغم من تلك التصنيفات النقدية التي جعلت من أعماله روايات ديستوبية تصف العالم دون مساحيق التجميل، إلا أنها في الحقيقة تعتبر وصفاً مثمراً من سياسي محنك لواقع الأنظمة الشمولية المستقبلية، فهو يرى أن الهدف من الكتابة الروائية تحويل السياسة إلى فن والحصول على أكبر قدر ممكن من القراء، كما يرى أن الأدب ملازم للسياسة وكل قول يحاول عزل الأول عن الثاني هو فعل سياسي في حد ذاته.

والمقصود بالثقافة السياسية في بحثنا تلك الممارسات الدالة سياسياً أو التي لها دوافع سياسية، نقدمها في صبغتها الموضوعية، لهذا عندما نبحث لاحقاً عن هذا الموضوع عند جورج أورويل فإننا نبحث في المجتمع الذي خلقه داخل النص الأدبي ودوافعه السياسية ومحركاته بكل ما يحمله مصطلح الثقافة من زخم.

الفصل الأول: جاء موسوما بالشخصية الروائية والمرجعية السياسية عند جورج أورويل، تطرقنا فيه إلى مفهوم الشخصية، والمرجع الشخصي في رواية مزرعة الحيوان، ورواية 1984.

الفصل الثاني: كان معنونا برؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في الروايتين، وقد تضمن دراسة عن رؤيته للنظام الديكتاتوري في رواية مزرعة الحيوان الذي ظهر على شكل ديكتاتورية البروليتاريا، ثم رؤيته للنظام الشمولي في رواية 1984.

الفصل الثالث وسمناه بالزمكان والحس السياسي عند جورج أورويل، وفيه نتتبع طرق تشكل الزمن السياسي في كلا الروايتين، وعلاقة الحرية بالمكان في رواية 1984.

أما الفصل الرابع حمل عنوان آليات التحكم الشمولية في رواية مزرعة الحيوان، ورواية 1984، وهذه الآليات هي على التوالي: السلطة، التحكم في التفكير عبر اللغة، الدعاية، مجتمع دون طبقات، آلية الجنس وبناء الأسرة في النظام الشمولي.

وكانت الخاتمة إجابة عن إشكالية البحث، وجملة من النتائج المترتبة عن الممارسة الموضوعية للدراسة.

وخلال رحلة البحث هذه خدمتنا مجموعة من المراجع والدراسات السابقة هي:

- كتاب الدعاية والحرب النفسية لمحمد عزة اللحام وآخرون.
- كتاب أسس التوتاليتاريا لحنة إردنت.
- كتاب الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي لإمام عبد الفتاح إمام.
- دراسة السجين السياسي لعلي منصور.
- كتاب أصول الفلسفة الماركسية لجورج بوليتزر وآخرون.

ولا بد هنا أن نشير إلى أن بحثنا لم يخلوا من الصعوبات التي لعل أهمها صعوبة ترتيب خطة البحث، وصعوبة تتبع الثقافة السياسية في الروايتين، لأنها تحتاج إلى قارئ محيط بعلم السياسية، وملما بالمعارف التي قد يكون الكاتب عايشها وتأثر بها.

مدخل: ضبط المفاهيم.

1- مفهوم الثقافة (culture).

1-1 لغة (مقاربة لغوية)

2-1 اصطلاحا (مقاربة اصطلاحية)

2- مفهوم السياسة (politiqué)

3- الثقافة السياسية .

4- الرواية السياسية .

1-4 أسباب استحضار الرواية السياسية.

2-4 مميزات الرواية السياسية .

5- النقد الثقافي .

1. مفهوم الثقافة (culture) يعتبر مصطلح الثقافة من المصطلحات التي لقيت رواجاً، وتعدداً في تقديم مفهوم لها، إذ نجد أن كل نظرية من النظريات التي تطرقت لها، تعرفها على حساب المجال الذي تنتمي إليه، وقبل الخوض في مفهومها الاصطلاحي، نقف على مفهومها اللغوي.

1.1 الثقافة (مقاربة لغوية):

جاء في لسان العرب أن الثقافة من الجذر اللغوي (ث ق ف) "وثقف الشيء ثقفا وثقافاً، وثقوفة، حذقه، ورجل ثقف، ثقف وثقف، حاذق منه، واتبعوه فقالوا ثقف، ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم، ثقفت الشيء حذقته، وثقفته، ظهرت به، وثقف الرجل ثقافة، أن صار حاذقاً حقيقاً، ومنه المثاقفة، وثقف الرجل ظفر به"¹.

وفي قاموس المحيط جاء "ثقف، ككرم وفرح، ثقف وثقفاً، وثقافة، صار حاذقاً خفيفاً فقلنا، فهو ثقف"².

فالثقافة في معناها اللغوي إذن تفيد الحذقة والفطنة وسرعة الفهم.

2.1 الثقافة (مقاربة اصطلاحية):

نجد أن كلمة ثقافة "ظهرت لأول مرة عند (غوستاف كليم goustave klemm)، حيث أنها "تشتمل على العادات والمعلومات والمهارات والحياة المنزلية والعامة، في أوقات السلم والحرب"³.

أما (إدوارد ثيلور Edward Tylor)، فقد استخدم "مصطلح الثقافة في عنوان كتابه: الثقافة البدائية (Primitive culture)، حيث صاغ أكثر تعريفات الثقافة شيوعاً على الإطلاق، والذي ينص على أن الثقافة إذا أخذت بمعناها الأنثروبولوجي الواسع، هي ذلك الكل المركب، الذي يشتمل على المعرفة والفن، والأخلاق، القانون، العادات، وإلى قرارات ومعارف يكتسبها الفرد بصفته عضواً في المجتمع"⁴.

ويذكر (ماثيو أرلوند M-Arnold)، أنها "العلاج الأكبر والحل الأنجع لجميع مشاكل حياتنا الحاضرة، وصعوباتها، لأن الثقافة هي السعي من أجل تحقيق الكمال الكلي، عن طريق الاكتساب المعرفي في جميع الأمور التي تتعلق بنا، والسعي من أجل الوصول إلى أفضل ما يقال، وأفضل ما يعتقد في هذا العالم، ومن خلال هذه المعرفة، والبحث عن عادتنا

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، مج 3، 1994، ص19 (مادة ث-ق-ف).

² - الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، مج3، 1999، ص162.

³ - عبد الفتاح محمد العقيلي، الثقافة والنقد الثقافي، كلية الآداب، جامعة أمانيا، (دب)، (د ت)، ص01.

⁴ - عبد الفتاح محمد العقيلي، الثقافة والنقد الثقافي، ص03، 04.

المختزنة وتقاليدنا الموروثة وأفكارنا المعتقدة"¹، لتصبح بهذا سلوكا إنسانيا يساهم في اكتساب معارف واعتناق أفكار ومعتقدات.

- وعليه يمكن أن نستنتج معنيين للثقافة:

الثقافة بالمعنى "الذي استقر وتداوله الباحثون، وهي أنها تشتمل على كل مناشط الحياة، وخاصة النشاطات الجمالية، المؤثرة في طريق السلوك المادي والمعنوي، والمعنى الثاني: الثقافة النقدية ومنجزاتها التي صاحبت نهايات القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين"².

من هنا بدأت الثقافة تحظى بالاهتمام على الصعيد العالمي، وبين الآداب، ليصبح موضوعا قائما بذاته "ويتطور وينمو، ويأخذ أبعادا وأشكالا لم تكن موجودة من قبل، إنها طريقة تفكير، وأنماط وسلوك وتضم مؤسسات اجتماعية، وسياسية، وما يعيشه المجتمع من انفتاح وانغلاق"³.

ومن بين أكثر التعريفات وضوحا ما جاء عند (روبرت برستد Bersed Robert)، بقوله: " أن الثقافة هي ذلك العمل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله، أو نمتلكه في مجتمع"⁴.

وعليه فالثقافة تعكس تفكير مجتمع، تفكير حضارات، "تقترب من واقع الناس وحالاتهم المتقلبة والمنفعلة بتحول الأوضاع، وتغير الظروف المحيطة"⁵، عبر ذلك التواصل الإنساني الذي يميل إلى الظهور في شكل معين وعبر مجموعة من المعطيات، فما هي " إلى التمثيل الفكري للمجتمع، فهي تحرك بالمجتمع وكافة أبعاده المادية والمعنوية"⁶.

كما تعتبر الثقافة عبارة عن "نمط منسق ومتربط من الرموز، والتقاليد، والأفكار والقيم والمعايير والمعاني، ينتقل ويتكاثر عن طريق وراثي، غير جنسي"⁷، أما بشأن " السلوكيات، فهي منتقلة عبر الأجيال، بفعل التوارث، مجال التواصل متعدد اللغات، لأنها تساعد على تصور وحدة إنسانية"⁸.

¹ عبد الله حبيب التهمي، سحر كاضم، حمزة الشجيري، صيرورة النقد الثقافي عند الغرب، كلية الآداب، جامعة بابل، (دب)، (دت)، ص 09.

² محمد عبد المطلب، القراءة الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 2013، ص 11.

³ محمد لافي اللويش، جدل الجمالي و الفكري، قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغدامي، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 119.

⁴ المرجع نفسه، ص 123.

⁵ محمد معتصم، دراسة في الرواية العربية المعاصرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2014، ص 13.

⁶ حسين الصديق، الإنسان والسلطة، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2011، ص 17، 18.

⁷ لاحنر فوج، الانتخاب الثقافي، تر شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005، ط 1، ص 338.

⁸ ينظر، ماثيو غديير، مجلة الآداب العالمية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2009، ع 140، ص 45.

وثقافة الفرد مرتبطة بثقافة أمته ونموها، لتصبح بهذا "ثقافة المجتمع هي الأساسية"¹، باعتبارها تميل إلى إعطاء معطيات مطلوبة تمثل طبيعة التفكير في المجتمع.

كما أنها تطرح مفهوم المجتمع، قصد إظهار ذلك التباين، بين زمنيين مختلفين، ما يعني أن الثقافة، "قد أخذت بالاتجاه نحو الخاص والتدقيق، وأصبحت معرفة اصطلاحية، هي أقرب ما يكون للفلسفة، والفكر"²، لأنها تناولت قضايا عميقة لا سطحية في بنية المجتمع، وبهذا تصبح ذات طابع عمومي جماهري، تكتسي حلة حضارية وفكرية في طياتها.

2. مفهوم السياسة (politics):

لتوضيح مفهوم السياسة لا بد من الفصل بين المفهوم اللغوي و الاصطلاحي:

1.2 السياسة (مقاربة لغوية):

جاء في لسان العرب لابن منظور أن السياسة "مصدر للفعل ساس، يسوس، وساس الأمر سياسة قام به، وسوسه القوم جعلوه يسوسهم"³.

السياسية هنا بمعنى القوامة والرفعة.

في قاموس المحيط جاء "سست الرعية أي أمرتها ونهيتها، وقال ابن حجر "يسوس الشيء أي يصلحه"⁴.

فمفهوم السياسة من الناحية اللغوية يعني الإرشاد والهداية ويفيد الرياسة والقيادة والقيام بشؤون الرعية، وبالتالي فهو يفيد معنى الحكم.

2.2 السياسة (مقاربة اصطلاحية):

نجد كلمة سياسة في اللغة الإنجليزية (politics)، والفرنسية (politique)، مشتقة من ثلاث كلمات لاتينية، وهي:

¹-بت أليوث، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، شكري عياد، دراسات في الأدب والثقافة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2009، ص18.

²- محمد عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص74.

³- ابن منظور، لسان العرب، ص429، مادة (س ا س).

⁴- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2، ص220، مادة (س ا س).

-(polis): وتعني المدينة، وقد كانت المدينة هي الوحدة السياسية في اليونان القديمة، حيث عرفت اليونان آنذاك، ما أطلق عليه اسم دولة المدينة (city-stite).

-(politic): وتعني الأشياء السياسية، والمدينة النظرية، وكل ما إذا ذكر تبادر إلى معنى السياسة، كالدستور والحكومة، والسيادة، وغير ذلك من الكلمات.

-(polikike): وتعني السياسة كفن أو ممارسة يقوم بها السياسيون¹.

كما عرفت السياسة على أنها "معركة مستمرة، تتمثل في الصراع على القوة"²، وهذا الاتجاه يمثل الصراع المستمر من أجل السلطة والحكم كطريقة للحصول أو الحفاظ عليها.

وهناك من يرى أن السياسة هي " فن حكم البشر عن طريق خداعهم، والسياسة هي المكر والخداع، وكلما كان السياسي مخادع، كلما كان ناجحاً وقادراً على الاحتفاظ بالسلطة لفترة أطول"³.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تستطيع القول عن السياسة أنها بالنسبة للعامة تعني أساساً الحياة السياسية، والصراع حول السلطة.

ونجد "تروسكي" (Trotsky) يعرفها على أنها النشاط الاجتماعي، المرتبط على نحو وثيق بالكفاح من أجل السلطة، وعند (جورج كلاوس) (George Claus) الصراع بالدرجة الأولى بين الطبقات حول السلطة الاقتصادية والدولية، بهدف استخدام سلطة الدولة، وذلك لتحقيق مصالح الطبقة والدفاع عنها"⁴، أي أنها ترتبط بالمفهوم الاشتراكي، وهي تعرف بالصراع الطبقي الاقتصادي.

والسياسة عند "غولد شليخر" (Gold Schleicher) : "توجيه حياة المرسل إليه وسلوكه الاجتماعي، ووضعه تحت تأثير المرسل والسلطة"⁵، وهو مفهوم واسع وشامل، يحدد سلطة الحاكم والمحكوم.

كما ذهب العديد من المفكرين إلى أن للسياسة مفاهيم عدة "وتكون الأيديولوجية أحد فروعها، ويفرقون بين علم السياسة، والفلسفة السياسية، والسياسة، وما يهم هو مجال

¹ - حسن سيد سلمان، المدخل إلى العلوم السياسية، جامعة إفريقيا العالمية للطبع والنشر، الخرطوم، 2016، ص 05.

² - حورية توفيق مجاهد، التكرار السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2016، ص 310.

³ - مجموعة من الأساتذة، مبادئ العلوم السياسية، (د.د)، القاهرة، مصر، (دط)، 1992، ص 04.

⁴ - محمد علي تحمر، أصول الإجماع السياسي، السياسة والمجتمع في العالم الثالث، دار المعرفة، الجامعية، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 17.

⁵ - عمر أوقان، النص والسلطة، دار إفريقيا الشرق، (دب)، ط2، 1994، ص 17.

السياسة الذي يتمثل في أسلوب الحكم، وطريقة الإدارة السياسية، وكيفية صنع القرار السياسي وتنفيذه، وذلك من خلال المؤسسات السياسية الحاكمة والمعارضة¹.

وذهب بعضهم على أنها "علم حكم الدول، أو دراسة المبادئ التي تقوم عليها الحكومات، والتي تحدد علاقاتها بالمواطنين وبالدول الأخرى"².

وعلى أنها أيضا "علاقة القوة بين الناس"³.

ولابد للإشارة أن مصطلح السياسة قد لقي تطورا، إلى أن أصبح نسقا اجتماعيا شاملا، وعملية معقدة، ولم يعد يشمل قضية، وإنما اسم نطاقه مما شكل رؤية جديدة للسياسة، فقد أصبحت مسؤولة عن كل ما يحدث للوطن والإنسان⁴، لأنها هي من تحدد نوع العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، وبالتالي تشارك في تحديد معاملاتهم.

3. الثقافة السياسية (Political Culture):

إن الحديث عن الثقافة السياسية بمثابة رسم صورة كاملة عن ثقافة وقيم الشعب داخل المجتمع، ومدى ترابطه وتوحده من تفككه، ومدى ولائه وانتمائه للنظام القائم، ومدى صحة القيم والمعتقدات التي يتبناها الأفراد داخل المجتمع، والتي لها أثرها المباشر، وبشكل كبير على استقرار النظام السياسي داخل الدولة.

وهي في أبسط تعريفاتها تعني "الجانب السياسي من الثقافة، وبهذا المعنى هي تمثل جزء من الثقافة العامة للمجتمع، تؤثر فيها وتتأثر بها"⁵.

كما وأنها "مجموع التوجهات والمواقف والتصورات السياسية للأفراد في سياق علاقاتهم بنظمهم السياسية"⁶، عبر مجموعة من الانطباعات والأحاسيس والتوجهات والمسلّمات، التي تضيف الثبات والاستقرار على السلوك السياسي، وتتداخل في الثقافة السياسية أمور أخرى من نحو المثل والأعراف والتراكم التاريخي، والتجارب السياسية الخاصة للأفراد، وبالتالي هي نتاج لتاريخ المجتمع، وهي محصلة خبرات أفراد المجتمع المكتسبة عبر عملية التنشئة الاجتماعية⁷.

¹ - علي منصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية، أطروحة دكتوراه في الأدب الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2007، 2008، ص29.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - محمد فايز عيدا سعيد، قضايا علم السياسة، دار الطبيعة، بيروت، لبنان، ط1، 2019، ص11.

⁴ - علي منصوري، السجين السياسي في الرواية العربية، أطروحة دكتوراه، ص39.

⁵ - سليم بوسنقيعة، الثقافة السياسية ودور الإعلام في تنشئتها، مجلة الباحث الاجتماعي، (د ب)، ع11، 2015، ص112.

⁶ - وسام محمد جميل صقر، الثقافة السياسية وانعكاساتها على مفهوم المواطن لدى الشباب الجامعي، أطروحة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الأزهر، غزة، 2010، ص22.

⁷ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن الممكن أيضا أن تكون هذه الثقافة السياسية تلك الأنظمة التي غالبا ما كانت المادة الخام التي تكتب عنها الرواية السياسية، كونها لا تلتزم بحقوق الإنسان ولا بحرياته السياسية والمدنية، لهذا كان الأديب في مثل هذه الأنظمة يمثل الوعي الذي يرافع عن المواطنين، ويحارب الأنظمة الشمولية التي ترفض مشاركة المواطنين في الحياة السياسية، وتحد من ثقافته السياسية، وبالتالي فإن الثقافة السياسية هي مصطلح تفسيري يوضح جانبا من أسباب نشأة أي نظام سياسي، فشله أو نجاحه¹.

وبهذا يكون الأدب "حين يعكس رؤية تقدمه للواقع، فإنه يعد ممارسة سياسية بمعنى من المعاني"²، بوصفه عملية إبداعية، معتبرة من مفهوم الشعوب، ووسيلة "توصيلية شديدة الصلة بالمؤسسة سواء كانت أدبية أو غير أدبية، إنه يتطور داخلها وبموازاتها"³، لذا من واجبه التعبير عنها.

وتقاطع السياسة مع الأدب في كونهما يساهمان في تشكل الظاهرة الثقافية، إذا "للعمل الثقافي أنه واجهة للعمل السياسي وامتداد له"⁴، وكذا واجهة للعمل الأدبي، وبهذا يكشف العمل الأدبي على مدلولات ذات ثقافة سياسية.

وعلى العموم فإن الثقافة السياسية لدى أي إنسان "هي عملية مكتسبة وليست فكرية، يكتسب فيها الفرد مجموعة من الاتجاهات والقيم والمعتقدات والمواقف السياسية، وهي عملية مستمرة زمنيا، ابتداء من فترة الطفولة إلى غاية نهاية فترة الشيخوخة"⁵.

وعادة ما يتم كسب كل هذا عن طريق "التنشئة السياسية، وهذا عن طريق مجموعة من المؤسسات، كالعائلة، المدرسة، المسجد، النقابة، وجماعة الرفاق وغيرها، وكذلك البيئة، أي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، فهو يساهم بدور كبير في جعل الفرد، يتبنى موقف ما دون الآخر"⁶.

وتظهر الثقافة السياسية "واقع الحياة السياسية من خلال مظاهر الالتزام أو الاغتراب، أو الخضوع، أو المشاركة، وهي مظاهر قد يطرد عليها بحكم دينامية الثقافة السياسية وتأثرها بالمستجدات على الساحة السياسية والوضع الاجتماعي العام"⁷.

والثقافة السياسية السائدة "مهما كان عملها، هي في الواقع مرآة تعكس منظومة تفاعل الأفراد، باعتبارهم ولاء اجتماعيين، يمارسون التأثير على بعضهم البعض، في إطار أوضاع

¹ - وسام محمد جميل صقر، الثقافة السياسية وانعكاساتها مع مفهوم المواطن، ص23.

² - طه وادي، الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، مصر، ط 1، 1969، ص40.

³ - سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة، والسلطة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص17، 18.

⁴ - المرجع نفسه، ص 43.

⁵ - يوسف حميدوش، منابع الثقافة السياسية في الخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، شركة دار الأمة، (د ب)، ط2013، 1، ص187.

⁶ - يوسف حميدوش، منابع الثقافة السياسية في الخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، ص157.

⁷ - سليم بوسنقيعة، الثقافة السياسية ودور الإعلام في تنشئتها، ص112.

اجتماعية"¹، لذا كان النظر بها (الثقافة السياسية) كعامل بسيط، بين النظام العام السائد ومختلف البنى الاجتماعية المكونة له، وبين السلوك الداخلي في الحياة اليومية، وبهذا تصبح كأداة تنظم العلاقات، فتصوغ الواقع، وتعمل على إجلائه في صور معينة ونتيجة لإحلال أي تغيير فيه، يصبح لا يمد إلى الثقافة السياسية في إيصالها بالواقع، بل وعلى أنها تنسيق عنه، ولهذا لا بد أن تكون هناك ثقافة سياسية تخدم السلطة، أو نظام غير التنشئة الاجتماعية السياسية، تقابلها سياسة معايدة تبحث عن التغيير، بحكم أن النظام ثابت، يقوم على زرع الاستقرار، ويدعم بقاءه في حين تعمل السلطة المضادة على زعزعة وتغييره بحثاً عن وضع آخر.²

وفي ظل هذا الصراع بين الثقافة السياسية، كأداة تفاعلية بين الأفراد الذين يمثلون المجتمع، وبين كونها أداة تخدم السلطة، في فرض نظمها على هؤلاء الأفراد، فيسعى الأدب عموماً، والرواية خصوصاً، إلى طرح واقع الأفراد كما هو، وكذا فضح السلطة القمعية، وما يؤول عن سياسية حكمها التسلطي.

4. الرواية السياسية (The Political Novel):

لما كانت الرواية تعبير عن الواقع الاجتماعي، بكل ما فيه من جوانب مميزة، عن طبيعة الحياة البشرية، كانت السياسة جزء لا يتجزأ من كل ذلك، ولهذا ارتبطت الرواية السياسية ولعبت دوراً هاماً في التغيير الاجتماعي والسياسي، وكشفها بذور التحول السياسي، وتقديمها للشخصيات الإيجابية، المبشرة بالثورة، ولقد وعى الراعون الأوروبيون، معنى ذلك الارتباط بين الرواية والسياسة³.

هذا ما أعطى للرواية السياسة دوراً هاماً وسمح لها بالظهور، "كأداة فنية للوعي بمصير الإنسان وتاريخه، نفسيته ووضعه في المجتمع"⁴.

عموماً تعد الرواية من الأنواع الأدبية التي ارتبطت "ببروز الطبقة الوسطى، إذ يرى لوكاتش أنها الشكل الأدبي الأكثر دلالة على المجتمع البرجوازي الأوروبي، في مراحلها الأولى"⁵، وبهذا عكست جانباً من ذلك النظام السياسي السائد في تلك الفترة.

ويرجع "أرولد كتيل" الرواية السياسية في الأدب الروائي "إلى رواية البيكارسيك"، وهي الرواية التي اخترقت القيم البرجوازية، واخترقت احتمالات جديدة للدخول الاجتماعي

¹ - حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، (دب)، ط3، 1986، ص323.

² - ينظر، مايكل موسون وآخرون، علم الاجتماع السياسي، (تر) محمد غرين صيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص539.

³ - ينظر، أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مذبولي، القاهرة، مصر (دط)، (دت)، ص10.

⁴ - عبد الرحمان منيف، بين الثقافة والسياسة، المركز الثقافي، العربي، ط1، (دب)، 1998، ص167.

⁵ - ينظر، علي منصور، السجين السياسي في الرواية العربية، أطروحة دكتوراه، ص44.

من خلال نموذج البطل المحتال، وهو إنسان من نمط جديد متشرد، ساقط، محتال، خارج التنظيم الهرمي الإقطاعي، المتين، وهذا الإنسان خلافا للغالبية الساحقة من معاصريه، لا يندرج لا في عدد النبلاء، ولا في عدد الرهبان، أي أنه غير منتمي إلى أي مجتمع، وهو فوق كل ذلك بلا جذور، وليس له إقامة محددة، فهو يعيش بطريقة (le picaro) الذكي لأنه لا يملك شيئا لكنه وسيم وفصيح¹.

وتشكل الرواية السياسية "طاقة سياسية واجتماعية هامة، تعبر عن روح الأمة، ومشكلاتها وطموحها"²، لاسيما الرواية الأوروبية منها، هي مصدر هام من مصادر التاريخ السياسي، والاجتماعي، لا غنى عنه الباحثين، في مختلف تفرعات الفكر، وذلك لصرف الكتاب إلى إبراز الواقع المعلوم، والتجاهل للفئات الهامشية، التي ترتبط بالأحداث اليومية، وتتصدر الواقع اليومي ولا يجأ لها المؤرخون، لذلك ركن كتاب الرواية السياسية الواقعية، على حركة البشر، لاسيما الطبقات الدنيا والفقراء، باعتبارهم الشرائح المظلومة بين المجتمع، كما استطاعت الرواية السياسية في ظل الواقعية أيضا، أن تقتحم الواقع اليومي، إذ أخذ أفق الغرابة يصنف شخصيات تبدو واقعية بالمعنى الضيق³.

ولعل اهتمام الرواية بتفاصيل الحياة اليومية، هو ما جعلها من الأجناس الأدبية الملائمة للمدخل السيسولوجي والسياسي، عبر تحليلها، والتعامل مع المتغيرات التي تواجه المجتمع في العالم⁴.

ولابد من الإشارة هنا إلى " أدبية الرواية السياسية، التي لا بد أن تتوافر فيها كل جماليات الرواية، من حيث كونها نوعا أدبيا متميزا، بالإضافة إلى أنها يجب أن تشمل على رؤية سياسية واعية، مع الإشارة إلى أن الرواية السياسية ليست هي التي تحتوي كل أفكار سياسية فقط، بل إن أهميتها تكمن في بنائها الفني، أي في التقنيات الفنية التي يوظفها الروائي من أجل الإلهام بوجود واقع محتمل"⁵.

والعلاقة التي تربط الرواية بالسياسة "لا تحتاج من الدارسين السعي وراء إثباتها، بقدر معرفة درجة التواصل بين الطرفين، ولكن لا يجب أن يذوب الفن في الرواية السياسية، أو العكس⁶، بمعنى أن الرواية يجب أن تحتفظ بجانبها الفني، ولا تتساق كليا خلف السياسة، فتفقد صبغتها الأدبية.

1.4 . أسباب استحضار الرواية للسياسية:

¹ - أرلوند كنيو، مدخل إلى الرواية الإنجليزية، (تر) هاني الراهب، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، سوريا، (د ط)، (د ت)، ج1، ص27.

² - أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، ص07.

³ - ينظر، علي منصوري، السجين السياسي في الرواية العربية، أطروحة دكتوراه، ص56.

⁴ - ينظر، المرجع نفسه، ص03.

⁵ - علي منصوري، السجين السياسي في الرواية العربية، أطروحة دكتوراه، ص13.

⁶ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يمكن لنا أن نلخص أسباب استحضار السياسة في الرواية في النقاط التالية:

- تراجع سقوط الأفكار والصيغ والقناعات التي كانت سائدة، وتغير المناخات السياسية، والنفسية للمعايير والأنظمة الحاكمة على السواء، مما أدى إلى ظهور هذا النوع من الكتابات.

- الرفض والتمرد من جانب المحكومين.

- بروز الخوف والقمع من جانب المحكومين، كما انقطع الحوار بين الطرفين من أجل التواصل والبحث عن تسوية الوضع في ظل النزاعات العميقة.

- لجوء الحاكم إلى رسائل القمع، وبالتالي تثبيط الشعب¹.

لهذا كان العمل الروائي السياسي ينهض من تلك القيم السائدة في المجتمع، ونظام الحكم السائد فيه، ومدى تأثيره في المحكومين.

2.4 . مميزات الرواية السياسية:

يمكن حصرها في الآتي:

- إعطاء أهمية كبيرة للشروط المادية للحياة، السكن، وسائل العيش، ملابس، الانشغالات الدائمة.

- الاهتمام بسرد السير الذاتية للأبطال²، بأسلوب روائي سياسي، الغرض منه فضح عيوب الطبقة الواحدة، وطبقة مع أخرى أقل منها.

- تطور الرواية من تصوير الأزمة الاجتماعية، إلى تصوير الأزمات السياسية، فطرحت الحلول الممكنة، غير تصويرها للواقع، وبالتالي جعل الرواية أداة الحقيقة الاجتماعية، في شموليتها، وأن يكشف ميكانيزماتها العميقة، وهذه الخطوة الجديدة لم تكن الرواية قد عرفت خلال تطورها كاملة³.

- أصبح استحضار السياسة محورا فكريا هاما في الرواية، وكذا نسقا معرفيا يكشف العديد من الدلالات داخل المثل الروائي.

5. النقد الثقافي:

¹ - ينظر ، المرجع نفسه، ص03، 04.

² - حميد الحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص56.

³ - ينظر، علي منصوري، السجين السياسي في الرواية العربية، أطروحة دكتوراه، ص46.

استفاد النقد الثقافي كثيرا من مفاهيم الثقافة والنقد الأدبي، ونشوء "النقد الثقافي عند الغرب، كان مرتبطا ببعض الظروف التي مهدت لنشوءه وظهوره، في الساحة النقدية منها الدراسات الثقافية التي نشأت في الغرب بعد الحرب العالمية الأولى، والتي كانت ترتبط بعلوم مثل: علم الاجتماع، التاريخ، الفلسفة، الأنثروبولوجيا، وقضايا التحليل الاجتماعي والثقافي للشعوب، فضلا عن الدين والنظريات السياسية والاجتماعية"¹.

لنلمس العديد من الطبقات الاجتماعية، التي لم تأخذ آدابها بعين الاعتبار والدراسة، لتتوجه بهذه "الدراسات الثقافية نحو الطبقات المهمشة والمهملة، مما أثر في نشوء اتجاهات نقدية أخرى، بدلا من الاهتمام بالطبقات المهيمنة وأدبها الرسمي"².

وهذا ماساهم في تبلور مفهوم النقد الثقافي، ليصبح نشاطا نقديا معترفا به، مستقلا بذاته وذلك مع "تأسيس مركز (بريمنغهام) للدراسات الثقافية المعاصرة، وبروز مدرسة فرانكفورت، في الأبحاث الثقافية، ذات الطابع النقدي والسياسيولوجي، لتنتشر الدراسات الثقافية بشكل موسع في سنوات التسعين في مجالات عدة بعد أن استفادت من البنيوية وما بعد البنيوية، وتشكلت على صداها نظريات ومذاهب واتجاهات ومناهج نقدية وأدبية، وظهرت في الغرب مجموعة من الدراسات الثقافية لدى " رولان بارت (R. parh)، وميشيل فوكو (M. vocou) وبيير بورديو (B. Bordiou) صاحب المادية الثقافية وغيرها"³.

ليتطور بعد هذا مفهوم النقد الثقافي، ليستهدف "تحليل الشروط المؤثرة والمتأثرة بالثقافة السائدة بالمؤسسات الثقافية ودلالاتها، وهو نقد حضاري واجتماعي يفتح على مجالات من الاهتمام، تغني بنقد الخطاب الثقافي، بحقوله المتنوعة، مستفيدا من مناهج العلوم الإنسانية والفلسفة، والسياسة في الفكر وعلم الاجتماع..."⁴.

واستفاد النقد الثقافي من الدراسات الثقافية (cultural studies) التي تهتم "بدراسة الثقافة البشرية، ويهدف هذا الحقل إلى اختيار مدى تأثير تلك العلاقة بين الممارسة الثقافية والسلطة، بأشكال الممارسات النهائية للثقافة"⁵.

هذا ما يسمح بتعدد المناهل التي يستقي منها النقد الثقافية مادة، فتصبح غنية غنى الموارد البشرية، "هلامية لا تسقى على شكل ولا بيسير الإمساك بها، أو بقائها على حال لا تتبدل"¹.

¹ - عبد الله حسين التميمي، سحر كاظم، حمزة الشجيري، صيرورة النقد الثقافي عند الغرب، ص 09.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ص 01.

⁴ - إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 47.

⁵ - محمد بن لافي اللويش، جدل الجمالي الفكري، قراءة في نظرية الأنساق المضمر عند الغدامي، ص 21.

ويقوم النقد الثقافي على "تجاوز الأدب الجمالي الرسمي إلى تبادل الإنتاج الثقافي أيا كان نوعه، ومستواه، وبالتالي هو نقد يسعى إلى دراسة الأعمال الهامشية التي طالما أنكر النقد الأدبي قيمتها، وأهميتها، بحكم أنها لا تخضع لشروط النقد الذوقي"².

وتعامل النقد الثقافي مع النصوص الأدبية، باعتبارها "علامة ثقافية قبل أن تكون قيمة جمالية، فالتعامل مع النص الأدبي من منظور النقد الثقافي يعني وضع النص، داخل سياقه السياسي من ناحية، أو داخل سياق القارئ أو الناقد من ناحية أخرى"³، بتأثير الكشف عن مضمرات هذا النص، كشف ثقافي و"الالتفات إلى الكثير من متغيرات الحياة اليومية المعيشة، في مستوياتها المختلفة، خاصة تلك المستويات الهامشية، التي لم يكن يأبه بتأثيرها أو فاعليتها من قبل"⁴.

واعتبرت الدراسات الثقافية التي استفاد منها النقد الثقافي مرجعية ثقافية هامة، لأن المعرفة التي نسلوها كمستعملين للغة تتعلق بالتفاعل الاجتماعي، بواسطة اللغة، إلا جزء من معرفتنا الاجتماعية والثقافية، هي معرفة عامة، تدعم كل مظاهر تجربتنا الإنسانية"⁵.

وتكمن أهمية النقد الثقافي في كونه يقدم "تصوراً عن الكيفية التي تقدم بها النصوص، وعن السمات الأيديولوجية للثقافة الشعبية، كما أن له أهمية كبيرة أخرى، كونه ركز على الكيفية التي نشأت من خلالها الأشكال المختلفة من العلاقات الاجتماعية، وكيفية عملها"⁶.

ويعتبر "ليتش" (v-leitch) من أهم النقاد الغربيين الذين تكلموا على النقد الثقافي، إذ يرى أنه "لا يؤطر للنص الجمالي، وفق للتصنيف القائم، بل أنه يفتح على شتى ألوان الخطاب، حتى غير الجمالية منها، من وجهة نظر المؤسسة الأدبية القائمة، حيث المواجهة بين المختلف والمهيمن، وحيث تكشف الممارسة الفعلية للتحليل مثل تحليل النصوص، ودراسة الخلفية التاريخية، والموقف الثقافي النقدي عن أنظمة عقلية ولا عقلية متماسكة، ومفككة في أن واحد، والنقد الثقافي نشاط فكري، يعمل على دراسة الخطاب الذي يستقبله المتلقي، ويظهر تأثيره على عقلية رسوخ ذهني"⁷.

¹- فيصل الأحمر، دراسات في الأدب الأجنبية، دار الألفية، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 2013، ص46.

²- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص139.

³- يوسف عليمات، النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص166.

⁴- صلاح رزق، إشكاليات المنهج في النقد الثقافي، تح عز الدين إسماعيل، النقد الثقافي والدراسات الثقافية، المؤتمر الثاني للنقد الأدبي، المنار العربي، القاهرة، مصر، 2006، ص102.

⁵- ينظر، اليامين بن تومي، مرجعيات القراءة والتأويل عند نصر حامد أبو زيد، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2011، ص27.

⁶- محمد بن لافي اللويش، جدل الجمالي والفكري، قراءة في نظرية الأنساق المضمر عند الغدامي، ص137.

⁷- المرجع نفسه، ص117.

وبعدها أصدر (ليتتش) مجموعة من المقالات النقدية في إطار النقد الثقافي، للتعريف به نظريا، وتطبيقيا، عام 1987، ثم أصدر بعده كتابا سنة 1992، بعنوان نظرية النقد الثقافي، إذ نظر لأدب ما بعد الحداثة¹.

ومن هنا أخذ النقد الثقافي في التطور، وأخذ صور عديدة، ساهمت في بلورة صورته الحالية.

¹ - ينظر، جميل حمداوي، النقد الأدبي بين المطرقة والسندان، ص01.

الفصل الأول: الشخصية الروائية والمرجعية السياسية عند جورج أرويل.

- 1- مفهوم الشخصية.
 - 1-1- الشخصية لغة.
 - 1-2- الشخصية اصطلاحاً.
- 2- الثقافة السياسية وتجليها في شخصيات الرواية (مزرعة الحيوان ورواية 1984).
 - 2-1- المرجع الشخصي رواية مزرعة الحيوان.
 - 2-1-1- شخصيات تاريخية سياسية.
 - 2-1-2- شخصيات فنية سياسية.
 - 2-1-3- شخصيات أدبية سياسية.
 - 2-2- المرجع الشخصي في رواية 1984:
 - 2-2-1- شخصيات أسطورية سياسية.
 - 2-2-2- شخصيات اجتماعية سياسية.
 - 2-2-3- شخصيات أدبية سياسية.

1. مفهوم الشخصية:

تعتبر الشخصية في العمل الروائي ركيزة أساسية، بها تُفهم حيثيات الحدث، وبها تتحرك عملية السرد، هي إذن محور التجربة الروائية¹، التي يعبر من خلالها القارئ للنص، فيفك شفراته ويفهم أبعاده، والأيدولوجيات التي بنى عليها، وبها تتحدد ثقافة الكاتب وعليها تنعكس.

وقد عُيّنت الرواية بالشخصية أنما عناية، وذلك: "منذ بدايتها في القرنين الثامن والتاسع عشر (...)، لا سيما بملامحها الخارجية وتصوير مظهرها بدقة، فضلا عن منزلتها الاجتماعية وعلاقتها بالآخرين، فجعلتها كالأإنسان في عالم الحياة"².

وبهذا تكون هذه الشخصية "معبرة عن الواقع الجديد شكلا ومضمونا"³، هذا ما عمد إليه (جورج أورويل) حين رسم من شخصيات رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984، شخصيات عاكسة للمجتمع في فترة من فترات عاشتها بريطانيا سابقا.

قبل الخوض في الحديث عن الشخصيات وثقافتها السياسية عند هذا الكاتب نقف عند مفهومها اللغوي والاصطلاحي.

1-1- الشخصية لغة:

في مقاربة لغوية لمفهوم الشخصية يُسَعِّفنا التعريف الذي قدمه ابن منظور: "الشخص جماعة شخص الإنسان، وغير مذكر، فالجمع أشخاص، وأشخص، وشخوص وشخاص والشخص سواء الإنسان وغيره، تراه من بعيد، تقول ثلاثة أشخاص، وكل شيء رأيت جسمانه، الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات فاستعير له لفظ الشخص والشخيص العظيم الشخص، والأنثى شخيصة، والاسم الشخصية، قال ابن سيده ولم اسمع له بفعل، فأقول إن الشخصية مصدر"⁴.

الشخصية هنا هي الشيء البادي الظاهر للعيان.

أما في معجم مقاييس اللغة جاء: "الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في شيء، من ذلك الشخص وهو سواء الإنسان، إذا سما لك من بعد، ثم يحمل على ذلك،

¹ - محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص39.

² - إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص173، 174.

³ - جان ريكاردو، قضايا الرواية الحديثة، تر صباح جهيم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، سوريا، دط، 1977، ص95.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص206، مادة (ش خ ص).

فيقال شخص من بلد إلى بلد، وذلك قياسه، ومنه أيضا شخـوص البصر، ويقال رجل شخيص وامرأة شخيصة أي جسيمة¹.

الشخصية من ناحية المفهوم اللغوي تفيد معنى البروز والظهور.

2-1- الشخصية اصطلاحاً:

من هذه الناحية نجد الكثير من التعريفات، ومنها ما ورد في معجم المصطلح السردي، أنها: "كائن موهوب (...)، وملتزم بأحداث (...)، ممثل متمم بصفات بشرية، والشخصيات يمكن أن تكون مهمة أو أقل أهمية، فعالة مستقرة، حين لا يكون هناك تناقض في صفاتها وأفعالها، أو مضطربة (سطحية) أو معقدة لها أبعاد عديدة"².

لقد تعاملت العديد من الدراسات الأدبية معها على أنها: "مفهوم تخيلي يبتعد كثيراً عن مفهوم الشخصية الواقعية، على أساس أن الرواية هي تأمل في الوجود تتم رؤيته عبر شخصيات خيالية"³.

الشخصية إذن عبارة عن عالم تخيلي، بناه الروائي بذهنية وخلفية من الخلفيات، التي غالباً ما تكون تمثل وجهة نظر يحاول إبرازها للمتلقي، وعبرها يعالج الواقع وعيوبه. ويمكن القول عنها أيضاً أنها "جوهر العمل الروائي والمقياس الذي تقاس عبره قدرة الروائي على إنجاز عمل فني مميز يحظى باستحسان القراء، وليس هذا فقط وإنما صارت عملية بناء شخصيات ناجحة في العمل الروائي هي السبب المباشر لاهتمام القارئ بأي رواية (...). وبهذا أصبحت عملية بنائها بصورة فنية من أصعب المهام وأدقها"⁴، ولا سيما للروائي الذي يجسد من خلالها ثقافة شعب وتاريخ بلد، وسياسته التي كانت سائدة في فترة ما من فترات الحياة.

من خلال ما عرضناه نستنتج أن الشخصية الروائية هي محور التجربة الروائية، بها يعبر الكاتب عن جملة من الأفكار والأيدولوجيات، تعكس ثقافته وذات صلة وطيدة بباقي العناصر الروائية الأخرى.

2. الثقافة السياسية وتجليها في شخصيات الرواية (مزرعة الحيوان و1984): يمكن إظهارها كما يلي:

2-1- المرجع الشخصي في رواية مزرعة الحيوان:

¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2008، مج1، ص645، مادة (شخص).
² - جيرالد برنس، المصطلح السردي، معجم مصطلحات، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص42.
³ - فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية، دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف، دار مجذولاي، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص169.
⁴ - حسين سالم هنيدي، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث للدراسات في البنية السردية، دار حامد، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص49.

إن أغلب الشخصيات التي قدمها (جورج أورويل) في هذه الرواية كانت تمثل واجهة سياسية، ولنا أن نفصل فيها على هذا النحو:

2-1-1- شخصيات تاريخية سياسية: وهي شخصيات سياسية موجودة في التاريخ، نذكر منها:

• كارل ماركس*:

يعادلها في الرواية شخصية العجوز (ميجور)، الذي شرح مبادئ الماركسية، وفصل

طريقة تطبيقها على أرض الواقع، فالعجوز (ميجور) هو من وضع أسس ومبادئ الحيوانية** وبعث في الحيوانات الحياة من خلال خطابه السياسي الذي شرح الأوضاع وحقيقة العبودية، وبين المستعبد الإنسان، ويتجلى ذلك في عدة مقاطع نذكر منها قوله: "لا يوجد حيوان حر في انجلترا، إن حياة الحيوان بائسة"¹، وهذا ليس بسبب الطبيعة، لأن "أرض انجلترا خضراء، خصبة، ومناخها طيب وبمقدورها توفير الوفير"²، بل بسبب الإنسان الذي يعذبهم، ويسرق إنتاجهم، فهو ينادي بزوال هذا المخلوق حتى يزول معه كل ألم، وكل سبب للعمل المرهق، وأنه الكائن الوحيد الذي لا يعمل، كما دعا الحيوانات للثورة، ووضع شعار الأخوة الذي يجمع بين الحيوانات، إن "كل من يسير على أربعة أقدام أو له أجنحة فهو صديق، وكل من يمشي على قدمين عدو"³، ومنح الحيوانات الأمل في التغيير والتجديد وترك لهم أغنية (وحوش انجلترا)، كأنشودة تعبر على روح الثورة والأخوة والمساواة بين الحيوانات، وهذا ما قام به (كارل ماركس) عندما قضى حياته يدافع ويرافع من أجل الاشتراكية، والعدالة الاجتماعية، ففكرة الماركسية التي دعا إليها (ماركس) تقول: "إن نمو الرأسمالية يخلق طبقة عاملة، يصير لديها القوة للإطاحة بالنظام الرأسمالي، ومن ثم بناء مجتمع ثوري جديد يقوم على المساواة والحرية"⁴، وهي الفكرة التي دعى إليها العجوز

* - كارل هانريش ماركس: فيلسوف وناقد للاقتصاد السياسي، ومؤرخ وعالم اجتماع، ومنظر سياسي وصحفي ثوري اشتراكي ألماني، ت 1883م.

** - الحيوانية: هي المبادئ التي جاء بها العجوز ميجور، وقامت الخزائير باختيار الحيوانية اسما لها، لأنها تحدد العلاقات بينهم، والأوامر والنواهي، ينظر، جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص 32.

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، دار الشروق، القاهرة، مصر، دط، 2009، ص 17.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - إيم كونرارا، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، تر أشرف عمر، مركز الدراسات الاشتراكية، دب، دط، دت، ص 04.

(ميجور) في الرواية، وفي الخطاب السياسي المذكور، فالعجوز جعل في الحيوانات المضطهدة تحت سلطة الإنسان، وهي الفكرة التي تركها (ماركس) حيث "أطلق على العمال حفاري قبور الرأسمالية كما جادل ماركس في فكرة تحرر المستغلين، لا يمكن أن يحدث بالنيابة عنهم، بل إن تحرر الطبقة العاملة يكون بفعل الطبقة العاملة نفسها"¹.

وبهذا يكون (جورج أورويل) قد أسقط شخصية (كارل ماركس) على الخنزير (ميجور) حتى تتمكن هذه الأخيرة من تحريك الرواية ودفع الحدث، كما تلتقي الشخصيات في خاصية مشتركة، تتمثل في كون الشخصيتين (العجوز ميجور ونظيره كارل ماركس)، لاقتنا حتفهما قبل الثورة التي نظرا لها، فالعجوز (ميجور) مات قبل إلقاء الخطاب بثلاثة أيام، وكذلك (كارل ماركس)، فقد مات قبل أن يشاهد حركات العمال الاشتراكي، تحتاح العالم. يمكن أن نبرز أوجه الالتقاء والتقاطع بين شخصيتي (كارل ماركس) والعجوز (ميجور) في هذا الشكل:

كارل ماركس: وضع مبادئ الماركسية _____ خطاب سياسي
_____ مات قبل الثورة الماركسية وتحقيق ما جاء في الخطاب.
العجوز ميجور: وضع مبادئ الحيوانية _____ خطاب سياسي
_____ مات قبل الثورة الحيوانية وتحقيق ما جاء في الخطاب.

شكل (1): مخطط يوضح مواطن التقاطع بين شخصية (كارل ماركس) وشخصية العجوز ميجور في رواية مزرعة الحيوان.

إن (كارل ماركس) هو من وضع مبادئ الماركسية وهذه المبادئ عبارة عن خطاب سياسي موجه لعامة الناس، لكنه مات قبل أن يرى مضمونه تحقق على أرض الواقع. أما العجوز (ميجور) في رواية مزرعة الحيوان، هو من وضع مبادئ الحيوانية التي كان الإنسان يستغل خيراتها لصالحه، وفي مقابل هذا لا يسقيهم ولا يطعمهم، وبعد وفاته طبقت الحيوانات مبادئ هذا الخطاب السياسي، والذي تمثل في إحداث انقلاب على عدوهم الإنسان.

• جوزيف ستالين:

حضرت من خلال شخصية (نابليون) الخنزير، الذي يتقاطع مع شخصية سياسية تاريخية أخرى من حيث الاسم (نابليون بونابرت)، والقدرة والحنكة السياسية، والشخصية الأقرب والبارزة في الرواية هي شخصية (ستالين). إن المعروف أن (ستالين) هو من سوق للثورة الاشتراكية في روسيا وغير مسارها، وقام بذبح أعضائها البارزين، فقد "نفذ حملات تطهير واسعة داخل الحزب الشيوعي السوفييتي، حيث قام بطرد كافة معارضيه، وقد شملت الحملة الكثير من مؤيدي ستالين السابقين"².

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص 64.

² - إيم كونرارا، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، ص 33.

هذا ما برز في شخصية (نابليون) الخنزير في الرواية، الذي بدا كمناضل مع الحيوانات، ثم سرعان ما تحول إلى طاغية بعد تعارضه مع صديقه (سنوبل) الخنزير، وقام بنفيه خارج المزرعة، ثم قام بقتل وذبح كل من اعتبرهم أتباعه في حملة تطهير عبر عنها الراوي بقوله: "وهكذا توالى قصة الاعترافات والإعدام حتى علت كومة من الجثث عند قدمي نابليون، وتشبع الهواء برائحة الدم"¹.

أرغم (نابليون) الحيوانات على الاعتراف بجرائم لم يقترفوها أمام الملاء، ثم قامت كلابه التي كانت تعذبها بإعدامها، وهناك مشهد لثلاث خنازير تمّ جلبهم كل واحد من أذنه عن طريق الكلاب في مشهد يعبر عن التعذيب والألم الذي طال الحيوانات، قبل أن تعترف بذنبها، وفي هذا يقول: "ومزقت الكلاب أعناق الحيوانات في الحال، وتساءل نابليون بصوت مرعب: إن كان هناك حيوان آخر لديه أي شيء آخر ليتعرف به"²، وهو ما نجده في شخصية (ستالين) الذي لقي منه بني جلده من الثوار الهوان والذل، "فالكثيرون تمّ إعدامهم بعد توجيه تهمة لهم بالعمالة للفاشية، أو التآمر لارتكاب أعمال إرهابية، وإجبارهم على الاعتراف بذلك"³.

هذا ما حدث أيضا في مزرعة الحيوان حين كان (نابليون) يلفق التهم للحيوانات أنها خائنة وتعمل لصالح (سنوبل) المطرود، أو المنفي خارج المزرعة، فقد لفتت لهذا الأخير جميع التهم، وهكذا كانت تعمد كل الحيوانات سواء اعترفت بالتهم أم لا، وعلى هذا الأساس فإن (جورج أورويل) لخص شخصية (ستالين) قائد الثورة البلشفية والحزب الاشتراكي والرئيس السوفييتي (ستالين) في شخصية (نابليون)، فكلاهما سارق ودكتاتور، قاما بسرقة الثورة من الشعب وحولوها إلى نظام دكتاتوري دموي.

وعليه يظهر التقارب بين الشخصية السياسية التاريخية والشخصية الروائية على هذا النحو:

جوزيف ستالين: سوق للاشتراكية — قتل كل من يعارضه ونفى صديقه تروتسكي طاغية.

نابليون الخنزير: سوق للحيوانية — قتل كل معارضيه ونفى صديقه سنوبل طاغية.

شكل (2): مخطط يوضح التقاطع بين شخصية (جوزيف ستالين)، وشخصية (نابليون الخنزير) في رواية مزرعة الحيوان.

جوزيف ستالين قائد سياسي قام بالتسويق للاشتراكية، ولما لقيت رواجاً واحتضانها الشعب، تحول إلى طاغية وقتل كل معارضيه من أجل تنفيذ رغبته في الوصول إلى الحكم، وتنفيذ سياسته الخاصة وتطبيقها على الجميع.

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص138.

² - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص138.

³ - إيم كونرارا، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، ص33.

• ليون تروتسكي:

ترتبط هذه الشخصية سياسيا وتاريخيا بالثورة البلشفية، وتتقاطع في الرواية مع شخصية (سنوبل)، "ذلك الخنزير المفعم بالحيوانية، الطلق الحديث، والأكثر تخيلا وإبداعا"¹، وهو أيضا أحد مطوري مبادئ الحيوانية، ومن علمها للحيوانات وشرح لهم مفاهيمها، إنه الخنزير الذي قاد الثورة نحو الفوز في المعركة الأولى والمعركة الثانية، ونال "جائزة بطل الحيوانات من الدرجة الأولى"²، لتفانيه وإحساسه الثوري الواسع، وقراءته لكتب الحرب، هذا ما نجده في شخصية (ليون تروتسكي)، لقد كان "خطيبا مبصرا، وكاتبا مؤثرا ومفكرا ثوريا"³، وكان ذلك بعدما آمن بمبادئ الماركسية وآمن بالثورة والمساواة والحرية وقرأ لكارل ماركس، وشارك بكل إخلاص ودأب في تسليح العمال من أجل التصدي لمجازر القيصر بحقهم⁴.

كما أن (تروتسكي) عانى من تلفيق التهم والنفي بعدما تعارض في الفكر مع (جوزيف ستالين)، "إن ستالين كان يكره تروتسكي، ليس لشخصه بل لأنه تجسيد حي لأفكار وتراث ثورة أكتوبر"⁵.

ويشهد له التاريخ قدرته في الخطاب والتحريض والتنظير، فقد نظم الانتفاضة المسلحة في أكتوبر 1917، كما قاد الجيش الأحمر إلى الانتصار في الحرب الأهلية سنة 1921⁶. وكل هذه الأحداث المهمة في حياة تروتسكي كانت موجودة في حياة سنوبل، حيث قاد ثورة الحيوانات الأولى ضد جونز وخطط لها بامتياز⁷، وكذلك الثورة الثانية، ثم عانى من الطرد والمنفى، كما لفقت له كل التهم من طرف نابليون الطاغية، وهي نفسها الأشياء التي عانى منها تروتسكي، "ستالين دائما ما كان يحاول تصوير نفسه وكأنما هو الوريث الشرعي للثورة بعد وفاة لينين"⁸.

والحقيقة أن شخصية (سنوبل) وشخصية (تروتسكي) تطابقتا في مزرعة الحيوان، فسنوبل هو إسقاط مباشر لهذه الشخصية كما صورها الروائي فهي شخصية مؤمنة بالمبادئ وتناضل من أجل العمال والحرية، ثم تنبذ وتعاني في المنفى من طرف الطاغية التي انشقت عن الحزب وغيرت مسار الثورة من الحرية نحو العبودية.

إن كل عمل شنيع في المزرعة كان غالبا ما يرفق بقول (نابليون) أن (سنوبل) من فعل ذلك، وهذا ما شرحه (أورويل) قائلا: "وكان عادة ما ينسب كل خطأ لسنوبل، فلو

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص38.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - إيم كونرار، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، ص09.

⁴ - ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - المرجع نفسه، ص33.

⁶ - ينظر، المرجع نفسه، ص34.

⁷ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص129، 130، 131.

⁸ - إيم كونرار، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، ص33.

كسرت نافذة أو سداسي بالوعة، كان ينير أحدهم قائل: بكل تأكيد أن سنوبول قد جاء في الليل وفعل ذلك"¹.

لقد توالى التهم المفبركة لشخصية (سنوبول) طول الجزء الأخير من رواية مزرعة الحيوان فنجده تارة "باع نفسه لفريدريك صاحب مزرعة بيشفيلد"²، ثم سرعان ما يتحول إلى جاسوس، "لقد كان سنوبول متحالفا مع جونز منذ البداية وكان عميله السري طوال الوقت"³، وغيرها من التهم التي عانت منها شخصية تروتسكي أيضا، ونحاول ستالين تخوينها.

والواضح أن الروائي أراد إنصاف هذه الشخصية البارزة في الساحة السياسية العالمية، وذلك بإسقاطها على شخصية الخنزير (سنوبول)، إذ حاول إعطاء وجهة نظر حوله، بتصويره ضحية سياسية استبدادية منهجة وهمجية.

لنا أن نلخص التقاطعات بين شخصية (ليون تروتسكي) وشخصية الخنزير (سنوبول) في الرواية في هذا المخطط:



شكل (3): مخطط يوضح التقاطعات بين شخصيتي ليون تروتسكي وسنوبول الخنزير في رواية مزرعة الحيوان.

- ارتبطت شخصية (ليون تروتسكي) سياسي وتاريخيا بالثورة البلشفية الروسية، ويعتبر من طور مبادئ الاشتراكية مع (لينين)، وقاد الجيش الأحمر الذي كونه من العمال.

¹ - جورج أرويل، مزرعة الحيوان، ص 129.

² - المصدر نفسه، ص 131.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

- نجحت الثورة البلشفية بقيادة (تروتسكي)، إلا أن ستالين سرق هذه الثورة ولفق له التهم، ونفاه من روسيا بعد وفاة (لينين).
- نفس الحدث تكلم عنه (أورويل) في رواية مزرعة الحيوان، إذ طور (سنوبل) الخنزير مبادئ الحيوانية وشارك مع الخنزير نابليون في الثورة ضد صاحب المزرعة (المستر جونز)، فكان قائدا للحيوانات ومخططا للثورة نظرا لإتقانه أسلوب الحديث وفنون الحرب.
- بعد نجاح الثورة على صاحب المزرعة لُفقت له التهم من طرف (نابليون) الخنزير الذي سرق الثورة ونفاه خارج المزرعة.

• نيكولاس الثاني:

هو حاكم روسيا الذي قامت عليه الثورة البلشفية، وتم إعدامه وعائلته وحاشيته، وهو يمثل شخصية السيد (جونز) من الجانب الذي ذكرت فيه في الرواية، فالسيد جونز ملك مزرعة الحيوان كان مدمن خمر، وكان يهرب من أزماته عبر استسلامه في كل مرة للسكر بسبب معاناته من ضائقة مالية، بسبب القضايا التي غرق فيها، لهذا أهمل المزرعة والحيوانات، وتكاسل رجاله في أداء واجبهم تجاه الحيوانات، وهذا ما جعل الحيوانات تنقلب عنهم، وقد عبر عن هذه المواقف والمشاهد السارد بقوله: "لكنه كان مخمورا بشدة، حتى أنه لم يتذكر إقفال النوافذ الصغيرة (...)"، وسكب لنفسه قدحا أخيرا من البيرة"¹.

عبر (أورويل) عن هروب السيد (جونز) من أزماته بقوله: "رغم كون مستر جونز سيدا... لكنه واجه في المرحلة الأخيرة أياما سيئة، وثبطت عزيمته بعد خسارته لمبلغ من المال في دعوى قضائية، وأنغمس في إدمان الخمر مما أضرب حاله"².

الروائي هنا يظهر هنا أنه يشرح ما آلت إليه أوضاع السيد (جونز)، ولكنه في الحقيقة يشرح ما ذكر عن شخصية العاهل الروسي نيكولاس الثاني من قبل المؤرخين، فهو "لم يكن قويا، بل ظل يلجأ إلى طريقة الهروب من مجابهة الأزمات"³.

كما أنه صورته على أنه محدود الذكاء ضعيف الإرادة، وهي الحالة التي عاشها السيد (جونز) بعدما ثارت عليه الحيوانات وعجز عن إعادة المزرعة تحت السيطرة"⁴.

ولعل هذا ما وصف به العاهل الروسي، كونه يفتقر إلى الحس السياسي.

كما تتقاطع شخصية (جونز) والعاهل (نيكولاس الثاني) كون هذه الأخيرة "شنت هجوما على المظاهرة السلمية التي قام بها العمال الروس عام 1905"⁵، والتي أدت نتائجها

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص31.

² - المصدر نفسه، ص31.

³ - ايم كونارار، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، ص05.

⁴ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص26.

⁵ - ايم كونارار، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، ص05.

إلى اندلاع الثورة الروسية، فكذاك جونس ورجاله لم يطعموا الحيوانات، وعندما أرادت هذه الحيوانات الأكل وكسرت باب المخزن، تعرض لها جونس ورجاله بكل أنواع العذاب، وهذا ما أدى إلى إشعال الثورة في مزرعة الحيوان¹.

كما تتوافق شخصية (جونس) مع كل إقطاعي أو رأسمالي مستبد بالعمال ومستعبد للإنسان، كونه سيد المزرعة الذي لا ينتج ويستعبد المنتجين. من خلال هذه الشخصية حاول (أورويل) تصوير الخلفيات التي تقوم عليها الأنظمة الديكتاتورية الاستبدادية، والتي ينتج دائما عنها ثورات من الطبقات الدنيا الكادحة، وبذلك أعطى صورة حول طبيعة المستبد والإقطاعي الطاغية.

2-1-2- شخصيات فنية سياسية: نجدها تتجسد في مجموعة من الشخصيات هي:

✓ شخصية إعلامية: وتتمثل في:

● شخصية سكويلر:

تُطرح هذه الشخصية في رواية مزرعة الحيوان على أن لها قدرة كبيرة في الخطاب والإقناع وتفسير الأمور بما يتلاءم مع مصالحها، وعلى أنها تمثل الجهاز الإعلامي الخاص بنابليون الطاغية، إذ تعمل على تفسير كل جرائمه وحماقاته، ولقد ورد ذكرها على أنها أكثر الخنازير شهرة، "وأكثرها شهرة خنزير صغير سمين يسمى سكويلر، له وجنتان مستديرتان، وعينان لامعتان، وحركات رشيقة وصوت عالي، وكان محدثا ذكيا وحين يناقش نقطة صعبة، كانت له طريقة في القفز من جانب إلى آخر، ويحرك ذيله بشكل مقنع للغاية"²، وقد وصفت باقي الحيوانات قدرة (سكويلر) على الإقناع، تقول: "أن باستطاعته أن يحول الأسود إلى الأبيض"³.

وكغيره من الحيوانات ساهم هذا الخنزير مع (نابليون وسنوبول) بتطوير مبادئ الحيوانية، ثم حاد عن هذه المبادئ، وأصبح التابع الوفي للطاغية الجديد نابليون، وأصبحت الأوامر كلها تنفذ عن طريقه"⁴، كما أنه كان يمجّد كل ما هو متعلق بنابليون، وكلما أتيته الفرصة يدنس صورة (سنوبول) ويشوه تاريخه، وفي هذا الصدد يقول السارد: "وكان سكويلر في خطبه يتحدث والدموع تساقط على خديه، عن حكمة نابليون وطيبة قلبه والحب العميق الذي يكنه لجميع الحيوانات في كل مكان"⁵، حيث أن هذه الشخصية حسب ما ورد في تصويرها تعادل صورة الصحيفة السياسية في روسيا (برافدا)*، والتي كانت تمجد الحزب وتدافع عنه ثم سرعان ما أصبحت تمجد كل ما يفعله ستالين، وتدنس وتشوه كل أعدائه ومنتقديه.

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص37.

² - المصدر نفس، ص38.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص149.

⁵ - المصدر نفسه، ص150.

* - برافدا: صحيفة روسية موالية لنظام ستالين.

وعبر هذه الشخصية صور لنا (أورويل) دور الإعلام في تظليل الشعوب، وكذلك الطريقة التي يُرغم الإعلام على السير فيها، حيث يصبح حاملاً وخادماً للحريات، يعمل عكس مبادئه، يبشر بالديكتاتورية ويقزم الديمقراطية.

لنا أن نوضح ذلك في المخطط الآتي:

الخنزير سكويلر: يمثل وسيلة لإقناع الحيوانات _____ يمثل جريدة (برافدا) الروسية الموالية لستالين _____ مثل دور الإعلام في تظليل الشعب.

شكل (4): مخطط يوضح الشخصية ذات المرجعية الفنية السياسية.

- مثل الخنزير (سكويلر) دور الشخصية التي لها القدرة على إقناع الحيوانات بضرورة الخضوع للسلطة، وهذا بمجموعة من الوسائل والحجج في البرهنة.
- بهذا يكون قد مثل ما تفعله جريدة (برافدا) الروسية الموالية لستالين في النهج الاشتراكي.
- عكست هذه الشخصية أيضاً دور الإعلام في تظليل الشعوب.

2-1-3- شخصية أدبية سياسية: وفيها شخصية واحدة هي:

● شخصية الشاعر مينيموس:

هي شخصية وردت في الرواية من خلال الشاعر الذي اتخذ الطاغية (نابليون) شاعره الخاص، وكان له دوراً في دفع عجلة الأحداث نحو العبودية، وطمس الحريات وإلغاء شعاراتها، وتغييرها بشعارات، كان هذا الشاعر وراء كتابتها، وهي شخصية الخنزير (مينيموس) صاحب القصيدة المعنونة ب(الرفيق نابليون) يقول:

"صديق اليتامى

وفيض الهناء

يأمنهم القوت كم تنبهر روعي

حين انظر إليك

وأرى الوداعة في عينيك

كالشمس في السماء

أيها الرفيق نابليون"¹.

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص151.

وهو كذلك صاحب النشيد البديل الذي وضعه (نابليون) بعد إلغاء أغنية (وحوش انجلترا) التي كانت هي النشيد الرسمي المعبر عن روح الثورة عند الحيوانات، والذي وصفها الراوي على أنها لم تعجب الحيوانات، وأنها لا تثيرهم، وذكر منها هذا المقطع:

"مزرعة الحيوان مزرعة الحيوان

لن يصيبك أبدا أذى عن طريق"¹.

لعل هذا النوع الذي ذكره (جورج أورويل) له دور سياسي في عملياته الإبداعية، وهو ما يعرف في الثقافة العالمية ب (شاعر البلاط)، إنه الشاعر الذي يحاول دائما جعل الملك مهما كان لونه أو شكله محبوبا وممدوحا، وهي صورة حاول من خلالها (أورويل) توضيح فكرة خدمة الأدب للطغیان والاستبداد، عبر هذه الشخصية المعروفة في الأدبيات والمجسدة في الشاعر الخنزير (مينيموس).

ونلخص دور الشخصية ذات المرجعية الأدبية السياسية في المخطط الآتي:

الشاعر الخنزير مينيموس: له لسان فصيح وقوة الإقناع _____ له دور سياسي في إخضاع الحيوانات للقائد الخنزير نابليون _____ خادم للدكتاتورية والطغیان.

شكل (5): مخطط يوضح الشخصية ذات المرجعية الأدبية في رواية مزرعة الحيوان.

- مثل الخنزير (مينيموس) دور الشاعر في الرواية.
- كان لهذا الشاعر لسانا فصيحاً وقوة إقناع وتأثيراً على الحيوانات.
- بهذا التأثير وعبر لغته وشعره استطاع إقناع كل الحيوانات بضرورة الخضوع للسلطة، ولا بد من الانقياد للجميع.
- بهذا يكون صورة عن شعراء البلاط في إنجلترا.

2-2- المرجع الشخصي في رواية 1984: يتجلى كالاتي:

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان ص149.

2-2-1- شخصيات أسطورية سياسية: وفيها شخصيتين، الأخ الكبير ذات بعد سلطوي أسطوري، وشخصية غولشتاين ذات بعد ثوري أسطوري (السلطة المضادة)، ويمكن التفصيل فيها كما يلي:

• الأخ الكبير

تتجلى هذه الشخصية في رواية 1984 من خلال شخصية الأخ الكبير، وهي الشخصية الحاكمة لأوقيانيا، الدولة التي تنبعث منها السيطرة على جميع الدول، وقد صورت في الرواية على شكل صورة موجودة في كل مكان، "كانت تنتصب صورة الوجه الضخم، لتحقق في وجه كل قادم، إنها واحدة من تلك الصور المرسومة على نحو يجعل المرء يعتقد أن العينين تلاحقانه أينما تحرك وكان، يوجد أسفل الصورة عبارة تقول: "الأخ الكبير يراقبك"¹.

يقول الراوي عن مواصفات هذه الشخصية: "يملك وجهها ضخما يربو عرضه على المتر، وهو وجه رجل في الخامسة والأربعين، ذو قسمات جميلة، وإن كانت لا تخلو من خشونة وصرامة، ويبرز فيه شاربان أسودان كثيفان"².

يعتبر الأخ الكبير زعيم العامة الموجود في كل مكان، وهو الذي يراقب الجميع محدقا ومتابعا كل الوجوه، والشيء الغريب في هذه الشخصية يكمن في أنه لا أحد يعرف عنه شيء، عدا الرأس الكبير الذي يراقب الجميع، والمرسوم على الجدران، حتى تحول إلى إله يخافه الجميع.

يتضح الغموض المحيط بهذه الشخصية وقداستها من خلال الحوار الذي دار بين (براين) و(وينستون)، حيث يقول هذا الأخير: "هل الأخ الكبير موجود؟"، فيجيب براين بشكل غامض: لا ريب أنه موجود، وكذلك الحزب موجود، ففي الأخ الكبير يتجسد الحزب"³. إن هذا الجواب الذي له أبعاد مختلفة، يضع القارئ أمام شخصية أسطورية روحية ومقدسة، ويتضح ذلك في قول وينستون متسائلا حوله: "وهل هو موجود مثلي، كما أنا موجود بالشكل ذاته؟"⁴.

يريد (وينستون) أن يعرف إذا ما كانت شخصية الأخ الكبير بشرية أم آلهة، فقد فهم من جواب براين أن شخصية الأخ الكبير تمثل روح الحزب ومحركه ولكنه يطالب أكثر، يريد أن يعرف إذا كان له وجودا جسديا، فيجيبه براين "إنك غير موجود"⁵، نعم (براين) يعتبر موجود ففكره الوجود في فلسفه الحزب تحمل دلالة غير الوجود المتفق عليه.

¹ - جورج أورويل، 1984، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2016، ص7.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - جورج أورويل، 1984، ص305.

⁴ - المصدر نفسه، ص305.

⁵ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لقد تقاطعت شخصية الأخ الكبير في جانبها السياسي مع شخصية المستبد الديكتاتوري والطاغية، وهي شخصية حافلة في التاريخ السياسي، وتجسدت عبره في ذوات متعددة، من ملوك وزعماء وحكام ورجال الدين ورؤساء، إنها شخصية (ستالين)، (هتلر)، و(موسولين) وغيرها.

تأتي هذه الشخصية غالباً بعد الثورة، وهي شخصية غارقة في وهم النرجسية والسادية، بشكل جنوني تعتقد هذه الشخصية أن الشعوب بحاجة إليها من أجل الخلاص، وأنها هي المخلصة والمنقذة، غير أن موقفها هو "موقف ذلك الذي يقطع الشجرة، لكي يقطع الثمار"¹ ما يعكس غلبة المصالح الذاتية على المصالح العامة، وقوة الظلم الذي قد تمارسه هذه الشخصية على غيرها لبسط نفوذها.

يصل أيضاً الطاغية إلى "الحكم بطريقة غير مشروعة، ويمكن أن يكون قد اغتصب الحكم بالمؤامرات أو الاعتقالات أو القهر أو الغلبة"²، ولهذا عمد الروائي إلى تصوير تلك الاعتقالات التي طالت أعضاء الحزب القداماء، وخاصة الزعماء الثلاثة، الذين لفقت لهم جميع التهم، وتم إرغامهم على الاعتراف بجرائم لم يقتربونها، بل ذهب الأمر بالطاغية إلى غسل دماغهم، وفي الأخير أعدمهم أمام العام على أساس أنهم خونة، وأنهم أعداء الحزب، ف (براين) الذي وقف على عملية غسل دماغهم يقول محدثاً (وينستون): "حتى هؤلاء الثلاثة، جونز وأرونسون وراذرفورد، الذين كنت تؤمن بهم قد انفرط عقدهم وخر عزمهم، في النهاية لقد أشرفت بنفسي على استجوابهم، ورأيتهم وهم ينهارون تدريجياً، ويتذللون ويتضرعون وينتحبون، وفي النهاية لم يكن هذا بسبب الخوف أو الألم، بل لشعورهم بالندم والأسف على ما اقترفوا"³.

لقد كان التعذيب والقتل والوحشية هو العالم الذي يحكمه الأخ الكبير الطاغية، فكل من يحاول التفكير أو الاعتراض، فإنه يتحول إلى العدم، فاختفاء الناس في أوقيانيا، وتحويلهم إلى هياكل بشرية لم يبقَ منها إلا الأسي، هو مصيرهم في حالة ما تبث عنهم رغبة في كره الأخ الكبير، أو نقص في الولاء اتجاهه، ولهذا نجد (براين) يقول بلسان الحزب: "نحن لا نحطم أعدائنا فحسب بل نغير ما بأنفسهم"⁴.

وهذا ما صار عليه كل من حاول أن يقترب أبسط الجرائم، فهناك جريمة الفكر، وجريمة الوجه، فأنفعالك يقودك إلى وزارة الحب، حيث يعاد تأهيلك، يقول (أوبراين): "إننا لا نحطم الضال الذي خرج علينا عندما يقاومنا، بل إننا لا نقدم أبداً على تدميره طالما أنه يقاومنا، وإنما نسعى لأن نغيره، ونقبض على عقله الباطن، فنصوغه في قالب جديد"⁵.

¹ - إيم كونارار، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، ص36.

² - إيم كونارار، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، ص37.

³ - جورج أورويل، 1984، ص301.

⁴ - المصدر نفسه، ص300.

⁵ - المصدر نفسه، ص301.

هذا هو دور الأخ الكبير الذي يمتلك شخصية الطاغية، الحاكم المستبد الذي يقتل أصدقائه وأهله ويستعبد شعبه، ويذيقهم كل ألوان العذاب، نعم فالطاغية يسرق أحلام الشعوب، ويحولها إلى كوابيس، وهذا ما حدث فالأخ الكبير سرق الثورة وأصبح قائد الحزب، وتحول إلى طاغية.

وقد ورد عند (أفلاطون) أن: "الطاغية يتولى الحكم في الأصل، لكي ينفذ البلاد من حالة الفوضى، ويبدأ في الأيام الأولى من حكمه في التقرب من الناس، وفي الوقت ذاته يبدأ في تكوين حرس قوي حوله، بحجة المحافظة على مطالب الشعب، ويبدأ في تأمين وجوده في الداخل والخارج، ثم يتجه إلى الداخل فيتخلص من المناوئين له، وعندما يأمن هذا الجانب، فإنه لا يكف أولاً عن إشعال الحرب تلوى الأخرى، حتى يشعر الشعب بحاجته إلى قائد، وكذلك حتى يضطر المواطنون الذين أفقرتهم الحراري إلى الانتقال لكسب رزقهم اليومي بدلاً من أن يتأمروا عليه"¹.

وهذا ما صورته الروائي من خلال شخصية الأخ الكبير، هذا الأخير الذي جسد شخصية الطاغية عبر مختلف مراحل تكوينها، إلى أن تؤمن ذاتها، وما تصير عليه بعد تفردا بالحكم.

هذه شخصية الطاغية في جانبها السياسي، أما في جانبها الأسطوري فنجد أن الأخ الكبير قد اتخذ جبة القداسة وملك الأوصاف الفوقية التي تميز بها. فهي شخصية يمكن مصادفتها في صور موجودة في كل مكان، لا بد أن يحبها الجميع ويخضع لها، ولكن لا يعلم الشعب إذا كانت حقيقية أم لا، موجودة أم غير موجودة، فانية أم خالدة، فهي تتقاطع مع الذات الإلهية، إنها شخصية إلهية خالدة لا تموت، ويتجلى ذلك من خلال الحوار الذي بين (أوبراين) و(وينستون)، يقول (وينستون): "هل الأخ الكبير موجود؟، يجيب أوبراين: أنت غير موجود"².

إن هذا السؤال الفلسفي والميتافيزيقي الذي يطرحه (وينستون)، يكشف عن الغموض الذي يكتنف شخصية الأخ الكبير، ولهذا يحاول فهم الهالة المبهمة حول هذا الأخير يقول: "أعتقد أنني موجود، إنني أعني ذاتي، لقد ولدت وسوف أموت، ولدي ذراعان وساقان، وأشغل حيزاً في الفضاء، ولا يستطيع جسم آخر أن يشغل الحيز نفسه في الوقت نفسه، بهذا المعنى أسأل هل للأخ الكبير وجود؟"³.

يجيب (أوبراين) غير مكترث: "ليس لما تقوله أي أهمية إنه موجود"⁴.

إن هذا الجواب المقتضب يوضح أن الأخ الكبير هو ذات غير معروفة وغامضة ومقدسة، فهي لا تشبه في وجودها ذاك الوجود المحدد الذي وصفه (وينستون)، إنما وجودها

¹ - إمام عبد الفتاح إمام، الطاغية دراسة فلسفية لصور الاستبداد السياسي، ص 91.

² - جورج أورويل، 1984، ص 306.

³ - جورج أورويل، 1984، ص 306.

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

هو وجود إلهي، ولعل ما يوضح هذا أكثر، هو سؤال (وينستون): وهل سيموت الأخ الكبير في يوم من الأيام؟، ليجيبه أوبراين: طبعاً لا، كيف يمكن أن يموت!¹.
فهذا الجواب يضيف صورة الخلود إضافة إلى القداسة على الأخ الكبير، فتصبح هذه الشخصية أسطورية، تمثل الإله الذي يعي كل شيء، وموجود في كل مكان، يراقب الجميع، ولا بد أن يحبه كل الناس، وتخضع له جميع الشعوب، وهذه الشخصية وجدت في التاريخ على شكل الطاغية الإله، وقد ورد ذكره في الديانات السماوية، وأمثلة ذلك كثيرة على الأرض، وقد وصف أفلاطون شخصية هذا النوع من الحكام قائلاً: "في الأصل كان الحاكم يعد من طبيعة إلهية، فهو لم يكن مختاراً من الإله، بل كان الله نفسه"²، وهذا كان قديماً عندما كان التفكير في اتجاهه الأول، يؤسس السلطة على أساس الإله، وهذا ما تجسد في شخصية الأخ الكبير، كونها موجودة بشكل يفوق الإدراك البشري ووجودها خالداً لا تدركه الموت.

يمكن تلخيص ما ورد عن الأخ الكبير سابقاً في هذا المخطط:

الأخ الكبير: _____ تحويل مسار _____
الثور _____ الاستبداد _____ طاغية.
ستالين/هتلر/موسيلين _____ تحويل مسار الثورة _____ الاستبداد
_____ طاغية.

شكل (6): مخطط يوضح شخصية الأخ الكبير من بعدها السياسي في رواية 1984.

- الأخ الكبير يقتل الأصدقاء ويستعبد الشعب ويشعل الحروب ليصبح شخصية مستبدة وطاغية، وهو يتقاطع مع الشخصيات الطاغية المستبدة المعروفة في التاريخ السياسي بعد تحويلها إلى مسار الثورة والحريات، نحو مسار الاستبداد والقهر، ومثلنا لها ببعض الشخصيات التاريخية التي عاصرت المؤلف (جوزيف ستالين، أدولف هتلر، موسيليني)، وكلها شخصيات يرتبط اسمها بالأنظمة الاستبدادية والحروب.

يمكن إظهار الترابط بين شخصية الأخ الكبير والإله في الرواية في المخطط الآتي:

الأخ الكبير _____ يراقب كل شيء _____ خالد لا يموت
_____ موجود في كل مكان.
الإله _____ يراقب كل شيء _____ خالد لا
يموت _____ موجود في كل مكان.

شكل (7): مخطط يوضح شخصية الأخ الكبير في بعدها الأسطوري السياسي.

¹ - ينظر، المصدر نفسه، ص306.

² - إمام عبد الفتاح إمام، الطاغية دراسة فلسفية، ص22.

تمثل شخصية الأخ الكبير في بعدها الأسطوري، كونها شخصية لا يعي شعب وجودها، ولكنه يؤمن أنها موجودة، وهي موجودة في الواقع على شكل صورة مرفقة بعبارة الأخ الكبير يراقبك، كما أنها شخصية خالدة لا تموت، وهي شخصية تتقاطع مع الذات الإلهية في هذه الأوصاف، وليست بعيدة عن أنواع الحكم الاستبدادي، حيث كان الحكم ينصب نفسه إله على شعبه.

● شخصية إيمانويل كولدشتاين:

شخصية تتجلى في الرواية من خلال حضورها الثائر، كونها تمثل الجانب المعارض للحزب الحاكم في أوقيانيا، ولكن هذا التجلي هو معنوي فقط على لسان الشخصيات الأخرى، حيث أننا لا نرصد هذه الشخصية تتحدث، وتمارس نشاطها اليوم كباقي الشخصيات، إنها تتوافق مع شخصية المعارض السياسي، الذي ينتمي إلى الطبقة الاجتماعية العاملة، والتي تبنت الأفكار الثورية داخل المجتمع، وتترأس الحركة الأخوية، يصوره الحزب على أنه عدو الشعب، "وكما جرت العادة ظهر على الشاشة وجه إيمانويل كولدشتاين عدو الشعب، فتعالت الصيحات من كل أنحاء القاعة، كان غولدشتاين هو ذاك الخائن المعتد الذي كان في وقت ما واحدا من رموز الحزب القيادية، وكانت مكانته تكاد تضاهي مكانة الأخ الكبير نفسه، ولكنه تأمر على الحزب وتورط في نشاطات معادية للثورة فحكم عليه بالموت لكنه تمكن من الهرب في ظروف غامضة، واختفى عن الأنظار"¹.

هكذا قدم (جورج أورويل) شخصية الرجل (غولدشتاين) على أنها تملك مكانة عالية في الحزب في الماضي، محكوم عليه بالموت وهو الخائن وعدو الأمة، لأنه كفر بالثورة ومبادئها، لذا فهو حاضر دائما في دقيقتي الكراهية، فالحزب يعتبر أي انحراف أو انفلات جريمة تعود أسبابها إلى هذه الشخصية، فهو أول خائن وأول من سعى إلى تشويه الصورة المفضلة للحزب، وكل الجرائم في حق الحزب، وكل الخيانات والأعمال التخريبية، والهرطقة والانحراف عن مبادئ الحزب، كانت نتيجة مباشرة لتعاليمه، فهو يمثل أحيانا الأيدي الخارجية التي تستعملها الدول الأخرى للإطاحة بالحزب، "ربما يكون في مكان ما وراء البحار حيث يعيش تحت رعاية أسياده الأجانب الذين يقدمون له التمويل اللازم، وبين أونة وأخرى تظهر شائعة أنه مختبئ في مكان ما داخل أوقيانيا نفسها"².

وقد عمد (أورويل) لتصوير بنيته الجسدية الخارجية قائلا: "كان وجهه وجه يهودي هزيل البنية، تعلو رأسه هالة من الشعر الأشيب، وله لحية أشبه بلحية التيس، كان وجهه

¹ - جورج أورويل، 1984، ص18.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يوحي بذلك صاحبه، لكنه في مجمله صورة للخسة المتأصلة، ويظهر فيه أنف طويل ساخر، يرتكز عليه نظارتان، وكان أشبه ما يكون بوجه خروف صوته كالثغاء¹. لقد لخص الكاتب جملة المطالب التي كان (غولدشتاين) يطالب بها من أجل قضيته ضد الحزب قائلًا: "كان يصيح متهجما على الأخ الكبير، ويستنكر ديكتاتورية الحزب، ويطالب بإرساء السلام مع أوراسيا على الفور، كما كان يطالب بحرية التعبير، وحرية الصحافة، وحرية عقد الاجتماعات، وحرية الفكر، وكان يصيح بحماس منددا بالخيانة التي تعرضت لها الثورة من الداخل، بل وكانت خطبته تتضمن كلمات من اللغة الجديدة"².

هذه هي مطالب (غولدشتاين)، إنه يحارب ضد العبودية والاستعباد، من أجل الديمقراطية والحريات، وهو على الأرجح يمثل الأحزاب المعارضة داخل الأنظمة الفاسدة، ويمثل الشخصيات البطولية التي ثارت على حكامها منذ القدم، كما أنه ألف كتابا متداولًا بين العامة ممن يحملون أفكارا ثورية، وقد وضع له (جورج أورويل) فصلا في الرواية، وكان عنوان الكتاب حكم الأقلية الطاغية، نظريا وتطبيقيا بقلم (إيمانويل كولدشتاين)، وذكر منه ثلاثة فصول، ولكنه فصل في الفصل الأول والثالث، الذي كان عنوانهما كالآتي:

✓ الفصل الأول: الجهل هو القوة.

✓ أما الفصل الثالث: الحرب هي السلام.

وفيه شرح (غولدشتاين) كيف كانت الحياة قبل الثورة، كما شرح فيه معنى شعارات الحزب الثلاثة، وكيف ابتلعت أوراسيا أوروبا وأمريكا وبريطانيا³.

فهو يمثل السراج المنير الذي يضيء الطريق للمضطهدين حتى يعرفوا حقيقة العالم والحياة والحزب، وهو لا يختلف عن المدافعين في العالم عن المبادئ الإنسانية، والباحثين عن الحقيقة.

غير أن (أورويل) يحكم شخصية (غولدشتاين) في الأخير، إذ يعرض لنا حوارا دار بين (أوبرين) و(ونستون)، يؤكد فيه على أن الحزب يعتمد وسائلًا متطورة من أجل التحكم في الشعوب، فهو يسأل (وينستون) إذا ما كان قد استفاد من كتاب (غولدشتاين)، يجيبه هذا الأخير إن كان قرأه أم لا؟، فيقول (أوبراين): بل قل كتبته، أو حتى أكون أكثر دقة لقد شاركت في وضعه، فكما تعلم ما من أحد يؤلف كتابا بمفرده⁴.

يقدم (أورويل) عبر هذه الشخصية المعارضة، صورة جديدة للمعارض المبرمج من طرف السلطة المستبدة، وهو شخصية وهمية غامضة، يصنعها النظام ويضيف لها هالة الثائر، وفي حالة ما قام النظام بالقبض على أحد المعارضين الثائرين، فإنه يتعرض إلى صدمة، بعد اكتشافه أن شخصية القائد الروحي المعارضة ليس لها وجود، إنما هي في

¹ - جورج أورويل، 1984، ص18، 19.

² - المصدر نفسه، ص19.

³ - ينظر، المصدر نفسه، ص206.

⁴ - ينظر، جورج أورويل، 1984، ص217، 224.

الحقيقة صناعة بهدف الاحتفاظ بالسلطة، فالحزب حسب (أوبراين) هو كل شيء، لأن "المرء لا يقيم حكما استبداديا لحماية الثورة، وإنما يشعل الثورة لإقامة حكم استبدادي، إن الهدف من الاضطهاد هو الاضطهاد، والهدف من التعذيب هو التعذيب، وغاية السلطة هي السلطة"¹.

ولهذا فالسلطة المستبدة أصبحت تصنع الزعيم الروحي للثورة، وتقوم بترويج الكتب ومبادئ الثورة التي يدعو إليها الزعيم، وهذا ما يجعل أي منحرف عن السلطة أو معارض يتجه نحوها، فكلما حاول الانفصال فهو يتجه إلى المعارض الذي يمثل بدوره السلطة. يتجلى هذا في رواية عبر شخصية (وينستون) الذي قادت أفكاره المعارضة إلى بيت (أوبراين) أحد مؤلفي الشخصية المزعومة، وقد صور (أورويل) سعادة هذا الأخير، بحصوله على معارض جديد (وينستون) في قوله متكهما: "أعتقد أنه من الأنسب أن نبدأ بشرب نخب زعيمنا إيمانويل كولدشتاين"².

فمن خلال هذه الشخصية قدم (أورويل) في روايته الفرد المعارض في حلة جديدة، كشخصية معارضة مبرمجة، فهي غير موجودة على أرض الواقع، بل هي نظام سلطوي آخر يهدف إلى المحافظة على السلطة، ومن خلال صناعة الزعيم الروحي للثورة المعارضة يتحول كل من له أفكار ثورية إلى جانبها، وبالتالي يصبح في قبضة الحزب، لينتهي به الأمر تحت طائلة التعذيب وغسل الدماغ.

نستطيع تحديد الدور السياسي لهذه الشخصية في رواية 1984 في هذا المخطط:

إيمانويل غولدشتاين: _____ ثائر منشق عن الحزب
_____ زعيم الثورة المعارضة

_____ شخصية افتراضية / صناعة المعارض.

شكل (8) : مخطط يمثل شخصية إيمانويل كولدشتاين ومرجعياتها الثقافية السياسية.

- شخصية لها بعد ثوري، وأفكار معارضة للحزب، تقوم ببعث روح الثورة في

النفوس المعارضة.

- الزعيم الروحي للحزب المعارض، وصاحب كتاب حكم الأقلية الطاغية، الذي يشرح

الحياة قبل الثورة، ويشرح مبادئ الحزب السلطوية.

- شخصية افتراضية معارضة، عبارة عن صناعة من طرف النظام المعارض في حد

ذاته.

¹ - المصدر نفسه، ص311.

² - جورج أورويل، 1984، ص202.

2-2-2- شخصيات اجتماعية سياسية: تتمثل في الآتي:

● شخصية أوبراين:

وهي شخصية تظهر في الرواية على أنها شخصية مرموقة في الحزب الداخلي، تمارس عملها في إحدى وزارات الحزب الأربعة وهي وزارة الحب، وعبر هذه الشخصية يتمثل الإخلاص والوفاء للحزب، والتجسيد المطلق لمبادئه، بالإضافة إلى منصبه السامي داخل الحزب، فهو أيضا يعمل كقائد لشرطة الفكر، و جلادا في وزارة الحب، حيث يقوم بغسل دماغ كل من تسول له نفسه معارضة الحزب، تبدأ ظهور هذه الشخصية في الرواية على أنها "عضو في الحزب الداخلي، يشغل منصبا ذا أهمية كبيرة، وصلاحيات واسعة، وهو رجل ضخم الجسم، قوي البنية، غليظ العنق، وذو وجه حسن ساخر، يلقي بالروع بالنفس"¹.

ولبراعة هذه الشخصية في اكتشاف منهم يملكون حس المعارضة للحزب، فقد كان (أوبراين) دائما يعتقد أن (وينستون) شخصية تحمل بذورا ثورية، ولهذا اعتمد على أسلوب التضليل والمراوغة، وقدم نفسه بطريقة ذكية على أنه معارض للحزب في داخله، حتى يفتح جسرا للتواصل معه، ويكتشف ما يدور بداخله، وهذا ما عبر عنه الراوي قائلا: "وكان وينستون قد التقى أوبراين عشرات المرات على مدى سنوات، وكان يشعر في أعماقه بشيء من الانجذاب نحوه، اعتقاد داخلي أو لم يكن اعتقاد، بل مجرد أمل بحدوثه، بأن ولاء أوبراين السياسي للحزب لم يكن تام"².

يتجلى دور هذه الشخصية في قدرتها على استدراج الثوار نحو حتفهم، وطرق التقصي الذكية التي تستعملها الأنظمة الديكتاتورية عبر رجال مخلصين إخلاصا أعمى، ولا يعرفون الرحمة، ومستعدين للقيام بكل شيء في صالح الحزب، إنها شخصية الجاسوس والجلاد والمعلم والطبيب، وكل الأدوات التي تستعملها السلطة في إنجاح مشوارها الاستبدادي، والمحافظة على سلطانها إلى أبعد مدى.

وكل هذه الشخصيات التي تمثل أدوات الدولة لخصتها شخصية (أوبراين)، "فتراه تارة يختلس نظرة عميقة إلى عيني (وينستون) ، ثم تراه تارة أخرى وهو يجلس في بيته الفخم الذي يوفره له الحزب كعرفان لوفائه ومكانته المقدمة داخل الحزب، بذلك المنظر الهادئ المهيّب"³.

¹ - جورج أورويل، 1984، ص17.

² - المصدر نفسه، ص25.

³ - جورج أورويل، 1984، ص199.

تلتقي هذه الشخصية ب (ونستون) عبر النظرات والإعجاب المتبادل، ثم الإحساس بالانتماء الفكري، حيث تفاجأ (ونستون) بصوت (أوبرين) أو كما خيل له، يأتيه في الحلم، قائلاً: "سنلتقي اليوم في مكان يغمره النور حيث لا ظلام"¹. ثم تلتقي هذه الشخصية بشخصية (ونستون) في المنزل، حيث يعترف كل منهما بمعاداته للحزب، ويتفق كل منهما على طريقة للتواصل ومحاربة الحزب، يقول (أوبرين) متهمًا (لونستون): "أعتقد أنه من الأنسب أن نبدأ بشرب نخب زعيمنا إيمانويل كولدشتاين"².

نعم هنا تتضح الطريقة التي يمتلكها (أوبرين) في التخفي، واستدراج الضحية، حتى تُقر بنفسها، ليظهر مرة أخرى كشخصية جلاد مجرد من المشاعر الإنسانية، لا يعرف الرحمة، فبعد القبض على (ونستون)، وإدخاله إلى وزارة الحب، حيث يأتي (أوبرين) إليه في هيئة الجلاد، فيسرع (ونستون) ليطلب منه إخراج أو مساعدته على الانتحار، أو أي شيء يساعده على النجاة من التعذيب، ليتفاجأ بردة فعل باردة وجافة، وبوجه آخر غير الذي ألفه عند (أوبرين)، "لقد كنت تعرف ما سيؤول إليه أمرك، فلا تخدع نفسك، لقد كنت دائماً تعرف ذلك"³.

في هذه المرحلة تتحول شخصية (أوبرين) في علاقته مع السجين (ونستون) إلى علاقة متباينة، بين الجلاد والحامي والمحقق والصديق. لقد اتخذ (أوبرين) مجموعة من الشخصيات الاجتماعية التي تعمل على التنشئة وتهئية الفرد على قبول الأنظمة السلطوية الديكتاتورية، وقبول الاضطهاد والاستبداد. فتراه يقول في شخصية الطبيب والمصلح لوينستون السجين: "سأنقذك وسأجعلك نموذجاً يقتدى به"⁴.

وهو يملك شخصية الروحاني العارف بكل خبايا النفس البشرية، حيث يقول (لونستون) كرد على الحلم الذي حلم به ذات مرة، يوم حلم أنه سمع صوتاً يقول له إننا سنلتقي حيث لا ظلام، "لقد قلت لك أننا إذا ما التقينا فإننا سنلتقي هنا"⁵، إنه المكان الذي لا ظلام فيه، وزارة الحب، حيث لا يعرف المرء إن كان في الليل أو في النهار، فقط غرف وأضواء قوية، فالزمن لا معنى له في وزارة الحب، ولا فرق بين الليل والنهار، والأمس والغد.

تتبدى شخصية المعلم عند (أوبرين) وهو يعلم السجين (ونستون) كيف يكون الإخلاص للحزب، وذلك من خلال المثال الذي قدمه، وهو الإجابة عن سؤال اثنين زائد اثنين، وكان كل ما قال (ونستون) أربعة، كان يتعرض لعذاب شديد، وبعدها يشرح له

¹ - المصدر نفسه، ص32.

² - المصدر نفسه، ص202.

³ - المصدر نفسه، ص283.

⁴ - جورج أورويل، 1984، ص288.

⁵ - المصدر نفسه، ص289.

(أوبرين) المعلم طريقة التفكير والإجابة قائلا: "أحيانا يساويان أربعة، وأحيانا خمسة، وقد يساويان ثلاثة، وأحيانا يساويان ثلاثة وأربعة وخمسة معا"¹.

ثم يقول بكل وقار وجدية محفزا (ونستون)، "يجب أن تحاول بمزيد من الجدية والجهد، فليس من السهل أن تصبح سليم العقل"².

من خلال هذا القول يتضح لنا أن الشخصية السوية هي تلك التي تفكر كما يفكر الحزب، وب عقل الحزب لا بعقلها، والعقل السليم هو الذي ما يراه الحزب سليما.

فحين يمثل (أوبراين) الأداة التي يستعملها الحزب كجلاد وأستاذ ومحقق وطبيب ورجل دين، من أجل جعل العقول سوية وفق ما يقتضيه الحزب.

ولعل هذا هو الغرض الذي يقوم به العمال داخل وزارة الحب، والذي يشرحه (أوبراين لونستون) قائلا: "لماذا يأتي الناس إلى وزارة الحب؟ لمداواة علتهم"³.

فالإنسان المعارض داخل أوقيانيا أو الذي يعتقد أن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة، لابد أن يكون مريضا ويعاني من علة، ولهذا وزارة الحب كان عملها مداواة الناس، وجعلهم بصحة عقلية جيدة.

تظهر شخصية (أوبراين) العالم بالسياسة، عبر المبادئ التي يشرحها عن طرق التحكم بالشعوب، وكيفية شرحه لأخطاء الأنظمة السابقة، وكيفية تحويل الثائرين إلى شهداء، كما يعتبر كل الأنظمة السياسية السابقة كانت تملك أسلوبا تقليديا في المحافظة على السلطة، غير أن نظام الحزب الذي يخدمه (أوبرين) هو الأنجح والأقوى، فهو يقول: "ألم أقل لك قبل لحظات أننا نختلف عن طغاة الماضي، إننا لا نترك أثرا لضحايانا، ستمحي كل علاقة لك بالماضي كما بالمستقبل، وستصبح كأنك لم تكن"⁴.

وبكل فخر واعتداد بالنفس يشرح (أوبرين) كيف سيكون (ونستون) بعد غسيل الدماغ، "ستكون أجوفا لأننا سنعصرك حتى تصبح خواء من كل شيء، ثم نملئك بذواتنا"⁵.

كما لعبت هذه الشخصية دور القوة الذهنية للحزب، تلك القوة التي بإمكانها تجديد عقول كل الناس وصناعتها في قالب سبق للحزب أن حدده، تلك القوة التي تحدد الفكر وتعتبر التفكير في الإثم واقترافه هو الأمر نفسه، ف(أوبراين) هو شخصية الطاغية في صورتها الذهنية والجسدية، إنه الطاغية المفكر والطاغية المعلم والطبيب والرامي، وكذلك الجلاد الذي يعذب الناس ويلقي عليهم محاضرات في التاريخ السياسي وفي اللغة السياسية يصلح فشل الأنظمة السابقة، لهذا يقول (ونستون) سجينه "إن أول ما يتوجب عليك فهمه هو أننا لا نسمح لأحد بأن يخرج من هذا المكان شهيدا"⁶.

يمكن لنا أن نحدد الوظيفة السياسية لهذه الشخصية في الرواية في هذا المخطط:

¹ - المصدر نفسه، ص296.

² - المصدر نفسه، ص297.

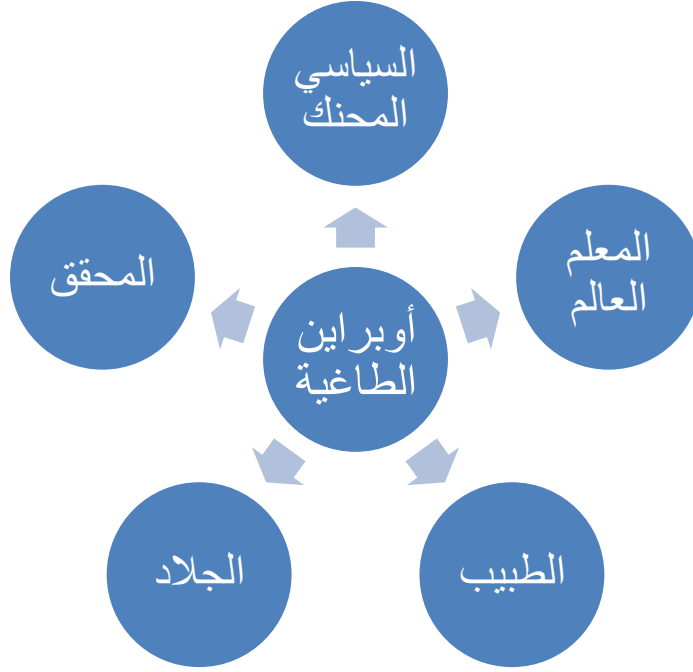
³ - جورج أورويل، 1984، ص299.

⁴ - المصدر نفسه، ص301.

⁵ - المصدر نفسه، ص305.

⁶ - جورج أورويل، 1984، ص287.

شخصية أوبراين: _____ عضو داخلي في الحزب _____ يعمل في
وزارة الحب _____ طاغية.



شكل (9) : شخصية أوبراين ومرجعيتها السياسية في رواية 1984.

- أوبراين في الرواية هو عضو في الحزب الداخلي يعمل في وظيفة مرموقة بوزارة الحب، يدعي أنه صديق (ونستون) حتى يجعله ييوج بعصيانه وأفكاره المعارضة للحزب.
- يلعب دور السياسي المحنك في طرح أفكار الحزب ورؤيته وطريقة احتواء المجتمع.
- يتخذ دور المحقق الذي يستخلص الحقائق عبر الاستجواب والاستتطاق بمختلف الطرق وأبشع الوسائل.
- يتخذ دور الجلاد الذي يعذب الضحية دون رحمة.
- يتخذ أيضا دور الطبيب الذي يقوم بمداواة علة العقول العاصية.
- شخصية ونستون سميث:

تتقاطع هذه الشخصية في رواية 1984 مع شخصية المثقف والثائر والعامل في الحزب السياسي الخارجي، إنها شخصية من الطبقة الاجتماعية العامة، ثم تتطور عبر تقلد وظيفة داخل إحدى وزارات الحزب، إنها شخصية تحمل بذور الحرية والتحرر وتبحث عن الديمقراطية، وتساعل التاريخ، شخصية المعارض الذي لا يتقبل كل شيء بصدر رحب، بل يغربل المفاهيم ويبحث عن الحقيقة، تظهر هذه الشخصية الفاعلة التي تحرك أحداث الرواية منذ البداية، "إنه في التاسعة والثلاثين من عمره، ويشكو من دوال فوق كاحله الأيمن، ويحمل جسمه النحيل الضئيل الذي زاد من ضآلته الزى الأزرق، وهو لباس الحزب، وكان شعره

مائلا للشقرة، أما بشرته فكانت مخشوشنة من أثر الصابون الرديء وشفرات الحلاقة الغير حادة"¹.

يتجلى وعي هذه الشخصية بالواقع الذي يعكسه عبر مراحل، من خلال القوانين الصارمة التي يفرضها الحزب، فهو يضع شاشة الرصد في كل بيت، ويتجسس على جميع الناس، وهذا ما يذكره (ونستون) بوعي صريح، قائلا في نفسه: "كان عليك أن تعيش بحكم العادة التي تحولت إلى غريزة، مفترضا أن كل صوت يصدر عنك مسموع، وأن كل حركة مرصودة"².

وقد لخص (ونستون) طبيعة الاستحواذ عند الحزب قائلا: "يستحوذ هوى السلطة على الجميع، حتى تتحول إلى واحدة من الرغبات الأساسية الغريزية"³.

وهنا يتجلى الوعي أو المثقف داخل شخصية (ونستون)، فهو يعيش مضطربا وقلقا منذ سنوات، جراء الاضطهاد الذي يفرضه الحزب من قهر للحريات، حتى في أبسط الأشياء، وهذا ما لخصه قائلا: "إنك لا تملك إلا تلك السنتيمترات المكعبة داخل جمجمتك"⁴، هي مجال الحرية الفردية التي لا يستطيع الحزب النفاذ إليها، وهي التي كونت شخصية الثائر، داخل ذلك العامل البسيط الذي يعمل في وزارة الحقيقة، ويعيش على صناعة الكذب داخل هذه الوزارة، فهناك يتم إعادة كتابة الماضي، مع ما يقتضيه الحزب، وهو على وعي تام بأن عمله يقتضي بقاء الحزب، وبالتالي بقاء الاستبداد والاضطهاد، وهذا الوعي هو ما يطلق عليه جريمة الفكر، والتي خصص لها الحزب شرطة خاصة تعرف بشرطة الفكر، يقول (ونستون): "إن جريمة الفكر لا تقضي إلى الموت، بل الموت نفسه"⁵.

تبدأ هذه الجريمة في الظهور بعدما يقتني (ونستون) مذكرة وراح يكتب فيها ما يجول في خاطره من أفكار، وهو يتساءل "لمن يكتب هذه المذكرات، أكتبها للمستقبل أم للأجيال القادمة"⁶.

ولعل ما يشغل روح الثورة، هو الحلم الذي كان يرافقه حيث يسمع صوت (أوبراين) يقول له: "سألتقي حيث لا يوجد ظلام"⁷.

فهذا الأمل بمكان جميل يملأه النور والسعادة، هو ما جعله يثور على الحزب، إنه يكره الأخ الكبير، ولا يملك أي ولاء للحزب، وقد أسعده أن هناك من يشاركه أفكاره الدائرة، وتحمس لينتقل إلى مرحلة المعارض، بعدما تعرف على فتاة تدعى جوليا، التي كتبت له أحبك في ورقة صغيرة، فأصبح يحبها رغم أنه كان يعتبرها، إحدى عناصر شركة الفكر،

¹ - جورج أورويل، 1984، ص 08.

² - المصدر نفسه، ص 09.

³ - سعيد محمد رحيم، أنطقة المحرم، المثقف وشبكة علاقات السلطة، دار صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 2013، ص 09.

⁴ - جورج أورويل، 1984، ص 35.

⁵ - المصدر نفسه، ص 36.

⁶ - المصدر نفسه، ص 13.

⁷ - المصدر نفسه، ص 32.

وقد فكر مرارا بقتلها إذا ما سمحت له الفرصة، لقد أصبح يمارس الجنس معها في خفاء عن أعين الحزب، هذا الأخير الذي يضع قوانين صارمة حول موضوع الجنس، وهو ما ولد في نفس (ونستون) الخوف الشديد الممزوج بكراهية اتجاه الحزب، يقول: "إن ألد أعدائك هو جهازك العصبي، وهو ما يعتمل في نفسك من توتر قد يورطك في عمل لا تحمد عقباه"¹، نعم فممارسة الجنس وكتابة المذكرات، والاختلاء مع فتاة تعمل داخل الحزب هو عصيان، وتمرد وثورة على الحزب، وجريمة فكر، فالحزب يعتبر الجنس شيئاً مقبهاً، إلا إذا تعلق الأمر بعملية صناعة طفل أو (أرتسيم) أو كما يسميها نساء الحزب، واجبنا اتجاه الحزب فالجنين هو هدية العلاقة الجنسية للحزب، والذي بدوره سيصبح مقاتلاً أو فرداً في شرطة الفكر أو جاسوساً.

وهذا ما يجعل من (ونستون) مجرماً لأن غايته من الجنس كان الحب والمتعة، وهي الغاية التي تتعارض مع الحزب الذي كان هدفه "تجريد العملية الجنسية من كل لذة"². كما لم يكن يأمل في الحرية والديمقراطية إلا عن طريق عامة الناس، فأفراد الحزب الخارجي والداخلي ميؤوسا منهم، فهم أصبحوا مجرد آلات تعمل مبرمجة للعمل على هواه، إذ يقول: "إن كان هناك أمل، فالأمل يكمن في عامة الناس"³.

إلى هذا الحد، نجد أن شخصية (ونستون) اتخذت شكل شخصية المثقف النائم والمعارض السياسي، وأصبح عصيانه واعتراضه على مبادئ الحزب فعلياً، أي انتقل من القول إلى الفعل، جراء صراع داخلي كاد يقوده إلى الجنون، لهذا يقول: "إنني أفهم كيف، لكني لا أدرك لماذا"⁴، فهو يفهم كيف يظل الحزب الجماهير وطرقه الاستبدادية في الاضطهاد، ولكنه لا يفهم لماذا، إنه يعاني الشك، شك المثقف، شك الوعي، وشك الباحث عن الحقيقة وهنا يظهر دور المثقف "وهو يدس أنفه في الشأن السياسي في سبيل المثال أن يجد ما أمكن إغواء السلطة، وأن يفضح آلياتها التي تمارس من خلال القهر والقمع"⁵.

وهكذا راح يكتب مذكراته ويفضح سلطة الحزب الحاكم أمام الأجيال القادمة، ويلبس جبة المثقف الذي تنتجه "إشكالية علاقته مع السلطة، أو بالأحرى إشكالية علاقة الثقافة بالسلطة"⁶، فتقافة (ونستون) الناتجة من احتكاكه بالحزب عبر العمل في وزارة الحقيقة، واكتشافه لحجم الفظاعة التي يمارسها الحزب على المجتمع، جعلته يخاطب (جوليا) قائلاً: "هل تعلمين أن الماضي ابتداء من أمس قد تم محوه محو تاماً"⁷، فلا أحد يعلم تحديداً ماذا

1 - جورج أورويل، 1984، ص72.

2 - المصدر نفسه، ص74.

3 - المصدر نفسه، ص83.

4 - المصدر نفسه، ص94.

5 - سعيد محمد رحيم، أنطق المحرم المثقف وشبكة علاقات السلطة، ص11.

6 - جورج أورويل، 1984، ص23.

7 - المصدر نفسه، ص182.

كانت عليه الحياة قبل الثورة، أو كما يقول (ونستون): " فقد بات من المستحيل على المرء أن يحدد عمر أي شيء في هذه الأيام"¹.

وعليه فالنظام الشمولي هو النظام القائم على البعد الواحد الرفض للآخر، يتمركز حول ذاته، فكل القوانين يضعها وحده، وكل الأحكام يصدرها دون اعتبار، ولهذا قام بتزوير الماضي والتحكم في الحاضر وهو يصنع المستقبل الذي يليق به، وهذا شعار الحزب ومفهومه حول التحكم والمحافظة على السلطة، "إن من يتحكم في الماضي يتحكم في المستقبل، ومن يتحكم في الحاضر يتحكم في الماضي"².

فونستون لم يجد الخلاص من القيود التي يفرضها الحزب، فقد فَقَدَ الأمل في الناس، وفي أعضاء الحزب الخارجي، ولهذا يكتب إلى الأجيال القادمة ويشرح المفاهيم التي طمسها الحزب، فالحزب يقول أن اثنين زائد اثنين يساوي خمسة، وقد يساوي ثلاثة، وأربعة، وخمسة معا"³.

كما يكتب للأجيال القادمة أن الحرية هي حرية القول، أن اثنين واثنين يساويان أربعة، فإذا سلم بذلك سار كل شيء آخر في مساره السليم"⁴، إنه يؤمن بالحرية والديمقراطية، يؤمن بالمساواة، ويؤمن أكثر بالغد، بالأجيال القادمة التي ستقضي على العبودية والاستغلال، ولهذا صار ما يؤمن به واضحا على وجهه، وهذا ما جاء على لسان (جوليا) حين قالت له: "إن شيئا ما في وجهك شجعني على خوض المغامرة، إنني ماهرة في اكتشاف الأشخاص الذين لا انتماء لهم، فما إن رأيته حتى أيقنت أنك ضدهم"⁵.

فانضمام (جوليا) إليه ومشاركتها أفكاره حفزه على الاستمرار في تفكيره، في عصيانه، وفي حبه للحرية، وهذا الإصرار هو الذي قاده إلى (أوبرين)، فهو دائما يعتقد أنه يحمل الكره اتجاه الأخ الكبير، وهكذا التقى أوبرين وشرب نخب العصيان والتمرد على الحزب"⁶.

لقد صار (ونستون) في الأخير فردا في الأخوية، تحت قيادة (إيمانويل كولدشتاين) الزعيم الروحي للثورة ضد الحزب، وراح يأمل هو و(جوليا) حياة سعيدة في الغرفة التي كانت تضم لقاءاتهما السرية.

تحول (ونستون) إلى ثائر، هذا التحول الذي قاده إلى وزارة الحب، "بعدما أُلقت شرطة الفكر القبض عليه"⁷، وهكذا كان مساره من عامل في الحزب الخارجي في وزارة الحقيقة، إلى مثقف يكتب للأجيال القادمة، وإلى معارض لمبادئ وأفكار الحزب، ثم ثائر

¹ - المصدر نفسه ، ص170.

² - المصدر نفسه، ص292.

³ - المصدر نفسه، ص295.

⁴ - المصدر نفسه، ص95.

⁵ - جورج أورويل، 1984، ص145.

⁶ - المصدر نفسه، ص202.

⁷ - المصدر نفسه، ص260.

مستعد لتنفيذ عمليات ضد الحزب، وفي الأخير صار سجين يحمل الرقم 16079، قابع في وزارة الحب في المكان الذي لا ظلام فيه، إنه المكان الذي لا تطفئ فيه الأنوار، وهو نفسه المكان الذي كان (أوبرين) يهيمس له به، وكان (وينستون) يعتقد أنه المستقبل المليء بالأمل. ف (أوبرين) في الحقيقة ما هو إلا مجرد موظف في وزارة الحب، إنه المحقق والجلاد والمعلم، الذي سيعلم (ونستون) التفكير المزدوج، والطبيب الذي يداوي علته، ففي أول مقابلة بينهما في وزارة الحب قال له: "لقد كنت تعلم ما سيؤول إليه أمرك فلا تخدع نفسك لقد كنت دائما تعرف ذلك²، فلا احد ينجو من قبضه الحزب ولا احد يفكر بوعي ولا يدفع ثمن جريمته، وهذا هو الأسلوب الذي تنتهجه الأنظمة الشمولية الديكتاتورية في قمع الحريات، إنها تعتمد السجون، والزنايات القابعة في باطن الأرض، وفي هذه الأماكن أعيد تأهيل (ونستون)، وغسل دماغه، وتعذيبه أشد العذاب.

لقد فهم عبر مراحل التأهيل كيف يحب الأخ الكبير، وكيف ينتمي إلى الحزب، وصار في الأخير محبا ومخلصا للحزب والأخ الكبير، فبراين أهله من جديد، وشرح له فلسفة الحزب وتفكيره، قائلا: "نحن لا نحطم أعداءنا فحسب، وإنما نغير ما بأنفسهم³.

وهذا ما أكدته (أوبراين) في الأخير، وهو يشرح ماذا يحدث للضال الذي يخرج عن القطيع، "إننا نسعى لأن نغيره، ونقبض على عقله، فنصوغه في قالب جديد"⁴. لقد وظف (أورويل) شخصية (ونستون) وشرح عبرها القاعدة التي تتشكل منها شخصية المثقف الذي يُخلق من إشكالية في العلاقة بينه وبين السلطة، وكيف يتحول هذا المثقف إلى معارض، يبحث عن التغيير وكيف يصير المعارض ثائرا، ثم ينتهي به الأمر إلى سجين، حيث يعيد تأهيله من جديد، وإخراجه بعقل سليم، على حد تعبير (أوبراين) وهو يعذب (ونستون)، "بمزيد من الجهد والجد، فليس من السهل أن تصبح سليم العقل"⁵. كما يجعل من وزارة الحب مركزا لعلاج أمراض التفكير، قائلا: "لماذا يأتي بالناس إلى وزارة الحب؟ لمداواة علتهم"⁶.

هذا هو منطق الحزب الأحادي والأنظمة الشمولية، إنها ترفض الآخر، فالنظام الاستبدادي يكرس سلسلة من الممنوعات والمحرمات، ويوصلها في اللاشعور الجمعي للمجتمع الذي فرضت عليه، حتى تصبح من طبائع الأشياء أو من نواميس الإله"⁷.

¹ - ينظر، المصدر نفسه، ص268.

² - ينظر، جورج أورويل، 1984، ص282.

³ - المصدر نفسه، ص299.

⁴ - المص

در نفسه، ص300.

⁵ - المصدر نفسه، ص297.

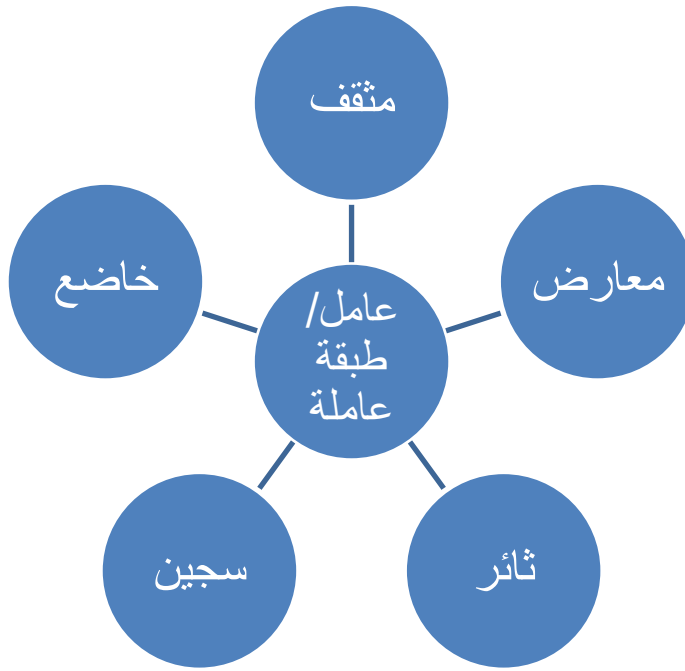
⁶ - المصدر نفسه، ص299.

⁷ - سعيد محمد رحيم، أنطق المحرم، المثقف وشبكة علاقات السلطة، ص44.

هذا ما أمن به (ونستون) وأصبح في ذهنه حقيقة، ليصبح شخصية خاضعة كما كانت عليه، فارغة من كل فكر، مليئة بمحبة الأخ الكبير، إنها الشخصية التي يكرسها ويحافظ عليها كل نظام ديكتاتوري.

يمكن أن نلخص دور (ونستون سميث) في الرواية في هذا المخطط:

ونستون سميث : _____ عامل في وزارة الحقيقة _____ معارض خاضع.



شكل (10): مخطط يوضح مرجعية شخصية ونستون سميث في رواية 1984.

- ونستون سميث عامل في وزارة الحقيقة يزور الحقيقة والتاريخ والماضي (شخصية العامل).

- ونستون سميث معارض للحزب عبر مجموعة من الجرائم، أولها جريمة التفكير والوعي، ثم يصبح معارض سياسي يبحث عن انتماء إلى الأخوية المعارضة، ثم يتحول إلى تأثر قادر على القيام بعمليات ضد الحزب (شخصية المعارض).

- ونستون سميث سجين في وزارة الحب حيث يعاد تأهيله، ليصبح أكثر شخصية خضوع، وصاحب عقل أكثر سلامة (شخصية الخاضع).

•جوليا:

تتقاطع هذه الشخصية مع المرأة المحفزة والطموحة في التغيير، النشيطة، وهي تأثرة ومعارضة وذكية، إنها المحفز الذي يجعل (ونستون) يدخل غمار الثورة ضد الحزب، إنها تلعب دور المكمل للرجل، وكان دورها الاجتماعي في دفعه نحو الحرية والديمقراطية.

تظهر شخصية (جوليا) كفتاة جميلة عضوة في رابطة محاربة الجنس، تعمل في وزارة الحب كانت دائما ترمق (ونستون) بنظرات مريبة، حتى اعتقد أنها موكله بالتجسس عليه، كما تظهر هذه الفتاة في الرواية على أنها "فتاة جريئة الطلة وفي السابعة والعشرين من العمر، شعرها كثيف، وجهها فيه نمش، وجسم رياضي، تنمطق بحزام قرمزي يحمل شارة رابطة الشبيبة المناهضين للجنس"¹.

كما أن هذا النوع من النساء في الحزب، يشاع عليهن "أنهن يمارسن الجوسسة، ويحشرن أنوفهن بكل صغيرة وكبيرة، غير أن جوليا كانت تبدو أخطرهن"²، وكانت غالبا ما ترمق (ونستون) بنظرة مخيفة، "حتى صار يشعر بعدم الارتياح الممزوج بالخوف كلما رآها على مقربة منه"³.

لقد كان الحزب يستغل النساء عبر مجموعة من الخطوات، فهو يجبرهن على وضع حزام على خصرهن، وهو رمز للعفة، كما أن أغلبهن يمثلنا حركة الشابات المناهضات للجنس، ولهذا فقد كانت النساء تمثلن السياسة بإقصاء وتهميش الرجال، فالرغبة الجنسية كانت لا تشبع بل منعدمة، لأن الكبت الجنسي يجعل الشعوب تملك قابلية العبودية، وكان (ونستون) يعتقد أن (جوليا) مثل كل النساء في أوقيانيا، لهذا كان يكرهها، "لقد كان يبغضها لجمالها وصغرها وعزوفها عن الجنس، ولأنه كان يمني نفسه بأنه يكون معها في فراش واحد، لكن ذلك لم يكن ممكنا، لأنها تحيط حصرها بحزام قرمزي كريه، وهو رمز العفة"⁴.
لقد اتخذت شخصية (جوليا) دور الجاسوسة، كما أنها كانت تبدو عنصرا من شرطة الفكر، فهي غالبا ما كانت تراقب (ونستون) من بعيد أو قريب، "وأحس بالعرق يتصبب عن عموده الفقري، وتساءل ترى ما الذي يجعلها تراقبه؟، ولماذا تتبعه إلى كل مكان؟، فقد لا تكون عضوة في شرطة الفكر، وفي هذه الحالة من المؤكد أنها من الجواسيس وهم الأشد خطرا"⁵.

هذه الشخصية غالبا ما كان الحزب يصممها حول النساء في أوقيانيا، إنهن نساء قويات وشابات يمارسن الرياضة والجوسسة، وعفيفات يبغضن الجنس، ونادرا ما يتزوجن، إلا إذا كان الأمر لصالح الحزب من أجل صناعة طفل يخدمه.

تتخذ شخصية (جوليا) بعد تطور الأحداث شخصية الحبيبة والعاشقة، وكان ذلك بعدما سقطت أمام (ونستون) وباحت له بحبها، "في قصاصة كُتِب فيها كلمة أحبك"⁶، ومنذ تلك اللحظة تحولت إلى حبيبته وتلتقي به في الغابة، والغرفة التي استأجرها في شارع العامة.

¹ - جورج أورويل، 1984، ص16.

² - المصدر نفسه، ص17.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - جورج أورويل، 1984، ص22.

⁵ - المصدر نفسه، ص74.

⁶ - المصدر نفسه، ص124، 125.

كشف دور (جوليا) كحبيبة في تلك اللقاءات السرية عن فكرها الثوري المعادي للحزب وكل ما يرتبط به، من شعارات وسياسته حول الجنس.

كما أنها بارعة في إخفاء اللانتماء ومعاداتها للحزب، فهي تذهب إلى السوق السوداء الممنوعة على أفراد الحزب وتؤدي واجباتها تجاه الحزب بكل تفاني واحترافية، وقد تجلى ذلك من قول (ونستون): "أما جوليا فقد بدا أنها لا تستطيع أن تأتي على ذكر الحزب وعلى الأخص قيادة الحزب دون أن تستخدم ذلك اللون من الكلمات التي تُرى مرسومة بالطباشير على جدران الأزقة الضيقة الفقيرة"¹.

إنها ثائرة، تقوم بكل شيء يطلو لها، أن تمارسها الجنس مع كل الرجال ومع رجال الحزب أيضاً، "إنها القوة التي تمزق الحزب إلى أشلاء"².

لقد كان عناقها معركة، ونشوتها نصرا، كانت صفعه على وجه الحزب، بل فعل أحد سياسي"³.

لقد اتخذ الجنس والحب فعل التحدي السياسي وفعل المعارضة والثورة على الحزب، وكانت (جوليا) تستمتع بذلك، فهي شخصية ثائرة تقوم بدورها على أكمل وجه، وهي في اعتراضها وثورتها هذه يصفها ونستون قائلا: "إنك ثائرة من خصرك فما دونه فحسب"⁴. غير أن هذه الشخصية الثائرة تتخذ بعد عملي بانضمامها إلى الأخوية مع (ونستون) في محاولة لمحاربة الحزب مع القائد الروحي (إيمانويل كولدشتاين)، لينتهي بها الأمر إلى سجنه.

يتشكل دور السجينة السياسية بعد إلقاء القبض عليها من طرف شرطة الفكر، فقد حملها خارج الغرفة كأنها كيس من الخيش، وكان وجهها شاحب اللون، مغلق العينين، وكان هذا آخر ما رأى (وينستون) منها"⁵.

لقد تعرضت (جوليا) إلى عذاب شديد، وقد أفرغت منها كل أفكارها الثورية، وتحولت إلى مواطنة خاضعة، تحب الأخ الكبير، مثلها مثل (ونستون)، وجاء ذلك في قول (أوبراين): "لقد خانتك يا ونستون بلا إبطاء أو تحفظ، إنني لم أرى في حياتي إلا نادراً، أحدا يتوب إلى رشده بمثل هذه السرعة، ولو أنك رأيتها الآن ما عرفتتها، بعد أن اجتننا كل ما علق بها من أدران التمرد والفراغ والجهالة والميول الجنسية لقد حدث لها تحول تام وأصبحت نموذجا يُحتذى ويدرس"⁶.

وهذا مصير كل ثائر على الحزب، إنه يتعرض لغسيل الدماغ، ويصبح شخصية خاضعة، هانية، ونموذجا يُحتذى به في الولاء والطاعة، وهذا ما شعر به (ونستون) عندما

¹ - جورج أورويل، 1984، ص143.

² - المصدر نفسه، ص147.

³ - المصدر نفسه، ص148.

⁴ - المصدر نفسه، ص184.

⁵ - المصدر نفسه، ص262.

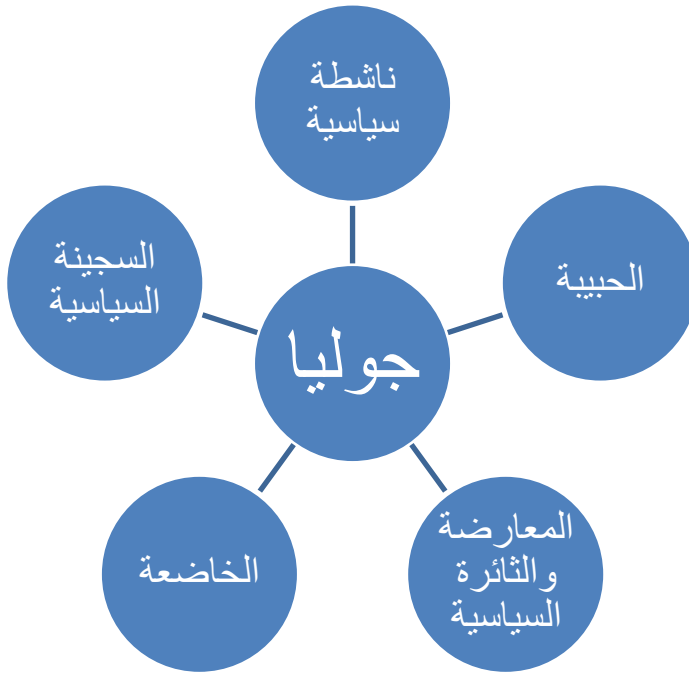
⁶ - جورج أورويل، 1984، ص305.

التقى بها آخر مرة، بعدما تحولاً إلى خاضعين، "فقد أحس بأن جسم (جوليا) الذي يطوقه بذارعه، قد أصبح أشبه بتلك الجثة، كما شعر بأن نسيج جلدها قد بات مختلفاً كلياً عن ما كان عليه من قبل"¹.

وهكذا تحولت شخصية (جوليا) إلى شخصية فارغة من الحياة، خاضعة للحزب، بعدما كانت ثائرة ومعارضة، أصبحت سجيئة وخاضعة.

يمكن لنا أن نلخص دور (جوليا) في الرواية في المخطط الآتي:

جوليا: عضو في الحزب الخارجي في وزارة الحب ————— سياسية ناشطة وعضوة في رابطة الشباب المناهضات للجنس.



شكل(11) : شخصية جوليا ومرجعياتها في رواية 1984.

- (جوليا) مثلت دور المرأة العاملة في وزارة الحب، تابعة للحزب الداخلي، تعتبر ناشطة سياسية، ولها شخصية قوية وجذابة ومثيرة، وترتدي حزام العفة.
- تتحول (جوليا) إلى حبيبة تعشق (ونستون سميث)، وبالتالي تخرق قواعد الحزب، وتقع في موقف المعارض لسقوطها في المحذور.
- (جوليا) تنمي أفكارها ومقننتها للحزب، وتصبح لها قابلية النهوض بثورة ضده، وتتخذ شكل الثائرة والمعارضة السياسية.
- (جوليا) سجيئة في قبضة الحزب، ومتهمة بالثورة عليه، وتتعرض لعذاب شديد، وغسيل الدماغ، يجعلها مؤهلة للعيش من جديد بعقل سليم وخاضع.
- (جوليا) خاضعة بعد تطهيرها من الأفكار السيئة التي انتابتها اتجاه الحزب.

¹ - المصدر نفسه، ص343.

• شارنغتون:

تتقاطع هذه الشخصية مع شخصية الجاسوس الذي يتخذ شكلا يخفي داخله وجهه الحقيقي، فهو الرجل الذي يعيش مع الطبقة العامة في إحدى شوارع لندن، لم يكن يوما من عامة الناس.

ولهذا يبدو في الرواية في بعدين، البعد الأول هو الاجتماعي الذي ينتمي إلى الطبقة العامة، أما البعد الثاني فهو البعد السياسي، كونه عنصرا من عناصر شرطة الفكر، يعمل متخفيا من أجل الإطاحة بالمتطرفين على الحزب.

تظهر شخصية (شارنغتون) على أنه صاحب المتجر، "وهو رجل في حوالي الستين من عمره، يبدو عليه الضعف، ومحدودب الظهر، وذو أنف طويل جميل، وعينين هادئتين، شوتهما نظارة غليظة"¹.

كما يعيش متخفيا في حياة اجتماعية بعيدة كل البعد عن السياسة والحزب، إنه رجل مزال يعيش وكأنه قبل الثورة، فهيئته تبدو كهيئة "رجل فكر، كما لو كان أديبا أو موسيقيا، وكان صوته ناعما ولهجته أقل خشونة من لهجة غالبية العامة"².

فهو يتقن عمله بدقة، هذا العمل الذي يعتبره الحزب عملا يعارض مبادئه، إنه يملك متجرا لبيع القطع الأثرية، فهو في نظرة الحزب يبيع حكايات لها علاقة بالتاريخ الحقيقي قبل أن يزيفه الحزب، لذلك كان كل من يدخل إلى متجره يعتبر متمردا، لأنه جاء لبحث عن الحقيقة

لهذا كانت هذه الشخصية تأخذ دور المستدرج لضحاياه نحو مزالق الموت والعذاب، وذلك عبر الحكايات³، التي كان يقصها على زبائنه، ليتأكد من عدم ولائهم للحزب.

هذه هي شخصية الرجل الذي ينتمي إلى الطبقة العامة، ويعيش ويقتات من بيع مواد أثرية في حانوت شبه فارغ، بإحدى شوارع لندن الفقيرة.

يفاجئنا (أورويل) بعد تطور الأحداث وبعد استئجار (وينستون) لغرفة فوق محل السيد (شارنغتون)، بأنه أحد عناصر شرطة الفكر، وذلك بعدما حاصرت شرطة الفكر الغرفة، وألقت القبض على (ونستون وجوليا)، ولما علما أن حياتهما انتهت تساءل (ونستون) عما إذ كانوا قد ألقوا القبض على السيد شارنغتون⁴، فحتى هذه اللحظة ظل ونستون يعتقد أن شارنغتون هو مجرد عجوز من الطبقة العامة، يعيش في محله الحقيق، إلى أن سمع وقع خطى أخف على الأرض، إنه السيد شارنغتون، وقد دلف إلى الغرفة، وللتو بدت علامات الخضوع على وجوه الرجال ذوي الزي الأسود، كما بدا أن ثمة تغيير قد طرأ على هيئة

¹ - جورج أورويل، 1984، ص109.

² - المصدر نفسه، ص109.

³ - ينظر، المصدر نفسه، ص112.

⁴ - جورج أورويل، 1984، ص262.

السيد شارنغتون الذي وقعت عيناه على شظايا النقل الزجاجي، فقال بحدة: اجمعوا هذه الشظايا"¹.

فقد اتضح أن السيد (شارنغتون) عنصر مهم وقائد لهذه الفرقة التي قبضت على (ونستون)، فقد اختفت لهجة أحياء لندن الفقيرة عنه، "كما أنه حدج ونستون بنظرة حادة، كما لو أنه يتحقق من هويته، ثم لم يعره بالا بعد ذلك"².

فقد تغير كل شيء في هذه الشخصية، "تقاسيم وجهه، أنفه قد بدا أقصر مما كان عليه، إن له وجها باردا يوحي بأن صاحبه لا يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره، وسرعان ما انتبه ونستون، أنه لأول مرة في حياته يرى بأم عينيه عنصرا من عناصر شرطة الفكر"³.

وظف (جورج أورويل) شخصية الجاسوس في بعديها المتضادين، البعد الاجتماعي الذي ينتمي إلى الطبقة العامة، والبعد السياسي الذي ينتمي إلى الحزب الحاكم، عبر شخصية (شارنغتون)، الذي يعمل متخفيا وسط عامة الناس، بينما هو عنصر هام من عناصر شرطة الفكر، وقد صور الكاتب بدقة أبعاد هذه الشخصية في حالتها، ببعدها الخارجي والداخلي.

لنا أن نوجز ما ورد عن هذه الشخصية في هذا المخطط:

شخصية شارنغتون: _____ صاحب متجر من الطبقة العاملة _____
عضو في الحزب الداخلي.

_____ عامل بسيط _____ طبقة عامة
_____ مرجعية اجتماعية.

_____ جاسوس _____ طبقة
_____ سياسية _____ مرجعية سياسية.

شكل (12) : شخصية شارنغتون ومرجعياتها في رواية 1984.

- (شارنغتون) رجل في الستينيات يعمل في متجر في إحدى شوارع لندن الفقيرة ينتمي إلى الطبقة العامة.

- يعمل في الحزب الداخلي، وعنصر مهم من عناصر شرطة الفكر، يعمل متخفيا في متجر من أجل خدمة الحزب، والقبض على المتمردين.

2-2-4- شخصيات أدبية سياسية : وجدناها تتجسد في شخصية واحدة هي:

• سايم:

تتقاطع شخصية (سايم) في مرجعيتها مع شخصية العالم اللغوي الذي صبر أغوار اللغة وعرف أسرارها، والمختص في كتابة لغة جديدة، يعمل في دائرة البحوث، "كان سايم

¹ - المصدر نفسه، ص263.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لغويا اختصاصيا في اللغة الجديدة، يعمل ضمن فريق الخبراء يعكفون على تصنيف الطبعة الحادية عشر من اللغة الجديدة"¹.

فهو اللغوي في الحزب السياسي، "كان مخلوقا ضئيل الجسم، ذا شعر أسود، وعينين واسعتين جاحظتين عليهما مساحة من الحزن المفعم بالسخرية، يبدو كأنهما تتفحصان وجهك أثناء حديثه إليك"².

ورغم التقديم الفخم لهذه الشخصية، غير أنها ليست في مستوى المنصب من الناحية المادية، فهي أيضا شخصية عاملة تعاني الفقر والاحتياج، وهذا ما يتجلى من خلال سؤاله صديقه (وينستون): "كنت أود أن أسألك ما إذ كان لديك شفرات حلاقة "³.

كما أنه كان شديد الولاء للحزب، ورغم ذكائه المتقدم، فهو كغيره من أعضاء الحزب، يستمتع لمشاهدة الإعدامات والمجازر التي يقوم بها الحزب، ولهذا تجده يشرح عملية الشنق التي حضرها مؤخرا، "كانت عملية شنق جيدة، غير أنهم على ما أعتقد أفسدوها بربط القدمين معا، كنت أحب أن أراهم وهم يرفسون بها"⁴.

كما أن حبه للحديث عن جماليات اللغة واللغة الجديدة لا يضاهي شيئا آخر، ويظهر ذلك بعدما سألته (وينستون) قائلا: " أين وصلت بالمعجم؟ قال سايم: إنني أتقدم ببطء،، إنني في باب النعوت، إنه عمل جذاب، وتألق وجهه مباشرة لدى ذكر اللغة الجديدة"⁵.

إن هذه الشخصية العالمية بأصول اللغة، وصفها السارد على أنها متعلقة باللغة، وتعمل على صناعة معاجم منها، معاجم من اللغة الجديدة، ولكن هذا الإعجاب والذكاء كان يخدم الحزب لغرض غير مشروع، غرض سياسي يتجلى في شرح (سايم) قائلا: "إننا نصوغ اللغة في شكلها النهائي، ذلك الشكل الذي لن يجري حديث بغيره، عندما نفرغ منه فإنه يتحتم على الآخرين من أمثالك أن يتعلموا من جديد مرة ثانية، لعلك تظن أن مهمتنا الرئيسية هي ابتكار كلمات جديدة، لكن لا، ليس هذا ما نقوم به البتة، إننا نقوم بتدمير الكلمات، عشرات بل مئات الكلمات كل يوم يجري تدميرها، إننا نسلخ اللغة حتى العظام، فالطبعة الحادية عشر لن تحتوي على كلمة واحدة يمكن أن يسهل استخدامها قبل عام 2050 "⁶.

من خلال هذا الشرح يظهر دور الحزب السياسي في استغلال اللغوي، وحمله على تمزيق اللغة، لأنه يعتبرها أداة تفكير، ولهذا كلما قلص من كلمات هذه اللغة، وحددها، كلما ضيق التفكير، وازداد الغباء والولاء اتجاه الحزب، ولهذا فاللغوي داخل الحزب كان لا يكشف عن جماليات اللغة كما هو متعارف عليه، بل كان يرى الجمال في تدميرها، يقول

¹ - جورج أورويل، 1984، ص58.

² - جورج أورويل، 1984، ص58.

³ - المصدر نفسه، ص59.

⁴ - المصدر نفسه، ص60.

⁵ - المصدر نفسه، ص61.

⁶ - جورج أورويل، 1984، ص62.

(سايم): "أنت لا تدرك روعة تدمير الكلمات، هل تعرف أن اللغة الجديدة هي اللغة الوحيدة في العالم التي تناقض مفرداتها عاما بعد عام"¹.

كما أن الغاية التي وظف من أجلها اللغوي في الرواية، لم تكن غاية معهودة في سياسات أنظمة الحكم الماضية، عندما كان اللغوي غالبا ما يكتب الحاكم من أجل قيمة مادية، أو من أجل رسم صورة ايجابية عن نظام حكم أو حاكم معين.

إن اللغوي داخل الحزب الشمولي يقوم بعملية جبارة من أجل بقاء الحزب واستمراره، ولا يكتب من أجل القارئ، بل يكتب من أجل الحزب، ومن أجل حرمان القارئ من التفكير، "ألا ترى أن الغاية النهائية للغة الجديدة هي التضييق من أفاق التفكير، حيث تصبح جريمة الفكر في آخر المطاف جرما مستحيل الوقوع من الناحية النظرية، وذلك لأنه لن توجد كلمات يمكن للمرء من خلالها أن يرتكب هذه الجريمة، فكل مفهوم يحتاجه الإنسان سيتم التعبير عنه بكلمة واحدة محددة المعنى، وغير قابلة للتأويل، أما معانيها الفرعية فيتم طمسها حتى تصبح طي النسيان، فكلما تناقض الكلمات، كلما تضائل مدى الوعي والإدراك"².

هكذا وعلى لسان (سايم)، عمد (أورويل) إلى تحليل ذهنية الحزب الحاكم الطاغية، الذي يقوم بتحديد كل شيء، ويسخر كل شيء لخدمة استمراره.

لقد شرح (وينستون) نَعْدَمُ اللغة، وتصبح مجرد ألفاظ حافة معدودة، يقول: "جد مثلا كلمة (جيد)، إذا ما كان لديك كلمة مثل (جيد)، ما هي الحاجة إذا إلى كلمة (رديء)، إن كلمة (غير جيد) تؤدي المعنى تماما، بل إنها أفضل، لأنها تحمل المعنى المضاد تماما، بينما لا تؤديه الأخرى بالتمام نفسه، ثم أيضا إذا أردت تعبير لغوي لكلمة (جيد)، ما فائدة أن يكون لديك كل هذه السلسلة من الكلمات الغامضة غير المجدية، مثل (ممتاز) و(رائع) وما شاكلها؟، ألا تعطي كلمة (جيد) المعنى، أو كلمة (جيد جدا) إذا كنت ترغب في معنى أقوى"³.

وهكذا يتم نفس اللغة القديمة نهائيا، حيث يصبح القارئ لا يعي ما يقرأه في التراث الأدبي القديم، وبالتالي تصبح أعمال (تشوسر، وشكسبير، وملتون، وبايرون)*، مجرد طلاس لا أحد يفقه كنهها، بمجرد اكتمال عملية نصف اللغة القديمة فإن كل شيء يتغير حتى أدبيات الحزب وشعاراته ستتبدل، إذا كيف يمكن أن تتبنى شعار مثل (الحرية هي العبودية) فيما يكون مفهوم الحرية نفسه قد جرى نفسه؟، إن المناخ الفكري سيكون كله قد تغير، وفي الحقيقة لن يكون هناك تفكير عن النحو الذي نفهمه الآن، فالولاء يعني انعدام التفكير بل انعدام الحاجة للتفكير، الولاء هو عدم الوعي"⁴.

1- المصدر نفسه، ص62.

2- المصدر نفسه، ص64.

3- جورج أورويل، 1984، ص62.

* مجموعة من الأدباء الأنجليز.

4- المصدر نفسه، ص64.

وبقدر ما كانت شخصية (سايم) اللغوية بارعة وذكية وتخدم الحزب بولاء أعمى، فإن الحزب لم يكن بحاجة إلى شخصية يمثل هذا النوع من الذكاء، ولذلك فكر (ونستون) أن (سايم) سيكون له مصير الاختفاء والزوال، يقول (أورويل): "وفجأة وبقناعة راسخة، فكر ونستون أن سايم لابد أن تتم تصفيته يوما ما، إنه متوقد الذكاء، والحزب لا يرغب في وجود مثل هؤلاء، يوما ما سيختفي من الوجود"¹، والحقيقة أن (أورويل) عمد إلى تقديم ذهنية الحزب حول الشخص الذكي في حد ذاته، حتى ولو كان هذا الأخير يملك إذا ما تعلق الأمر بالولاء ولقاء أعمى، فإنه لابد أن يختفي ويزول، إذ يعتبر الذكاء في حد ذاته تهديدا لاستمرارية الحزب.

والحقيقة أن (سايم) اختفى بعد مدة، "ففي ذات صباح تغيب عن عمله وفي اليوم التالي أصبح طي النسيان، ولم يأتي على ذكره أحد، وفي اليوم الثالث ذهب (ونستون) إلى قسم السجلات ليلقي نظرة على لوحة الإعلانات، وكانت إحداها تحمل لائحة بأسماء أعضاء لجنة الشطرنج التي كان (سايم) عضوا فيها، وبدأت اللائحة كما تبدو من قبل، إلا أنها نقصت اسما واحدا، وكان في ذلك دلالة كافية على أن (سايم) لم يعد له وجود، بل لم يكن له وجود من قبل على الإطلاق"².

وهكذا انتهى دور الشخصية الأدبية (سايم) في الحزب، والتي قدمت دور الأديب الذي يخدم السلطة، ولكنه دور جديد، لأن غايته كانت لأجل الحزب لا القارئ، وغايته تشويه اللغة لا جماليتها، كما عمد (أورويل) عبر هذه الشخصية إلى تقديم أسلوب جديد في الهيمنة على العقل والتفكير، بالهيمنة على اللغة، ونسف كلماتها للحد من أي انفلات فكري، ومنع التفكير حتى داخل الدماغ في حد ذاته، إذ يصبح الإنسان لا يفكر حتى في نفسه وفي داخله، ويتحول إلى آلة تخدم ولا تدرك مغزى وجودها، بل لا تملك حتى مفهوما للوجود. يمكن لنا تلخيص مرجعية هذه الشخصية في هذا المخطط:

سايم: عضو في الحزب الخارجي _____ شخصية أدبية لغوية _____ مرجعية أدبية.

لغوي ذكي _____ مرجعية أدبية سياسية. _____ الاختفاء من الوجود

شكل (13): شخصية (سايم) ومرجعياتها في رواية 1984.

- شخصية أدبية سياسية تعمل داخل الحزب السياسي في أوقيانيا تحت حكم الأخ الكبير.
- يقوم عمل هذه الشخصية على عملية صناعة اللغة الجديدة، ونسف اللغة القديمة، بهدف القضاء على التفكير أو جريمة الفكر.

¹ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² - جورج أورويل، 1984، ص157.

- يهدف عمل هذه الشخصية عبر نسف اللغة، تقديم السلطة المطلقة للحزب من خلال تقليص مفردات اللغة، وبالتالي القضاء على الفكر وضمان استمرارية الحزب.
- ينتهي مصير شخصية (سايم) إلى الاختفاء والتصفية الجسدية، من طرف الحزب، لأنه أبدى ذكاءً حاداً، وهذا ما يتعارض ومبادئ الحزب.

توصلنا من خلال الفصل الأول إلى أن الشخصية الروائية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984، لها أبعاد سياسية في كل جوانبها التاريخية والدينية والاجتماعية والأدبية، غير أنها تختلف من حيث التركيبية في كل رواية.

ففي رواية مزرعة الحيوان اعتمد الروائي على شخوص من عالم الحيوان، شكلت أقنعة شفافاً تظهر خلفها شخوصاً سياسية حقيقية مثلت تاريخ الاتحاد السوفياتي بعد انتشار الفكر الشيوعي وتسلم النظام الستاليني على رقاب الشعوب.

في هذا الفصل توضحت رؤية الكاتب السياسية لهذه الشخصيات بعدما استقاها من التاريخ، وحولها إلى شخوص ورقية، بغية مساءلتها، كاشفاً من خلالها تلك الفجوات الكبيرة التي أسقطت الماركسية في حبال الديكتاتورية.

وفق رؤية (أورويل) السياسية فإن العلاقة بين الإنسان والاستبداد نفسية متجددة في تاريخ الديكتاتورية، ففكرة المساواة وإزالة الطبقة التي نادى بها الشيوعية لا يمكن تطبيقها

بشكل تام لأن السلطة الشيوعية تشكل في حد ذاتها طبقة فوقية، في حين تشكل الطبقة البروليتارية طبقة سفلى، وبالتالي يكون هناك طغيان.

وبالنظر إلى تطور شخصية نابليون من بطل ثوري إلى طاغية في صورة ذئب، يكشف (أورويل) دور الجانب النفسي للإنسان وقابليته للتسلط والتجبر.

أما في رواية 1984 فقد رسم شخصيات ورقية لها بعد متخيل، إذ مثلت هذه الشخصيات رؤيته المستقبلية للديكتاتورية الشمولية التي أنتجت الأنظمة الفاشية والنازية والشيوعية في تلك المرحلة، فالأخ الكبير في صورة إله ما هو إلا امتداد لتطور شخصية (نابليون) في رواية مزرعة الحيوان الذي صورته الكاتب على شكل طاغية في صورة ذئب، يفتك بالأصدقاء والأهل والأصحاب من أجل السلطة المطلقة.

كما كشفت الثقافة السياسية للكاتب من خلال الروايتين قدرة المؤلف في تحويل التاريخ السياسي إلى فن أدبي روائي واستقراء الماضي، واستشراف مستقبل الأنظمة السياسية التي عاصرها.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

- 1- رؤية أورويل للنظام الديكتاتوري (النظام الماركسي).
 - 1-1- أصول الفلسفة الماركسية.
 - 1-2- الفلسفة الاشتراكية.
 - 1-3- فلسفة العمال أو الفلسفة الثورية.
- 2- مفهوم النظام الديكتاتوري.
 - 2-1- مرحلة الديكتاتورية الإيجابية.
 - 2-2- مرحلة الديكتاتورية السلبية.
 - 2-3- ديكتاتورية البروليتاريا عند كارل ماركس.
- 3- ديكتاتورية البروليتاريا في مزرعة الحيوان.
 - 3-1- ديكتاتورية البروليتاريا وفق الفلسفة الماركسية في مزرعة الحيوان.
 - 3-2- ديكتاتورية البروليتاريا كحكم استبدادي في مزرعة الحيوان.
- 4- رؤية أورويل للنظام الشمولي.
 - 4-1- مفهوم النظام الشمولي.
 - 4-2- النظام الشمولي في رواية 1984.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

يبدو أن القارئ الذي يضع نصب عينه كتابات (جورج أورويل) مزرعة الحيوان و1984، يدرك جيدا أنه لم يكن يرتدي قفازات وهو يقدم الاشتراكية إلى العالم بدون اكتراث وبدقة الخبر السياسي والناقد المتمرس لهذا النظام الذي أصبح يسود العالم خاصة بعد انتصار الشيوعيين على القيصر الروسي سنة 1917، فآثار الاشتراكية وأقوال أنصارها ومبادئها منتشرة بطريقة واضحة على صفحات نصوصه، (وحضور الثورة البلشفية) والعناوين العريضة التي قامت عليها وتميزت بها بارزة في رواية مزرعة الحيوان، كما أن الاشتراكية صُرح بها لفظا في رواية 1984، ولكنها غير تلك التي تعارف العالم عليها، والمعروفة بين الكتب، كونه أسس اشتراكية جاء بها من المستقبل في رؤية استشرافية ميزت الفكر الأورويلي وكشفت ما وراء الأنظمة التي تبنت هذا النظام الرائج.

1- رؤية أورويل للنظام الديكتاتوري (النظام الماركسي):

بدا لنا من المهم قبل الشروع في إبراز تقديم وطرح (أورويل) للاشتراكية من خلال أعماله أن نضع بين يدي الباحث مفهوم الاشتراكية وخصائصها العريضة حتى نبين تلك المآخذ التي نهل الروائي منها.

إن لفظ الاشتراكية من الألفاظ الأكثر شيوعا من القرن الثامن عشر، وأكثرها انتشارا في العالم، ولم يقتصر استعمالها في مجالات السياسة فحسب، بل شملت مختلف مجالات الحياة، بدأ بالفلسفة وعلم الاجتماع وصولا للأدب..، كما شاع ذكرها في أوساط العامة من الناس، وهذا لا يعني أن معناها سهل الفهم يسير الإدراك، بل هي مذهب فلسفي قائم ونظام اقتصادي وسياسي احتكم به نصف العالم في مرحلة ليست بعيدة من الزمن، كما تغلغل في الأوساط النقدية وقامت عليه نظريات أدبية متعددة.

1-1- أصول الفلسفة الماركسية:

تتشكل الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من بنية العصور التي تنمو داخلها، فلو تبصرنا في بنية العصر الأوروبي الوسيط اتضح لنا أن الكنيسة الكاثوليكية، قامت على دعم قوي من الكنيسة في جانبها السياسي، ومن النظام الإقطاعي في الجانب الاقتصادي، الذي دخلت فيه الكنيسة مع الإمبراطورية إلى إحداث فجوى بينها وبين عامة الناس، فأصبحت بعيدة عن دورها الوعظي الإرشادي، كما اتسعت هذه الفجوة بين عامة الناس والطبقة الإقطاعية من جانبها الاقتصادي، الدور الذي أدى هو الآخر إلى قيام الثورة

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

ضده، لأن "الطبقة العاملة لم تستطع أن تقوي نفسها وتنضج وتتطور إلا بتكوين نفسها في الحدود القومية، دون أن تكون قومية"¹.

وعلى العموم يمكن القول أن الماركسية ظهرت "كضرورة حتمية للدفاع عن وضعية الأحزاب الشيوعية في الدول الاشتراكية، في فترة عرفت هزات اجتماعية وسياسية عنيفة (ق19)، نجمت عن رواج مفاهيم الديمقراطية والتحرر وتناقضات الاقتصاد الرأسمالي، ولعل أبرز هذه الهزات تلك الحركات الليبرالية والقومية عام 1848م، وثورة العمال الباريسيين عام 1871م، وهو ما يدل على أن الاقتصار على شعارات حقوق الإنسان لعام 1789م، لم يعد كافياً، ولابد من الأخذ بعين الاعتبار مطالب الشرائح الاجتماعية الشعبية وخاصة منها البروليتاريا الصناعية"².

وقد نتج عن هذه الأنظمة السياسية بعد ثلاثة قرون من قيام الثورة البرجوازية التي تحولت عبر هذه العقود الطويلة إلى طبقة رأسمالية برجوازية، هدفها المحافظة على المكاسب والمصالح التي حققتها نتيجة لاستغلال الطبقة العاملة، جاء الفكر الاشتراكي ليحرر هذه الطبقة من العبودية التي غرقت فيها.

2-1- الفلسفة الاشتراكية : اعتمد منظروها البارزون على منهج علمي في وضع أسس قوية لتغيير الواقع، سواء كان الطبيعة أو المجتمع، بالاعتماد على رؤية تتمحور حول فهم الواقع في حد ذاته، ويبني الماركسيون هذه الرؤيا عبر معرفة العالم بواسطة العلوم الأخرى، وذلك باعتبار أن العمال في نضالهم من أجل حياة أفضل لن يسعفهم شيء سوى الرؤية العلمية للعالم"³، وقد عُرِفَت هذه الرؤيا في الدرس بالمادية الجدلية .

تقوم المادية الجدلية على "دراسة أهم قوانين الكون، وفي القوانين التي تشترك فيها جميع جوانب الواقع من طبيعة فيزيائية وفكر ، مارة بالطبيعة الحية والمجتمع... ، غير أن ماركس وإنجلز وهما مؤسسا المادية الجدلية لم يبدعا الجدلية من عندهما، بل إن تقدم العلوم هو الذي أتاح لهما اكتشاف أهم القوانين التي تشترك فيها جميع العلوم وصياغتها"⁴.

من خلال هذا الطرح يتضح لنا أن الاشتراكية التي اكتسحت العالم في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين كانت قد بنيت على نظرية علمية أسسها المنظرين (كارل ماركس وإنجلز)، التي من خلالها ظهرت المادية الجدلية التي عُرِفَت "باعتمادها على العلوم، كما كانت مهمتها نقد النظريات الغير العلمية عبر العالم، والفلسفات المعارضة للجدلية المادية"⁵ ، فتكونت الاشتراكية العلمية أو الاشتراكية الفلسفية الشيوعية، وساعدها في ذلك ما يعرف في الدرس الماركسي بالمادية التاريخية، وقد لخص (ستالين) كل ذلك،

1 - مجموعة مؤلفين، كارل ماركس سيرة مختصة وعرض للماركسية، منشورات دار الصمد، تونس، دت، ص12.
2 - الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص123.
3 - جورج بوليتزر وآخرون، أصول الفلسفة الماركسية، تر شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دت، ص13.
4 - المرجع نفسه، ص13.
5 - المرجع نفسه، ص14.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

كتب يقول: "الماركسية هي العلم الذي يقوم بدراسة قوانين تطور الطبيعة والمجتمع، وهي العلم الذي يدرس ثورة الطبقات المضطهدة المستغلة، كما أنها العلم الذي يصف لنا انتصار الاشتراكية في جميع البلدان، وأخيرا هي العلم الذي يعلمنا بناء المجتمع الشيوعي"¹.

على أساس هذا القول الذي يحيلنا إلى فهم موضوع الاشتراكية، يتضح لنا أنها نتاج علمي وثنوري لنهضة علمية، تقوم بها طبقة العمال في العالم، من أجل تحرير الإنسان من العبودية، ولكن الشيء المميز في طبيعة الاشتراكية أنها قامت على نظرية علمية شاملة ورؤية خاصة للعالم، كما يحيلنا هذا القول إلى فهم الشطر الثاني الذي يمثل بنيات الفلسفة الماركسية، حيث أنها تنقسم إلى شطرين، الأول هو المادية الجدلية، والشطر الثاني يتمثل في الفلسفة الثورية أو ما يعرف بفلسفة العمال أو ثورة العمال في العالم.

يرى (ماركس) أيضا أن المجتمع الرأسمالي "سيتحول حتما إلى مجتمع اشتراكي وهو يستخلص ذلك استخلاصا تاما وعلى وجه الحصر من القانون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث"²، وهو بهذا يجعل العمل اجتماعيا وهو ما يسمح بتطور عملية التحول بسرعة.

3-1- فلسفة العمال أو الفلسفة الثورية: تمثل الفلسفة الثورية في الفكر الماركسي الجزء التطبيقي من النظرية العلمية الماركسية التي تقوم عليها الجدلية المادية، ويتمثل دور هذه الفلسفة في قيام الطبقة الثورية بثورة تاريخية تقوم على قهر البرجوازية والقضاء على رأس المال، وبناء المجتمع الاشتراكي، فالمحرك "الفكري والمعنوي والعامل المادي هو البروليتاريا التي تتقفها الرأسمالية نفسها، ونضالها ضد البرجوازية الذي يتخذ أشكالا مختلفة ومحتوى يغتنى باستمرار يصبح حتما نضالا سياسيا يرمي إلى استيلاءها على الحكم السياسي (ديكتاتورية البروليتاريا)"³، لهذا أطلق مصطلح الفلسفة الثورية على ثورة العمال من قبل المنظمين للفلسفة الماركسية بسبب واحد يكمن في الصورة العلمية لهذه الثورة، حيث أن العمال في العالم لا بد أن يملكو الوعي الكامل من أجل القضية أو من أجل بناء مجتمع اشتراكي، وهذا النظام من أجل تغيير المجتمع الذي هم مكوناته أو ضحاياه أوجب عليهم فهمه ودراسته دراسة علمية، حتى يتشكل لديهم الوعي التام للقيام بالثورة، كما يجب عليهم فهم المجتمع البرجوازي ومكوناته كونه سيكون الطرف الضد في مسارهم، والذي بدوره لن يقبل انتشار هذا الوعي بين العمال للحفاظ على ممتلكاته وتصدره في المجتمع.

لهذا راهن (ماركس) على العمال في انضمامهم وتبنيهم الفكر الثوري الماركسي، "فإذا كان العمال قد انضموا إلى الفلسفة الماركسية، وإذا كانوا قد تمثلوا لهذه الفلسفة وغذوها، فما ذلك إلا لأن نضالهم من أجل تغيير المجتمع الذي هم ضحيته قد أوجب عليهم

1 - المرجع نفسه، ص15.

2 - مجموعة مؤلفين، كارل ماركس سيرة مختصة وعرض للماركسية، ص13.

3 - المرجع نفسه، ص14.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

فهم هذا المجتمع ودراسته دراسة علمية، وتحاول البرجوازية -الدفاع عن مصالحها في كونها طبقة محظوظة- أن تنسي الناس أن سيطرتها تركز على استغلال قوى العمل¹. هذا ما تبنته الفلسفة الثورية، أي كشفت استغلال برجوازية الرأسمالية للطبقة الكادحة ومحاولتها تجنب الاعتراف بالواقع الذي لا يتوافق ومصلحتها كطبقة مستغلة . وقد تمحورت فلسفة العمال أو فلسفة الثورة على محورين أساسيين، أولها وعي الطبقة الكادحة (طبقة البروليتاريا) بنفسها وواقعها الاجتماعي كونها طبقة مستغلة ومستعبدة وأن مصلحتهم تكمن في الالتفاف حول فكرة كسر وتحطيم العبودية، أما المحور الثاني يتمثل في وعيها بالطبقة البرجوازية وكشف كل محاولاتها الاستغلالية، حيث أن هذه الأخيرة تقوم على الكذب والتضليل، كعاملين أساسيين يعملان على بقائها، كما أنها تحتاج إلى الحقيقة على كل تضليل قد تقع فيه، ولهذا فهي بحاجة إلى نظرة صادقة للعالم تساعد على إتمام مهمتها الثورية على أكمل وجه، وهذا ما جعل من الفلسفة الماركسية فلسفة من نوع خاص وليست من النوع القديم، تلك التي كانت تقتصر على بعض المختارين ضمن أرستقراطية فكرية، بل أصبحت الفلسفة على يد الماركسيين سلاحا علميا في أيدي الطبقات الكادحة التي تناضل من أجل تحريرها².

بهذا يتضح لنا كيف أصبحت الماركسية كفلسفة في يد العمال، وأصبح من العمال من هم فلاسفة، كما اتضح لنا كيف تحولت الفلسفة من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي عبر الثورة والتطبيق، ومن هنا تحاول الفلسفة أن تفهم كيف تتحول في الفكر الماركسي إلى حزب .

"إن الفلسفة الماركسية العلمية تحمل إلى العمال الضياء الذي ينير أمامهم سبل النضال كافة، وليس فقط إلى البروليتاريا، لأن جميع من يعمل بأيديهم وتفكيرهم هم حلفاء البروليتاريا يتفقون معها في المصلحة ضد البرجوازية والرأسمالية (...)، والفلسفة الماركسية كأى حلم تستقطب كل إنسان مهما كان انتماؤه، هذا ما يمكّن البرجوازي من أن يكون ماركسيا إذا انضم إلى جانب العمال وتبنى وجهة نظرهم"³.

وعلى أساس هذا الاحتواء الذي تقدمه الماركسية إلى مناضليها فإنها تتحول في طبيعتها إلى حزب، الذي سيقود العمال إلى الخلاص ويعمل على إنهاء كل أشكال الاستعباد والطغيان في العالم، يقول (لينين): " كان ماركس وإنجليز في الفلسفة حزبيين"⁴.

لهذا كان ما يميز هذا الحزب عالميته وليس اقتصره على جهة واحدة في العالم، فهو يستقبل كل من يؤمن بالتححر والعلم ويحارب كل أشكال الاستغلال. من خلال ما سبق يمكن القول أن:

1 - جورج بوليتزر وآخرون، أصول الفلسفة الماركسية، ص 15.

2 - ينظر، المرجع نفسه، ص 16.

3 - ينظر، جورج بوليتزر وآخرون، أصول الفلسفة الماركسية، ص 16.

4 - المرجع نفسه، ص 17.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

- الماركسية ظهرت في القرن التاسع عشر بشكل فعلي، نتيجة لتلك الصراعات التي شهدتها أوروبا والثورة الفرنسية التي أعادت الاعتبار للفلاحين.
- اعتمدت الماركسية على البروليتاريا لاحتضان أفكارها وتبني ثورتها.
- صراع الطبقات حاضر في الفلسفة الماركسية وهو أساس الثورات.

2- مفهوم النظام الديكتاتوري:

يعتبر النظام الديكتاتوري شكلا من أشكال الحكم المطلق، الذي شاع داخل المجتمعات القديمة والحديثة، إذ نجد أن فردا واحدا يملك كل وسائل السلطة، ويتحكم فيها دون حسيب أو رقيب، فهو فوق السلطة وفوق القانون، ويتحكم في ثروات البلاد ويملك رقاب العباد، بل إنه في بعض المجتمعات يرتفع أو ينصب نفسه إلها على رعيته، فلا يرونه ولا يملكون حق معرفة ماهيته، فهو خفي، ويلبس جبة القداسة، أو أنه يملك رابطا مقدسا مع الإله، حتى يحيط نفسه بهالة من الحصانة والعصمة والقوة الروحية، لقد سمح بأن يكون "التسامح ضد اللاتسامح، والحرية ضد الوصاية، الإنسانية ضد التعصب، الفردية، ضد الآلية، فكل هذه التسميات تعبر عن قرار شخصي للغاية وفردى بالتمام (...)، وهذه الحدود الفاصلة الضرورية دائما بين الحرية والسلطة لم يبق شعب ما وزمان ما ومفكرون ما في منأى عنها، ذلك أن الحرية غير ممكنة من دون السلطة، والسلطة غير ممكنة من دون الحرية وإلا ساد الطغيان"¹.

وقد تكون الديكتاتورية مجسدة في جماعة أو حزب أو ما يطلق عليها في الدراسات الحديثة بالأنظمة الديكتاتورية الشمولية، والتي يتفق حولها الباحثين على أنها أنظمة تدخل تحت مظلة الديكتاتورية، أي أنها شكل من أشكالها، وتعتمد طريقة حكم هذه الجماعات أو الأحزاب في التغلغل والاستيلاء على جميع أجهزة الدولة، وتسلب على عامة الناس، وغالبا ما نجد هذا النوع في الدول التي تعتمد في حكمها على الحكم الملكي، أو الحكم الجمهوري.

يرى جل الباحثون أن مفهوم الديكتاتورية مر بمراحل عديدة عبر التاريخ، تطور فيها بشكل تدريجي إلى أن وصل لما هو عليه الآن، وفي مقال له عن الديكتاتور والديكتاتورية قديما وحديثا، تحدث الباحث (فاضل الخطيب) عن هذا التدرج الذي طال المصطلح، ووفقا لما ذهب إليه يمكن تقسيم الديكتاتورية إلى مرحلتين:

2-1- مرحلة الديكتاتورية الإيجابية:

¹ - ستيفان وفايغ، عنف الديكتاتورية، ص17.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

وهي التي ظهرت أيام الإغريق والرومان،، عندما كان مصطلح الديكتاتور يطلق على الفرد الحاكم، حيث أنه نجد في تلك المرحلة حاكما مستبدا لكنه ليس ديكتاتورا، باعتبار أن الاستبداد هو نوع من أنواع الأنظمة السياسية، "غالبا ما يكون ملكيا بعدم تقييده بالقانون، فالملك المستبد يصدر القوانين ويضع القواعد لكي يطيعها الشعب، بينما يكون هو بعيدا عن أحكامها ويتصرف على هواه دون مراعاة لقانون أو قاعدة"¹، وهذا لا يعني أنه يوجد نظام جمهوري دكتاتوري روماني، بل لأن تعبير الديكتاتور لم يكن تعبيراً سلبياً، ولم يكن يعني نظام القمع والظلم، لذا لم يعتبروا الديكتاتور فرداً مستبداً.

إن دكتاتورية البروليتاريا عبارة عن "مرحلة يبلغ فيها النضال الطبقي أقصاه، إذ يستمر النضال ضد بقايا الطبقات الزائلة، وضد محاولات البرجوازية لإعادة الرأسمالية"²، أي أنها استمرار في النضال ضد نظام الطبقات، وضد كل محاولات البرجوازية لإرجاع النظام الرأسمالي.

يمكن القول عنها أيضاً أنها: "حكم الطبقة العاملة المستغلة التي تحطم الرأسمالية، وتبني مجتمعا لا توجد به طبقات، وخاليا من الاستغلال، فسيطرة الأكثرية على الأقلية كما يقول الماركسيون هي أرقى أنواع الديمقراطية"³.

ديكتاتورية البروليتاريا إذن هي مواصلة لثورة إلغاء الطبقات والوصول على مجتمع لا طبقي.

هذه المرحلة لم يكن هناك أي شيء يسمى ديكتاتورية، بل وجد الديكتاتور كفرد، كما أنه يرى أن هناك فرق بين الديكتاتور والديكتاتورية، رغم العلاقة الموجودة والرابطة بينهما، "فأول ديكتاتور كان قبل الميلاد بحوالي 500 سنة، وآخر ديكتاتور منتخب بشكل قانوني صحيح كان قبل الميلاد بحوالي 210 سنة، لكن الديكتاتورية كنظام ظهرت أولاً في نهاية القرن الرابع، وقد استخدموا الديكتاتورية لحل مشاكل مدنية، بدون حاجتهم لاستخدام الجنود والعساكر، وكان يتم انتخاب مجلس قنصلي لحل الأزمات والمهمات المطروحة، وكان في الحقيقة كل واحد منهم ديكتاتورا، ولم يكن النظام ولا مؤسساته ديكتاتوريا، بل هي مهمة محددة لفترة زمنية معينة، وتنتهي صلاحية الديكتاتور بانتهاء المهمة أو عند حل الأزمة"⁴.

¹ - صالح جواد الكاظم، علي غالب العاني، الأنظمة السياسية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1990، ص15.

² - جورج بولتزر، أصول الفلسفة الماركسية، ج2، ص98.

³ - رشيدة العام، الحرية الفردية في المذهب الاشتراكي والاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، ع10، 2006، ص02.

⁴ - فاضل الخطيب، الديكتاتور والديكتاتورية قديما وحديثا، الحوار المتمدن، ع1902، 2007، ص04.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن مصطلح الديكتاتور في هذه المرحلة كان مقتصرًا على الفرد الذي توكل إليه مهمات، لفترات زمنية محددة، إذ "لم يكن له صلاحيات إلغاء الدستور (...)"، وكان قائدًا للجيش لفترة نصف سنة وبعدها تنتهي مدة قيادته، أي أنه يستند على قواعد دستورية في حكمه ولفترة طارئة معينة، وبعده تنتهي فترة حكمه، حتى لو لم يتم تنفيذ المهمة المطلوبة منه¹.

ويقول فاضل الخطيب في تحديد مفهوم الديكتاتور في العهود القديمة قائلاً: "ولفهم نظام حكم الديكتاتور الروماني وخصوصياته يمكن تلخيصه بأنه كان دستورياً، ولم لو يمكن نظام له مؤسسات ديكتاتورية تابعة للديكتاتور، أو بكلمة واحدة لم يكن الديكتاتور حاكماً مطلقاً، ويمكن القول أيضاً أن الديكتاتور كان يملك حكماً مضاعفاً، لكنه لفترة قصيرة جداً، ولهذا لم يقوموا بتمديد فترة حكمه، بعد انتهاء فترة نصف سنة"².

ولتوضيح دوره أثناء هذه الفترة وخلال المرحلة التي كان فيها مفهوم الديكتاتور مفهوماً إيجابياً، يقول فاضل خطيب: " وإذا استعملنا تعابير ومصطلحات اليوم يمكن اعتبار الديكتاتور في العهد الروماني مثل حكومة مؤقتة مهمتها حل أزمة ما أو مشكلة وطنية محددة"³، بمعنى أنها حل مؤقت وشكلي لبعض مؤسسات الدولة، ومفهوم الديكتاتورية بقي غائباً عن الاستعمال تقريباً، حتى القرن العشرين، وهذه الفترة تمثل المرحلة الثانية من التحول في مفهوم الديكتاتورية، حسب تقسيمنا له إلى مرحلتين.

2-2- مرحلة الديكتاتورية السلبية:

بدأت الدكتاتورية في هذه المرحلة تتخذ شكلاً سلبياً، وكان ذلك بشكل تدريجي، ففي عهد الثورة الفرنسية، حيث استخدم أول تعبير سلبي لمصطلح ديكتاتور ضد روبسبير* وزملائه، هذا الأخير الذي تحول إلى مستبد يعدم قادة الثورة الفرنسية، بعدما كانوا أصدقائه في النضال، على حد قول (خطيب)، كما استخدم مصطلح البونابرتية تعبيراً للحاكم المطلق، بدل الديكتاتورية⁴.

1 - فاضل الخطيب، الديكتاتور والديكتاتورية قديماً وحديثاً، ص 04.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* - مكسيم فراسوا ماري إيزدور دي روبسبير 1758-1794: محامي فرنسي ورجل دولة كان أحد أكثر الشخصيات حضوراً في الثورة الفرنسية، كان عضواً في الجمعية العامة ونادي اليقظة، ساهم في القضاء على العبودية، وأصبح رجل الثورة الفرنسية الأول، ثم تحول إلى شخصية استبدادية، حيث أعدم آلاف الأشخاص من قادة الثورة وروادها، وفي الأخير أعدم بعدما دبر بعض القادة مكيدة له.

4 - ينظر، فاضل الخطيب، الديكتاتور والديكتاتورية قديماً وحديثاً، ص 04.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

فسبب عودة مصطلح ديكتاتورية بشكل سلبي بعد ألفي قرن من غيابه، إلى تسمية قديمة تطلق على الإمبراطوريات المستبدة، حيث يقول: "كانوا يسمون الإمبراطوريات المريضة بإمبراطوريات مستبدة، ومع ضعف الإمبراطوريات، وظهور الجمهوريات استخدم هذا المصطلح، وعندما بدأت الجمهوريات تفتك فيها الأمراض، صار مصطلح الديكتاتورية بمفهومه الحالي"¹.

ومنه نرى أن مصطلح الديكتاتورية السلبي، أو بمفهومه الحالي كحكم مطلق استبدادي، كان ناتجا عن خلفية تاريخية، إذ أن ظروف الجمهوريات الحديثة التي طالما نادت بالحرية، وأشعلت ثورات من أجل بناء مجتمعات أكثر كرامة، صارت تنخرها ألسنة الفساد، وتحول قاداتها إلى طغاة استبدادين، فغدت جمهوريات مريضة، مثلها مثل الإمبراطوريات المريضة قديما، ومن هذا التشابه والتقاطع نتج المصطلح في حلتها الجديدة.

لكن هذه التسميات التي أطلقت على شخصيات مثل (روبسير، ونابليون، وكرومل)، كانت في تلك المرحلة أوصافا تطلق عليهم لا غير، إذ يرى بعض الباحثين أن استخدام تعبير ديكتاتورية كتعبير سيء سلبي كان بعد الحرب العالمية الأولى، واستخدم هذا المصطلح في الدول الديمقراطية الغربية، (أمريكا، انكلترا، فرنسا)، أما في الدول الحليفة للاتحاد السوفياتي (المعسكر الشرقي)، فقد استخدمت مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا، بعد الحرب العالمية الثانية، ثم دخل هذا التعبير مع مصطلح الديمقراطية الشعبية، الذي حل محله².

كما يضيف آخرون أن هذا المفهوم (الديكتاتورية) تلاشى "حتى جاء ماركس وهو من بين الأوائل الذين أعادوا إحياء هذا التعبير، وقد استعمله بشكل جانبي وليس كوسيلة تطبيقية عملية"³.

ويمكن القول هنا أن السمة المشتركة بين النوعين السابق ذكرهما هي "القضاء على الحرية بصورة تامة وتركيز السلطة بشكل كامل بيد الحاكم وزوال مصلحة الفرد"⁴، غير أن الديكتاتورية الإيجابية تعمل على استئصال المرض وتنظيف المدينة من الفساد، في حين أن الديكتاتورية السلبية تعمل على بسط نفوذها وهيمنتها على حساب العامة.

وما يهمنا نحن في موضوع بحثنا هو تتبع مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا، الذي نادى به (كارل ماركس)، كونه مؤسسا تنظيريا، له رؤية سياسية، وعلاقة هذه الرؤية مع رؤى (جورج أورويل) السياسية وفلسفته التي صهرها في روايته مزرعة و1984.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - ينظر، فاضل الخطيب، الديكتاتور والديكتاتورية قديما وحديثا، ص 05.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - صالح جواد الكاظم، علي غالب العاني، الأنظمة السياسية، ص 17.

3-2- ديكتاتورية البروليتاريا عند كارل ماركس:

لعل مصطلح الديكتاتورية بمفهومه الإيجابي عاد من جديد على لسان المفكر (كارل ماركس)، عندما نادى بديكتاتورية البروليتاريا كحل لآبد منه، للقضاء على مظاهر البرجوازية الرأسمالية الوحشية، التي تحتكر كل شيء لصالحها، بينما يعيش العمال حياة الشقاء والبؤس، فيزداد صاحب المال ثراء، بينما يزداد الكادحون بؤس وشقاء.

ومن هذا المنطلق كان (كارل ماركس) يدعو إلى مرحلة انتقالية، وينادي بالتغيير ونبذ الطبقة التي تغرق فيها المجتمعات، فدعا إلى ثورة العمال كحل لآبد منه لتخلص من أغلال العبودية، وطلب حياة الحرية والكرامة، حيث يقول: "بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الشيوعي تقع فترة التحويل الثوري من ذاك إلى هذا، وتقابل ذلك فترة الانتقال السياسي، حيث لا يمكن أن تكون الدولة فيها شيء آخر، سوى ديكتاتورية البروليتاريا الثورية"¹.

لقد اعتبر (كارل ماركس) المجتمع في تلك المرحلة مجتمعا مريضا، بحاجة إلى ديكتاتور يخرج منه الظلم والطبقة التي تنهش أوصاله، فهو مجتمع أثم بحاجة إلى قوة ثورية تطهره من أمراض الطبقة، وطبقة البروليتاريا هي القادرة على إخراج العالم من هذا الانحطاط، وهذا لن يكون إلا عبر "انتقال يمارس من خلاله البروليتاريا الديكتاتورية الاستبدادية"².

وإذا ما نظرنا إلى فكرة (كارل ماركس) حول هذا المفهوم (ديكتاتورية البروليتاريا) فإننا نجد أنها مشتقة من فكرة المجتمع الروماني التي كان يعالج بها المجتمعات المريضة، حيث كان يعين فيها ديكتاتور بهدف إخراجها من انحطاطها.

فوفق لمنطلق (ماركس) فالقوة تكمن في البروليتاريا، "التي يجب عليها أن تستخدم القوة، ولم يكن يريد أن تكون الديكتاتورية غنيمة حرب، بل هي وسيلة تخدم البروليتاريا كطبقة اجتماعية في تحقيق أهدافها، ووصولها للسلطة، ولم يكن ماركس يريد إنشاء دولة ديكتاتورية بل بالعكس، كان يريد هدم الدولة عن طريق ديكتاتورية البروليتاريا"³.

وعلى هذا الأساس فديكتاتورية البروليتاريا التي نادى بها (كارل ماركس) هي ديكتاتورية إيجابية، بعيدة كل البعد عن الاستبداد والطغيان، أو أي شكل من أشكال السلطة المطلقة، فعندما "استخدم ماركس هذا التعبير عام 1850، لم يكن مصطلح الديكتاتورية متداولاً بشكل عام، ولم يكن هذا التعبير يحمل رنات سلبية وكان يعني القوة، أو مرادفاً لتعبير

¹ - بابت وشار، تاريخ الأفكار السياسية، تر ناجي الدراوشة، دار التكوين، ط1، 2010، دمشق سوريا، ص850.

² - المرجع نفسه، ص849.

³ - فاضل خطيب، الديكتاتور والديكتاتورية قديما وحديثا، ص05.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

الثورة، ولم يكن يعني شكلا للدولة وللنظام، أي أن كارل ماركس استخدم هذا المصطلح بشكل عام، على أنه شكل لاستخدام القوة، وهو تعبير مفهوم كان ذلك الوقت¹.

وتنتهي رؤيته حول ديكتاتورية البروليتاريا إلى نوع من الحكم تكون فيه السلطة في يد الأغلبية، أي أن الدولة تصبح ممثلة في أغلبية الشعب، على عكس الدولة البرجوازية التي يكون فيها الحكم في يد الأقلية التي تستبعد الأغلبية، وبالتالي فالديكتاتورية البروليتاريا، "هي سيطرة العمال على شؤون الحكم والدولة سيطرة مطلقة، وهذا ما يمكن من قيام نظام حكم ديكتاتوري ليس له منافس، يكمن في سيطرة الأغلبية"².

وعلى هذا الأساس انطلق (جورج أورويل) في إبراز رؤيته للنظام الماركسي، الذي اتكأ في طرحه على ديكتاتورية البروليتاريا من أجل إصلاح العالم.

3- ديكتاتورية البروليتاريا في مزرعة الحيوان: نستطيع تتبعها وفق الفلسفة الماركسية، ووفق الحكم الاستبدادي على النحو الآتي:

3-1- ديكتاتورية البروليتاريا وفق الفلسفة الماركسية في مزرعة الحيوان:

تعتبر رواية مزرعة الحيوان المثال الأقوى، الذي يجسد نظرية (كارل ماركس) حول ديكتاتورية البروليتاريا، كونها جسدت الجانب التطبيقي منها، حيث عمد (أورويل) إلى الاستعانة بقدرة الرواية كفن أدبي يستوعب كل ما يخص الإنسان، في خلق عالم يطرح عبره المشكلة الجذرية التي وقع فيها الفكر الماركسي، وسبب فناء وزوال الاشتراكية.

وبقدر ما حوته الرواية من شرح وتوضيح لمفاهيم الماركسية ومبادئها، وإبراز طبيعة البيئة التي نشأت فيها، والمخلوق أو الطبقة التي تبنتها، فإنها بصفة خاصة سبقت الفلسفة الماركسية التي اعتمدتها الطبقة البروليتاريا في تحقيق طموحاتها، ولكن وفق رؤية مختلفة عن الرؤية التي عهدناها عند (ماركس)، ومفكري هذه الفلسفة، حيث شحنت هذه الرواية برؤية (أورويل) ككاتب ومفكر سياسي وأدبي، أراد أن يمارس نقد السياسية بطريقة أدبية.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - عدنان السيد حسين، تطور الفكر السياسي، دار مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002، بيروت، لبنان، ص142.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

ولرصد ما وراء ديكتاتورية البروليتاريا، قدم الروائي طبيعة أخرى، تمثل خطا بسيطا بين النظرية والتطبيق، وهي طبيعة البشر الخالية من كل تصحيح مطلق والمنغمسة في النسبية الفطرية للكائنات.

فإن كانت ديكتاتورية البروليتاريا انطلقت في جوهرها من منطق القضاء على مظاهر البرجوازية، فإن الحيوانات في مزرعة الحيوان كذلك، انطلقوا من نفس المنطلق، "من ضرورة معاداة الإنسان وفضح أساليبه"¹، وكان ذلك تحت شعار "كل ما يدب على قدمين اثنين عدو، وكل ما يمشي على أربع أو يطير صديق"².

إن هذه الصورة البسيطة التي تعبر على نبذ الأدمي وسياسته، والتي كانت تعاني منها الحيوانات تحت سطوة (مستر جونز)، ما هي إلا تلخيص لكتب الفلسفة الماركسية، كلها تسعى إلى نبذ الطبقة، التي تغرق فيها المجتمعات، وتنادي بضرورة رفع أغلال العبودية عند طبقة العمال.

فطبيعة الإنسان البرجوازي والرأسمالي والإقطاعي كلها ذات طبيعة واحدة، استغلالية متوحشة، وقد لخصها العجوز (ميجور) في وصف الإنسان الذي يمثل هذه الطبقة المستغلة في قوله: "إذا كتب لنا النصر فعلياً أن نتجنب كل العادات والتقاليد البشرية مثل اتخاذ المساكن أو النوم على الأسرة أو لبس الأزياء أو شرب الخمر أو التدخين أو التعامل بالنقد أو الاستغلال بالتجارة، فإن هذه العادات البشرية جميعاً، إنما هي من اختراعاته الشيطانية، وعليها أن نضع في اعتبارنا أنه من الأمور الجوهرية ألا يحاول حيوان ما أن يستعبد أبناء جلدته من الحيوانات الأخرى، مستغلاً ضعفها أو غباؤها، لأن الحيوانات كلها سواسية"³.

إن هذه الأوصاف البسيطة التي وصف بها العجوز الإنسان، ما هي إلا مظاهر الترف التي تنعم بها الطبقات العليا، والتي جاءت الاشتراكية من أجل القضاء عليها، وقد حرمت منها طبقة العمال الكادحين، وقد حث العجوز ميجور على ضرورة تركها، ما هي إلا دعوة إلى إظهار هوية هذه الطبقة الاجتماعية التي تمثل الأغلبية، وتعاني تحت وطأة الأوضاع الصعبة.

ورؤية العجوز ما هي إلا تلخيص بسيط من (أورويل)، لأهم مبادئ الماركسية التي ترى وتأمل التغيير على يد طبقة البروليتاريا، كونها القادرة على إخراج العالم من الانحطاط الذي يحكمه.

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص18.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

وكما رأى (ماركس) بأن تحقيق هذه الرؤية لن يكون إلا من خلال البروليتاريا الديكتاتورية المستبدة، فذلك (أورويل) قدم في رواية مزرعة الحيوان هذه الفكرة، في شكل حلم جميل يراه العجوز ميجور، وهو يحلم "بالأرض وهي تخلوا من البشر"¹، ويذكر بذلك أغنية أمه (يا وحوش انجلترا) التي يتوسم فيها غدا تحطم فيه الوحوش أغلال العبودية².

لقد شحن (جورج أورويل) هذه رواية بطريقة ممنهجة، بأعمق الأفكار الماركسية، إذ يمكن اعتبارها من خلال منطقتها الفكري الذي تبنته وثيقة معرفية ساهمت بشكل أكثر وضوح، في إبراز ذلك الجانب الاجتماعي المريع الذي كانت تتخبط فيه طبقة البروليتاريا، من جهل وتهميش وتجويع، وصعوبة إخراج هذه الطبقة من سطوة العبودية.

فكل تعاليم العجوز (ميجور) تبنتها أذكى الحيوانات، وقامت "بإخراجها في مذهب فكري متكامل عرف بالحيوانية (Animalis)، وأخذت على عاتقها مهمة شرحه ونشره على الحيوانات الأخرى في اجتماعات متعددة أثناء الليل، حين يأوي مستر جونز إلى فراشه"³.

وإذا ما رأينا رواية مزرعة الحيوان نجد أن كل ما يتعلق بديكتاتورية البروليتاريا والفكر الماركسي وطبقة البرجوازية، لا يتجاوز الصفحات الأولى من الرواية، حيث نجد أن تحقيق القوة عند الحيوانات والإعداد للثورة كان حدثا سريعا في الرواية.

ففي الصفحة الثلاثون من الرواية تندلع الثورة من أجل مبادئ الحيوانية، وبشكل تلقائي من جراء الجوع والإهمال الذي تعاني منه الحيوانات، في ظل تراخي (مستر جونز) واستسلامه "للسكر والعريضة (...)"، حيث "أصبح يقضي جل وقته في سطح منزله في المزرعة على كرسيه المربع يقرأ الصحف ويسكر ويطعم غرابه موسى من وقت لآخر بقطع من الخبز المغموس في الجعة، وتحول عمال المزرعة إلى تلة من الكسالى عديمي الخدمة، فنبت الأعشاب في الحقول، وتشقق سقف المنزل، وأهملت أسوار المزرعة، وأسلمت الحيوانات للإهمال والجوع"⁴.

إن هذه الثورة المبكرة في الرواية، نابعة من إيمان (أورويل) بفكرة أن الأغلبية داخل المجتمعات في العالم تعاني من التهميش، وهي تملك القابلية لتبني فكرة الثورة في وقت قصير، رغم ما تعانيه من جهل وتخلف، وهي نفس الفكرة التي كان (ماركس) ينشد تحقيقها من أجل مجتمع عالمي متساوي وخالي من هكذا مظاهر.

1- جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص ص19.

2- المصدر نفسه الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، ص26.

4- جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص28، ص29.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

كما يتفق كل من (ماركس) و(أورويل) في أن الثورة تنجح بحكم الأغلبية في العالم من طبقة الكادحين، غير أن المفكران يتفرقان في رؤية العالم بعد تحقيق الثورة.

يرى (ماركس) أن العالم بعد ديكتاتورية البروليتاريا سيكون تحت سيطرتها، ووفق فلسفته فإن التحول يكون بعدها بوصول الأغلبية للحكم، وهكذا تتحقق ديكتاتورية البروليتاريا، إذ صرح قائلاً: أن تاريخ كل مجتمع لم يكن إلا تاريخ صراع الطبقات، والتاريخ عنده لا يتكون من الوقائع السياسية، كل حياة سياسية هي وهم، لقد كان هناك وما يزال دول بكل تأكيد، لكن لم تكن أية واحدة منها، ولن تكون، كما هي ظاهرياً أو كما تريد أن تكون، إنها شيء آخر، إنها تبلور مدهش وخالص لسيطرة طبقية"¹.

وهذه الطبقة وفق الفكر الماركسي هي طبقة البروليتاريا، طبقة الأغلبية الكادحة، كما يرى (ماركس) أنها تتحول إلى ديكتاتورية مستبدة، تعمل على استئصال طبقة البرجوازية، ويكون ذلك عبر الثورة وبعد تحقيق الثورة والانتصار، تزول ديكتاتورية البروليتاريا وتذوب، حيث "لا يكون هناك السلطان شخصاً تجريدياً، وبالتالي أن يتطابق فعلاً مع كل المجتمع الواقعي، "وهذا يعني نهاية الدولة"².

كما يرى ضرورة إفراغ الدولة من محتواها الديني، وفصله بشكل نهائي عن السياسة، وقد عبر (أورويل) عن هذه الأفكار الماركسية بشكل سريع وبسيط، فالغراب (موسى) في مزرعة الحيوان، يشكل بصورة واضحة الجانب الديني في الرأسمالية، ذلك الجانب الذي وصفه ماركس بصفته العلاقة الدالة على الاستلاب³.

ووفقاً لماركس فإن الديمقراطية السياسية العلمانية، تظل إذا صورة أساسية دينية، من جهة أن الإنسان فيها يتصور حياته الحق، وكأنها أبعد عن فرديته الذاتية.

وهذا ما لم يغفل (أورويل) عن إشراكه في الرواية بشكل واضح، حيث أبرز دور الدين في جعل الماورائية عنصراً مهماً لبقاء الطبقة الحاكمة في السلطة، فالغراب موسى شن حملة دعاية بين الحيوانات "حيث كان يدعي وجود جبل اسمه جبل الحلوى، تبعث فيه الحيوانات بعد موتها، وهو في ما وراء الغيوم، مباشرة في السماء، وفي هذه المملكة السماوية، ترتاح الحيوانات من عناء العمل الدنيوي، ولها ما شأت من براسيم في كل الفصول، وعلى حدود حقول البراسيم، تنمو أسوار من الفطائر اللذيذة وسكر النبات"⁴.

¹ - جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ص476.

² - جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ص489.

³ - ينظر، المرجع نفسه، ص490.

⁴ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص28.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

ولهذا فهذه الرؤية الماركسية للدولة الرأسمالية، حضرت في الرواية بحضور الطبقة الحاكمة، المتمثلة في (مستر جونز)، وغابت بغيابه بعد الثورة، فبعد انتهائها وانتصار الحيوانات، واستيلائهم على المزرعة، اختفى الغراب موسى بعد هروبه مع زوجة (مستر جونز) إثر انهزامهم أمام الحيوانات، وهو "ينعي أيام السعادة والهناء"¹.

لقد مثل هذا الشق رؤية ماركس كما شرحها (أورويل) في رواية مزرعة الحيوان، بشكل يمكن القول على أنه مثالي، حيث نستخلص من تتبع هذه الصفحات الثلاثين من الرواية كل الفلسفة الماركسية، في شكل خيال سياسي بعيدا عن التنظير، فهذه الرواية تمثل الجانب التطبيقي من الفلسفة الماركسية.

كما يمثل هذا الشق، الجانب الإيجابي من النظام الديكتاتوري، وديكتاتورية البروليتارية التي حلم بها ماركس ورأى العالم في تحقيقها.

غير أن ما يبدأ بعد الثورة الحيوانية في مزرعة الحيوان، يمثل رؤية أورويل لحقيقة التحول الذي سحب الديكتاتورية من مصطلح إيجابي يخرج المجتمعات المريضة من انحطاطها، إلى مصطلح جديد سلبي، يعبر عن أقصى وصف لحق به منذ نشوؤه، حيث صار يعني الاستبداد والطغيان والشمولية المطلقة.

(فماركس) لم يعيش ليرى أحلامه الوردية تموت على يد (ستالين)، وهو يقتل أبناء جلدته، ورفقائه في الثورة، التي كان يؤمن بأن تكون الخلاص الذي سيخرج الإنسان الكادح من الظلمات والجهل والعوز إلى النور.

فكذلك العجوز (ميجور)، لم يرى الخزائير وهي ترقص على جثث أصدقائها في الثورة، وتخرق كل بنود ومبادئ الحيوانية، على يد زعيمها الروحي وبطلها الأول، الخنزير (نابليون)، وهذا ما أخذ على (ماركس) عندما وضع أمله بشكل كامل في مخلوق بشري، يصل إلى سدة الحكم عن طريق القوة، متجاهلا بذلك المناخ الاجتماعي، والقابلية للديكتاتورية المثبتة داخل المجتمعات التي ألقت الحياة بعيدا عن مظاهر الحرية والاستقلال.

3-2- ديكتاتورية البروليتاريا كحكم استبدادي في مزرعة الحيوان:

يرى جل الباحثين أن في كل مجتمع عانى من الاستبداد نوع من الجاهزية للديكتاتورية، وأن الثورة على الاستبداد ما هي إلا محاولة أخرى لخلق نظام ديكتاتوري جديد، أكثر استعدادا واستبداد من النظام السابق.

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص31.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

كما رأى (أورويل) من خلال رواية مزرعة الحيوان، التحول الجذري في الاشتراكية من دعوة عالمية إلى المساواة، ترى أن الحركة الاجتماعية لها قوى بإمكانها تحرير الإنسان المهمش ووضعه في منحى آخر، عبر ديكتاتورية البروليتاريا التي تستعمل الثورة وسيلة لتحقيق غايتها، لقد رأى أن هذه الحركة سوف يكون خلاصها في بذورها التي تحمل فنائها، لأن "القاعدة الثابتة أن كل أيديولوجية جديدة -وهنا بلا شك يكمن معناها الميتافيزيقي- تخلق مثالية جديدة"¹.

هذه المثالية التي التف حولها أنصار الفلسفة الماركسية، بحثا عن الأمل والطهارة، ومستقبل أفضل يخلصهم من قيود الاستعباد والاستغلال الوحشي.

وربما تجلت هذه اللحظة في رواية مزرعة الحيوان، بعد فوز الحيوانات في الثورة وانتصارهم على مستر جونز ورجاله، حيث "استيقظت وهي فخورة بحريتها الجديدة، وبانتصار ثورتها، وتوجهت لمراعي المزرعة، واعتلت فيها ربوة عالية تشرف على المزرعة بأكملها، وفي نشوة بالغة، كانت تجري وتقفز وتلقي بأجسادها على الحشيش المبلل بقطرات الندى، وتشم رائحة التراب سعيدة بشده المنبعث"².

رسم الروائي في هذا المقطع روح التضحية وثمره الانتصار وطعم الحرية الناتج عن مبادئ تشبعت بها الحيوانات، وثورة فقدت فيها رفقاء، وضحت بالنفس والنفيس، إنها حتمية لكل تغيير جذري من أجل الأفكار المثالية.

هذه الثمرات التي لم تستثنى من القاعدة التي تقول: "إن الذي يهدي البشر وهما جديرا بالوحدة والطهارة، يبدأ في أن يستخلص منهم القوى الأكثر قداسة، الحماس وروح التضحية، فيبدو الملايين كما لو أنهم مسحورون، راضون للانجذاب، للاستثمار، للاغتصاب الفكري"³.

فالحوانات ما لبثت أن تتجرع طعم الحرية، حتى بدأت تعاني من هذا الاستلاب، فقد تم استغلالها بأشنع الطرق من طرف أبناء جلدتها، هذه المرة من طرف الخنازير التي صارت الأقلية الحاكمة، كونها تتميز على غيرها من الحيوانات بالذكاء، يقول: "ولما كانت الخنازير هي أذكى الحيوانات، فقد تكلفت بمهام التنظيم ونشر الدعوة بين الحيوانات الأخرى، كما تخصصت في أعمال الإدارة والإشراف، وتركزت العمل الحقلي للحيوانات الأخرى"⁴.

¹ - ستيفان زفايغ، عنف الديكتاتورية، ص18.

² - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص32.

³ - ستيفان زفايغ، عنف الديكتاتورية، ص18.

⁴ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص25.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

ولم يتوقف هذا الاستلاب في حق الحيوانات على خلق طبقة حاكمة جديدة فقط، بل تجاوز ذلك مباشرة إلى بداية نهب خيرات هذه الحيوانات التي آمنت ذات يوم بمبادئ العجوز (ميجور)، يقول: "وعندئذ صاح فيها نابليون الذي جمع دلاء اللبن قريبا منه، أن على الحيوانات ألا ترهق نفسها في التفكير فيما لا يعنيه، وأن عليها أن تتجه مباشرة إلى الحقل لجمع المحصول، وانتشرت الحيوانات في الحقل للعمل، وحينما عادت إلى المزرعة، كان اللبن قد اختفى"¹.

إن هذا الانقياد والاستسلام لأوامر نابليون من طرف الحيوانات، ناتج عن إيمانهم بالفكرة المثلى التي ترسخت عليها مبادئ الحيوانات، وهو أمر طبيعي في كل فكر جديد، يحمل بوادر أمل، فهو يجعل حامله يتنازل عن حريته التي كان يأملها من أجل الأفكار العليا التي يؤمن بها، "فالحرية التي كانت بالأمس أسمى معاني سعادتهم، يتخلون عنها اليوم بكامل الرضا ويستسلمون للانقياد دون أدنى مقاومة"²، هذا ما حدث في الرواية، وما نجده في قول الراوي: "تعبت الحيوانات وكدحت كما لم تكدح من قبل في جمع المحصول"³، أي أنها صارت أكثر عبودية من قبل، وشعار تحطيم العبودية الذي كان من قبل، صار "يتمثل في الحماسة التي تولدها نشوة التضامن مع الجموع، التي تجعل الشعوب تخضع بمحض إرادتها للعبودية، بل وتمتدح السوط الذي يضربها"⁴.

وهذا ما حدث بالفعل في مزرعة الحيوان، فقد صارت الحيوانات المغلوبة على أمرها تضع شعارات تمدح فيها جلادها، بكل فخر واعتزاز، فها هو الحصان بوكسر يضع لنفسه شعارا خاص: (نابليون دائما على حق)، بجانب شعاره (سأعمل أكثر)⁵، هذا الحصان الذي سينتهي به المطاف سلعة تباع إلى صاحب مقصبة، بعد أن خارت قواه من شدة التعب وكثرة العمل، وسط ذهول الحيوانات.

إن ما أغفلته الفلسفة الماركسية هو هذه القاعدة الأساسية النابعة من طبيعة البشر، هذه الطبيعة التي جسدها مزرعة الحيوان بكل تفاصيلها، على الرغم من أنها محاكاة أكثر لثورة الروسية (فترة حكم ستالين) في تلك المرحلة الزمنية، فإنها اللحظة التي تحول فيها بشكل صريح مصطلح الديكتاتورية من صيغته الإيجابية إلى طبيعة أخرى استئصالية سلبية، كما هي اللحظة التي كشف فيها الكاتب للعالم عبر الرواية، بذور الديكتاتورية التي تحملها فلسفة الأنظمة الاشتراكية، التي كانت تسود وتغزو العالم في تلك الحقبة.

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص36.

² - ستيفان زفايغ، عنف الديكتاتورية، ص18.

³ - ينظر، جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص41.

⁴ - ستيفان زفايغ، عنف الديكتاتورية، ص18.

⁵ - ينظر، جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص87.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

(فجورج أورويل) في مزرعة الحيوان، بقدر ما تتبع الأحداث التي تحدث في العالم جراء الماركسية، فإنه يقدم فلسفة أكثر عمقا من إعادة كتابة التاريخ السياسي في قالب خيالي أدبي، بل قدم طبيعة خالصة في الإنسان هي قابليته للطغيان.

فالانقلاب الذي حدث بعد الثورة في مزرعة الحيوان نابع من هذه الرؤية الأورويلية للسياسة والأنظمة بشكل عام، فحادثة تفرد الخنازير والخنزير نابليون بالحكم وتربية مجموعة كلاب تحرسه وتأمّر بأمره، وطرده الخنزير سنوبل من المزرعة¹، لأنه منافس، هي حادثة لها أبعاد أكثر من كونها تجسيدا لتلك الأحداث نظيرتها في روسيا، رغم التقاطع الرهيب بين الرواية و التاريخ الروسي آنذاك، حين قام (ستالين) بالتفرد بالحكم وقتل ونفي جل أصدقائه.

بل هي نابعة من "تلك القوة الأكثر اللامادية في الكون، هي التي تنجز مثل معجزة الإحياء المستحيلة هذه، في عالمنا الهرم الصارم الخاضع لتقنيات، فما يلبث أن يعجب بغاوات العالم ويمجدهم ذلك الذي يقبع ضحية إغوائهم، لأنهم ينجحون دائما بفضل الروح، في أن يحدثوا تغييرا في المادة الصماء، لكن الطامة الكبرى، تأتي لاحقا حيث ينفصح أمر هؤلاء المثاليين والطوباويين فورا بعد انتصارها"².

يتبين من الوهلة الأولى، من خلال فلسفة (أورويل) السياسية أنها تبدو وكأنها إعادة كتابة للتاريخ السياسي خلال القرن الماضي لكنها في الحقيقة تعالج فروقات جوهرية في مفاهيم الأنظمة الحاكمة.

فقد رأى (أورويل) العيب في الفلسفة الاشتراكية كونها نادت بالثورة كحل من أجل تحقيق مطالبها، وهذا ما تعارض مع الأسس الفلسفية التي ترى أن الطغيان وليد الثورة، والطاغية قبل أن يكون كذلك، فهو بطل قومي خارج من ثورة حاربت العبودية والاستعمار.

فبالرغم من ذكاء الخنازير فإنها تحولت إلى حالة أسوء من الحالة التي كانت عليها، فقد داس الخنزير (نابليون) على جميع مبادئ الحيوانية، التي كان لزاما على الحيوانات حفظها والعمل بها، غير أنها صارت كل يوم ترى واحدة من تلك القواعد السبعة تُخرق أمام عينها ولا تستطيع تحريك ساكن.

فلم يعد كل من يمشي على قدمين عدو، فقد قرر نابليون أنه "عقد اتفاق مع أحد وسطاء ويلتجدون"³.

¹ - ينظر، المصدر نفسه، ص75.

² - ستيفان زفايغ، عنف الديكتاتورية، ص18.

³ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص90.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

كما أنه صار يأكل وباقي الخنازير التفاح واللبن أفخر الطعام، في حين يقلل في كل مرة من حصص الحيوانات، بدعوة التقشف ويحرمهم من أكل التفاح، في حين أن القاعدة السابعة تقول: "أن جميع الحيوانات متساوية"¹.

بالإضافة إلى ذلك أصبح ينال رفقة أصدقائه داخل بيت مستر جونز²، الذي كان من المفترض أن يكون غنيمة حرب، ومتحف المزرعة الذي يشهد انتصار الحيوانات على الإنسان، بل صارت الخنازير تنام على الأسرة برغم أن القاعدة تقول: "يمنع على الحيوانات النوم على الأسرة"³، وذهب إلى أبعد من ذلك حين أصبح يتحكم ويحرف القواعد كما يشاء، بإضافة عبارات تخدم متطلباته الخاصة، كما أضاف عبارة: "بدون ملاءات"⁴، إلى القاعدة السابقة التي تحظر منع النوم على الأسرة.

كما أن (نابليون) صار يقتل الحيوانات التي تبدي نوعاً من الاعتراض على سياسته، بالرغم من أن القاعدة تقول: "يمنع على أي حيوان قتل أخيه الحيوان"⁵، وكذلك تعرضت هذه القاعدة إلى التحريف، وأضيفت إليها عبارة "بدون سبب"⁶.

كما تمنع القاعدة جميع الحيوانات من شرب الخمر، فقد أصبحت الخنازير وعلى رأسهم (نابليون الزعيم) تشرب الخمر، إذ تقدموا لشرائه وفق معاملات مع البشر، وعلى حساب منتوجات المزرعة من بيض الدجاج ولحومها، وحتى لحوم بعض الحيوانات الأخرى كالحصان بوكسر⁷.

هكذا على التوالي صارت الحيوانات خاضعة لمشينة (نابليون)، بعدما كانت خاضعة لمشينة (جونز)، هذا الأخير الذي صار بعبء بعدما كان جلادا تخيف به الخنازير باقي الحيوانات، "لا أحد يرغب في عودة مستر جونز"⁸.

وكذلك صار (سنوبول) بعد طرده من المزرعة ونفيه رمزا للخيانة، ويمثل المعارضة التي تتصد نظام نابليون، فأصبح كل ما يحدث في المزرعة من استهجان، أو هيجان أو رفض لأي قرار من قرارات الزعيم نابليون، يعتبر خائناً من أتباع سنوبول، وبهذه الطريقة استطاع الزعيم أن يقضي على أي معارضة في طريقه، فمثلاً عندما هدمت

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص35.

² - المصدر نفسه، ص93.

³ - المصدر نفسه، ص35.

⁴ - المصدر نفسه، ص94.

⁵ - المصدر نفسه، ص35.

⁶ - المصدر نفسه، ص145.

⁷ - ينظر، جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص165.

⁸ - المصدر نفسه، ص51.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

الطاحونة، لفقت التهمة إلى سنوبول على أنه الفاعل، وأصدر فيه حكم الإعدام غيابيا، ووضعت مكافأة لكل حيوان يأتي به حيا أم ميتا¹، وهذه تعتبر منهجية ينفذها الطغاة من أجل التحكم في الشعوب، وتكميم أفواههم.

وفق هذه الرؤية انتقلت الحيوانات التي آمنت بها الحيوانات من الحرية إلى الاستعباد، وتحولت المفاهيم التي كانت الحيوانات تؤمن بها من مفاهيم عادلة إلى قواعد ظالمة، تتحكم فيها نزوات جلادها (نابوليون) ويحرفها وفق رغباته.

وعلى هذا الأساس بنى (أورويل) رؤيته للنظام الديكتاتوري، ولمفاهيم ديكتاتورية البروليتاريا على أنها مفاهيم قاصرة، لأنها لم تهتم بالمحاور النفسية التي تتبنى هذه المفاهيم، فالإنسان وبالرغم من إيمانه المطلق وحبه للامحدود للحرية، إلا أنه وبمجرد حصوله على السلطة، تنتعش تلك البذور المزروعة في داخله للطغيان، لأن كل إنسان مقهور يحمل في داخله طاغية صغير ينتظر الفرصة كي يخرج إلى العالم.

4- رؤية أورويل للنظام الشمولي: قبل الولوج لتتبع مظاهر النظام الشمولي عند (جورج أورويل) نقف عند مفهومه:

4-1- مفهوم النظام الشمولي:

إن الخوض في مفهوم النظام الشمولي يقود في شكله التاريخي إلى كل من استعمل السلطة المطلقة في حكمه، ضاربا بالقوانين عرض الحائط، فالجذور التي قدمت الشمولية في شكلها الأخير تمتد إلى بداية الطغيان والديكتاتورية والاستبداد.

فمصطلح الشمولية يشغل حيزا هاما في الدراسات الأدبية التي تهتم بعالم الرواية الدستوبية التي أخذت على عاتقها مهمة كشف الوجه الآخر الذي تختفي وراءه الأنظمة الديكتاتورية، بواسطة وسائل عدة.

ولقد شاع استعمال هذا المصطلح في عشرينيات القرن الماضي في غرب أوروبا، انطلاقا من إيطاليا إلى أن انتشر في باقي بقاع العالم، وفيه يرى (لالاند Laland.A) مذهباً يعتبر الواقع كلا فريداً وحيداً².

فالشمولية حسب تعني الكلية والجماعة.

¹ - المصدر نفسه، ص98.

² - ينظر، أندريه لالاند، موسوعة لالاند للفلسفة، معجم المصطلحات الفلسفية والنقدية، تر أحمد خليل، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، مج03، دط، دت، ص1505.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

وفي موسوعته للمصطلحات السياسية والفلسفية والدولية يعرفه (ناظم عبد الواحد جاسور) بمصطلح التوليتارية، حيث يقول: "تعد أحد أنواع الأنظمة السياسية ذات الطابع الكلي أو الشمولي (المطلق)، وأحيانا تسمى بالأنظمة الشمولية Totalitisme والمقصود بالطابع الشمولي: هو شمولية التحكم الذي تمارسه السلطة الحاكمة في حياة الأفراد والمجتمعات"¹.

إن جوهر الشمولية هنا يكمن في الاستبداد والطغيان والدكتاتورية، إذ تمثل العلاقة الكلية التي تقيمها السلطة مع الجماهير بعيدا عن أسس العدالة والقانون.

وتلخص الباحثة (حنة إردنت) في كتابها (أسس التوتاليتارية) هذا المفهوم في مرحلتين تتجلى الأولى في تشكيل الحركة بالأساس من التنظيمات الجماهيرية، تضم إليها أفرادا مبعثرين ومعزولين لا ينتمون إلى أي نظام، وأهم ما يميز هذه الحركة يكمن في الطاعة والولاء المطلق لهؤلاء الأفراد، بعيدا كل البعد عن العلاقات الاجتماعية، حيث يتكون عند هؤلاء الشعور بالولاء والانتماء للحزب أو الحركة فقط، في حين تجلى المرحلة الثانية في إقامة دولة الطغيان، حيث تسيطر تلك الحركة أو الحزب على السلطة وتصبح هي النظام الحاكم².

من خلال هذا القول يتضح أن الدولة الشمولية تتشكل قبل وصولها إلى السلطة لأن أسلوبها يبدأ من تكوين قاعدة جماهيرية لا تملك أي انتماء سوى للحزب.

فالشمولية تعتبر مفهوما لنظام جديد لا تقليدي، ظهر في تاريخ الفكر السياسي سنة 1920، وقد استعمله كل مكن (موسيليني، وجنتيل) لوصف الدولة الكليانية³.

وقد أطلق هذا المفهوم في إيطاليا على النظام الفاشي، وفي ألمانيا على النظام النازي، وفي روسيا على النظام الستاليني، فهي تدل "على تشكيلة من الأنظمة السياسية الاجتماعية التي اتسمت بخصائص فريدة، بالرغم من وجود سمات متباينة، وهي خطاب نخبوي راسخ في فلسفات مختلفة، أو حركات اجتماعية تنتمي إلى مجتمعات حضارية جماهيرية"⁴.

وعليه يمكن القول أن الشمولية هي رؤية شاملة نابعة من فلسفة ترى العالم في ظل الجماعة، وليست مجرد نظام تقليدي كالأنظمة المألوفة عند عامة الناس.

1 - ناظم عبد الواحد جاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2011، ص222.

2 - ينظر، حنة إردنت، أسس التوتاليتاريا، تر أنطون أبو زيد، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط2، 2016، ص55.

3 - ينظر، بوعبد الله محمد، تجليات البعد الاستراتيجي بالمفهوم الهيرماي في الأعمال الإجرامية للحركات الشمولية التوتاليتارية، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ع8، 2016، ص287، 288.

4 - فاتح عبد الجبار، التوتاليتاريا، تر حسيني زينة، دراسات عراقية، بغداد، ط1، 2008، ص06.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

من خلال كل ما سبق يتضح لنا أن الشمولية هي نظام يدعوا إلى السيطرة على المجتمع والدولة وكل المؤسسات الموجودة من أجل إرساء قواعد وأهداف مشتركة مثل الماركسية والنازية، والشيوعية والفاشية....

إذن فالشمولية نظام حكم يسعى وفق رؤية أيديولوجية إلى القضاء على الفردية والاختلاف والتعددية، وإقامة مجتمع سياسي موحد على جميع الميادين السياسية والفكرية والثقافية والعرقية، كما يمارس آليات رقابة ودعاية تخدم مصالحه فقط، بهدف السيطرة التامة على الأشخاص والمؤسسات في الدولة.

4-2- النظام الشمولي في رواية 1984:

قدم (جورج أورويل) في رواية 1984 صورة شاملة عن النظام الشمولي، الذي سيطر على كل شيء في أوقيانيا المدينة التي جرت فيها أحداث الرواية وفق آليات نفسية ومادية، جعلت حياة الأفراد داخل هذه الدولة شاقة وبائسة.

ولعل مفهوم الشمولية وفق الروائي كان مفهوما يتعدى تلك المفاهيم التي وجدت قبل زمن الكتابة، فقد كانت رواية 1984 "تصور الأوضاع القاسية في بريطانيا بعد الحرب مباشرة في ظل نظام حكم متوحش يعكس أصداء النازية إلى جانب الستالينية الروسية، من خلال جهاز استخبارات الدولة وعملية التزييف اللانهائي للتاريخ الرسمي"¹، فعكست هذه الأجواء في أوقيانيا مظاهر الدولة الشمولية بتفاصيلها.

وفي كتابه (لماذا أكتب)، علق (أورويل) موضحاً أسباب الكتابة والهدف السياسي منها يقول: "باستخدام كلمة سياسية بأشمل معنى ممكن، رغبة في دفع العالم في اتجاه معين لتغيير أفكار الآخرين حول نوع المجتمع الذي ينبغي عليهم السعي نحوه، مرة أخرى لا يوجد كتاب يخلو من التحيز السياسي، فالرأي القائل أن الفن ينبغي أن لا يربطه شيئاً بالسياسة هو بحد ذاته موقف سياسي"².

فوفقاً لرؤية الكاتب فإن الهدف من الكتابة هو تقديم صورة عن الأنظمة التي عاصرها في المستقبل، أي أنه رؤية استشرافية للموقف السياسي الذي عايشه في فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، حيث رأى أن الأنظمة الفاشية، والشيوعية والنازية والرأسمالية، تتجه بشكل غير مسبوق نحو الشمولية.

تبدأ رؤية (أورويل) الاستشرافية بصريح العبارة في رواية 1984 من الجزء الثاني في الفصل التاسع، والذي كشف عبره العصر الذي زامن مرحلة الكتابة، يقول: "وعقب المد الثوري الذي شهدته الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، أعاد المجتمع تشكيل نفسه كما هي العادة في طبقات ثلاث هي العليا والوسطى والدنيا، لكن الطبقة العليا الجديدة،

¹ - ديفيد السيد، الخيال العلمي، تر نيفين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2016، ص46.

² - جورج أورويل، لماذا أكتب؟، تر علي مدن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2013، ص209، 210.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

وخلافا لكل نظيراتها السابقة لم تعد تعمل بوحى من الغريزة بعد ما عرفت ماذا يتعين عليها القيام به لحماية مركزها، كما أنها أدركت أن الركيزة الوحيدة الآمنة لحكم الأقلية هي فكرة الجماعة¹.

فالجماعية التي شكلت الحزب بقيادة الزعيم الأخ الكبير في الرواية تمثل فكرة الشمولية "التي تنظر إلى الظواهر الاجتماعية من خلال أنساق وبنيات كبرى، حيث الدور المحدود للفرد مثل النظريات الماركسية والبنوية والوظيفية الكلاسيكية"²، وهي في نفس الوقت البنى التي اتكى عليها (أورويل) في رؤيته الاستشرافية.

فكرة الشمولية العامة جاءت من فلسفة الأنظمة التي ارتأت أن السلطة في يد الجماعة، والجماعة تمثل الحزب بغض النظر عن الانتماء السياسي للحزب، ووفق الرؤى الفلسفية التي تسعى إلى فهم ذهنية الاستبداد والرغبة في السلطة، فإن الوصول إلى السلطة مهما كانت طريقة الوصول، والفلسفة التي تبناها الحزب الفائق بها، فإنها تتحول بشكل من الأشكال إلى نظام استبدادي، ويعطي (أورويل) صورة عن هذه الفكرة بما قدمه عن فلسفة النظام الاشتراكي الذي نادى بإلغاء الملكية الخاصة، يقول: "وما سمي بإلغاء الملكية الخاصة الذي حدث في منتصف القرن العشرين لم يكن يعني في واقع الأمر إلا تركيز الملكية وتجميعها في أيدي عدد أقل من ذي قبل، ولكن مع وجود فارق واحد بسيط ألا وهو أن المالكين الجدد قد أصبحوا مجموعة موحدة لا أفراد متفرقين"³.

لقد رأى (أورويل) أن الحياة المستقبلية بعد الفلسفة التي انتشرت في الأربعينيات، ستكون جديدة وتحمل في رؤيتها لنظام الحكم والسلطة أيديولوجية لم يألّفها العالم من قبل، فإن كانت الشمولية التقليدية المتمثلة في الأنظمة السياسية التي انتشرت آنذاك، والتي كانت ترى الخلاص في روح الجماعة والمساواة، وتحمل أفكار عن الهيمنة خارج إطارها الدولي، فإن رؤية الروائي للشمولية ترصد ما وراء هذه السياسات من طرق جديدة تتحكم في العالم .

لقد رأى "أن انقسام العالم إلى ثلاث دول عظمى حدث كان يمكن التكهّن به قبل منتصف القرن العشرين، فمع ابتلاع روسيا لأوروبا وابتلاع الولايات المتحدة للإمبراطورية البريطانية، فإن اثنين من القوى العظمى الثلاث وهما أوراسيا وأوقيانيا، قد برزتا فعليا إلى الوجود، أما القوة الثالثة وهي إيستاسيا فلم تظهر كوحدة مستقلة إلا بعد عقد من الزمن"⁴.

إن هذه الصورة حول العالم الديستوبي الذي رصده (أورويل) في رواية 1984 والتي يرى عبرها العالم مقسما بين ثلاثة دول عظمى تتقاتل من أجل الهيمنة وبسط النفوذ أكثر،

1 - جورج أورويل، 1984، ص228.

2 - الفرّار العياشي، الفردانية المنهجية وتقويض أسس التصورات الشمولية، الميلية للدراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جبل، ع06، مج03، 2020، ص34.

3 - جورج أورويل، 1984، ص229.

4 - جورج أورويل، 1984، ص206.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

هي صورته تقليدية و"ليست جديدة، فقد كان لها جذور في الإمبراطوريات القديمة كما في الإمبراطورية الرومانية التي أرادت أن تسيطر على العالم في ذلك الوقت"¹. غير أن (أورويل) يوضح أن هذه القوة تشكل كلا متكاملًا، وتحقق في وجودها أسباب بقائها، وذلك عبر الحرب، وهي حرب من نوع خاص وليست تقليدية كالتي ألفها الإنسان قبل ذلك، يقول: "وعلى مدى الخمسة والعشرين سنة الماضية لم تتوقف رعى الحرب، التي لم تعد ذلك الصراع المتهور الذي يهدد بقاء الجنس البشري كما كان عليه الحال في العقود الأولى من القرن العشرين، وإنما كانت حربًا ذات أهداف محدودة بين دولتين متحاربتين لا تملك أي منهما القدرة على تدمير غريمتها، ودون أن يكون لأي منها سبب واضح للقتال"². فالشمولية التي يتطرق إليها الكاتب مستقبلاً، شمولية متحورة، لا تقتأ أن تغير طبيعتها في كل فرصة تتاح لها لتعزيز وجودها بشكل دائم، وما بقي منها من فكرة الشمولية التقليدية يقتصر على نبذ الفردية والحرية، هذه الأخيرة التي أصبحت وفق رؤية الكاتب في رواية 1984 نموذجاً يحتذى به في قمع كل من يحاول التفكير خارج أسلوب الحزب. ولهذا خصص هذا الأخير عقوبات تجرّم التفكير بشكل حر، فكان هناك جريمة الفكر، وجريمة الوجه، وغيرها من الجرائم التي من شأنها أن تضر بالسير العام الذي يرسمه الحزب.

يُلَمِّح (أورويل) إلى أن الهدف من الشمولية المتحورة التي يرصدها في رواية 1984 تتمحور حول قراءة الواقع الاقتصادي بشكل مخالف ودقيق، وهو ما يحدد بقائها في السلطة، فمع تطور العلم والإنتاجية بتوفر الآلة، يرتفع مستوى الدخل الفردي والمعاشي، وينعم العالم في نوع من الثراء والرفاهية، لهذا كان على الحزب منع هذا الأمر من الحدوث حتى يتجنب صعود الطبقة الوسطى إلى سكة المعارضة والمنافسة على السلطة.

يشرح الكاتب هذه الحقيقة من خلال استقراء التاريخ الاقتصادي، يقول: "في مطلع القرن العشرين كانت رؤية ومخيلة كل مثقف لمجتمع المستقبل تسير إلى أن العالم سيبلغ مستوى لا يصدق من الترف والثراء والكفاءة، عالم متألئ من الزجاج والفولاذ والإسمنت الأبيض ذي المناعة ضد الجراثيم، كان العلم والتكنولوجيا يتقدمان بسرعة مذهلة، وكان من الطبيعي أن يضمن الناس أن ذلك التقدم سيتواصل"³.

لقد درست الشمولية المتحورة هذا الوضع بشكل مثالي، إذ اعتبرته يشكل خطراً عليها، وذلك عبر دراسة التاريخ الذي عقب الحرب العالمية الأولى والثانية، وتلك الثورات التي كانت تقوم هنا وهناك، وكان أكثر مخاوفها هو ارتفاع المستوى المعيشي بسبب التطور التكنولوجي وزيادة الإنتاجية، "فمجتمعا مثل هذا المجتمع لا يكتب له أن ينعم بالاستقرار

1 - مية البدوي محمد، مفهوم الشمولية المتحولة في فلسفة شيلدون وولين، مجلة راوي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، دب، دت، ص37.

2 - جورج أورويل، 1984، ص207.

3 - جورج أورويل، 1984، ص210.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

طويلا على أرض الواقع، ذلك أنه إذا حظي جميع أفراد المجتمع وعلى السواء بالأمن والرفاه، فإن العدد الأكبر من البشر الذين يخدرهم الفقر سيغدون مثقفين وسيتعلمون أن يفكروا لذواتهم، وعندما يتم لهم ذلك فإنهم عاجلا أو آجلا، سيفطنون إلى أن لا فائدة ترجى من الأقلية صاحبة الامتيازات، وسيعملون على إزاحتهم عن سدة الحكم¹.

عبر هكذا أفكار تشكل الفكر الشمولي المهيمن في أوقيانيا، من خلال ما أطلق عليه (أورويل) الحس التاريخي، الذي مكن لهم عدم السقوط في أخطاء الماضي، وهكذا خلص الحزب إلى أن الحل يكمن في الحرب، وذلك أن هذه الأخيرة لها القدرة على امتصاص كل ذلك الكم الهائل من الإنتاجية من دون اللجوء إلى تقليص ما ينتج من السلع، و"هو ما حدث بصورة واضحة في آخر أطوار الرأسمالية ما بين 1920 و1940، حيث انهارت اقتصادات العديد من البلدان كما تركت مساحات من الأراضي بغير استغلال، ولم يتراكم رأس المال (...)، وكانت المشكلة تكمن في كيفية جعل عجلة الصناعة تدور دون أن ينعكس ذلك على زيادة الثروة الحقيقية للعالم، ما يعني أنه يتعين الاستمرار في إنتاج السلع، ولكن دون توزيعها، ولا سبيلا لتحقيق هذه المعادلة على أرض الواقع إلا بالحرب المستمرة"².

فوفقا للشمولية المتحورة التي تخوف منها (أورويل) فإن الحرب التي نادى بها ستكون حربا غير معهودة، فهي "لم تعد تحسم أي صراع، فما من دولة من بين هذه الدول العظمى الثلاث يمكن قهرها تماما، حتى لو اجتمعت الدولتان الأخريتان معا"³.

وهذا بطبيعة الحال يعود إلى فكرة الشمولية التي تعتبر الحرب مجرد مأكنة وحشية تلتهم كل الإنتاج الاقتصادي، كما تساهم في بقاء الدخل الفردي منخفضا، فهي البعبع الذي يأكل الطبقة المتوسطة (الحزب الخارجي)، والطبقة العامة، ويترك كلا الطبقتان في مستواهم بعيدين عن مظاهر الحياة الطبيعية أو المترفة، مع إبقاء الإفادة مما تنتجه الآلة.

فعلى عكس رؤية المنظرين الذين نادوا بالشمولية القديمة التي ترتبت عليها الحروب العالمية والثورات، ولم تكن مدة بقائها في السلطة طويلة، كانت الشمولية المتحورة التي استشرفها (أورويل) في رواية 1984 نتاج فشل هذه الأنظمة، كما كانت القفزة النوعية التي استلهمت من أخطاء السابقين في السلطة، فأعدت لنفسها كل أسباب البقاء بطريقة منهجية.

إن رؤية (أورويل) لهذا النظام الشمولي الجديد كانت نتيجة لفهمه الواسع للأنظمة القديمة التي حملت بذور فنائها مع طريقة تفكيرها، فالشيوعية التي مثلتها الحيوانية في مزرعة الحيوان فشلت في تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية بسبب إغفال الجانب النفسي المتعلق بالبشر والذي يميل بشكل حتمي إلى الطغيان والديكتاتورية، وكذلك الأمر مع الفاشية والنازية والرأسمالية التي جعلت فكرة الحرب الحاسمة تقضي على أسباب بقائها، إذ تؤدي

1 - جورج أورويل، 1984، ص211.

2 - المصدر نفسه، ص211، 212.

3 - المصدر نفسه، ص207، 208.

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

هذه الأنواع من الحروب إلى استنزاف الإنسان والموارد الإستراتيجية، فتضعف دولاً بينما تظهر دول أخرى في ساحة العالمية على حسابها. ولعل هذا ما تقطن إليه أورويل إذ رأى بأن هذه الأيديولوجيات تسير نحو خلق نوع من الاستبداد الجديد الذي تكون فيه الشمولية متحركة في جميع ميادين الحياة خاصة الجانب التاريخي (الماضي)، والجانب الاقتصادي (وزارة الوفرة)، وتكون قوتها في إدارة الجانب الاجتماعي والنفسي للشعوب متوقفة على قدرتها في التحكم في التاريخ و المستوى المعيشي للأفراد، وهذا ما سنحاول تفصيله في الفصول اللاحقة .

توصلنا من خلال هذا الفصل إلى أن:

تتبع (جورج أورويل) في رؤيته للأنظمة طبيعة النظام الاشتراكي، إذ اعتبره نظاماً دكتاتورياً، إذ بنى ذلك وفق نظرة سياسية لتاريخ هذا النظام، فكانت مختلفة في الروايتين: - في رواية مزرعة الحيوان أظهر الروائي النقائص التي تكمن في النظام الاشتراكي إذ أشاد برؤية (كارل ماركس) التي نادى بتحرر الطبقة العاملة، غير أنه قدم تلك النقائص التي أغفلها (ماركس) عندما اعتمد على البشر في تحقيق رؤيته، فكشف بذلك طبيعة الطغيان الملازمة لكل بطل يقيم ثورة، ووفقاً لهذه الرؤية التي استلهمها من قراءة هادفة للتاريخ (الروسي خاصة) عبر (أورويل) بطريقة تهكمية عن فشل النظام الاشتراكي وإمكانية تحوله إلى نظام استبدادي شمولي، وهذا عبر ما آلت إليه الحيوانات بعد استحواذ الخنازير على الحكم.

- في رواية 1984 كشف الكاتب عن رؤيته الاستشراقية لهذا النظام الشمولي (الاشتراكية، الفاشية، النازية...)، إذ رأى أن الشمولية التقليدية سوف تتطور عبر الزمن إلى شمولية متحورة تعتمد على قراءة علمية محكمة تخدم مصالح بقائها، فشخصية الأخ الكبير في الرواية ما هي إلا تطور لشخصية الخنزير (نابليون) من رواية مزرعة الحيوان، وفي نفس الوقت تمثل الوعي السياسي والنضج الذي وصل إليه الكاتب في رؤيته للعالم.

والثقافة السياسية للروائي تظهر في قدرته على استشراف المستقبل، وفي قراءته الجادة للتاريخ السياسي للأنظمة التي عاصرها، إذ كشفت هذه الرؤية عن حالة الانحطاط الناتج من فكر الشيوعي والخلل في فكرة المساواة التي أدت إلى الجماعية، والتي مكنت الأنظمة المستقبلية (نظام الأخ الكبير في رواية 1984) من جعل هذا المفهوم سلاحاً في يدها.

إن الشيء الصادم في الروايتين هو قدرة كاتبهما على إظهار تلك التفاصيل البسيطة المادية والنفسية التي ساهمت في انتشار الشمولية، مثل دكتاتورية البروليتاريا التي رأى أنها المشروع الذي يجسد الرؤية الشمولية في العالم، وكذلك فكرة التطور العلمي والتكنولوجي وربطه بالقدرة الإنتاجية، هذه الفكرة التي جعلت من الشمولية تسماً إلى مستوى شمولية متحورة لها فلسفتها الخاصة تحدد بقاءها.

الفصل الثالث: الزمكان والحس السياسي عند جورج أورويل.

- 1- الزمن بين المفهوم والتشكيل.
 - 1-1- مفهوم الزمن لغة.
 - 1-2- مفهوم الزمن اصطلاحاً.
- 2- الزمن السياسي في فكر جورج أورويل.
 - 2-1- الزمن السياسي في مزرعة الحيوان.
 - زمن الوعي بالحيوانية.
 - الثورة بين الفكرة والتجسيد.
 - مبدأ الحيوانية كوعي ممكن.
 - الحيوانية الدكتاتورية بين الوعي والتظليل.
 - 2-2- الزمن السياسي في رواية 1984.
 - تهشيم الذاكرة والتاريخ.
 - التراكم المعرفي ونمو الحس التاريخي.
- 3- علاقة الحرية بالمكان في رواية 1984.
 - 3-1- الطبيعة ومناهضة الطغيان.
 - 3-2- الغرفة كمكان معادل للحرية والخصوصية.

1- الزمن بين المفهوم والتشكيل:

مما لا شك فيه أن الزمن من بين أهم العناصر المهمة والمساهمة بشكل كبير في بناء عوالم الرواية، وتقديم صورة واضحة عن فلسفة الكاتب من جهة، والحياة في أزمنة معينة من جهة أخرى.

وعليه حضرت فيه عدة مفاهيم، اختلفت من باحث لآخر، كل حسب مذهبه وتجربته الأدبية والنقدية.

ويظل النص الروائي المادة الخام لدراسة وتقني تقنيات الزمن وطرق تشكيلها، والاختلاف بينها وبين النصوص الروائية الأخرى، وهذا ما يعطي دراسات أعمق وتجدد في العملية النقدية.

1-1 مفهوم الزمن لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن الزمن "اسم لقليل أو كثير الزمان، زمان الرطب والفاكهة، وزمن الحر والبرد، ويكون الزمن شهرين إلى ستة أشهر، والزمن يقع على فصل من فصول السنة، وعلى مدة والية النحل وما أشبهه، وأزمن الشيء طال عليه الزمان وأزمن بالمكان، أقام به زماناً"¹.

فالزمن هنا يعني الوقت والمدة.

و الزمن في معجم مقاييس اللغة، غير بعيد عن المعنى السابق، وهو من الجذر اللغوي "ز-م-ن" الزاد والميم والنون، أصل واحد يدل على وقت من الوقت من ذلك الزمان، أو هو الحين قليله وكثيره يقال زمان وزمن والجمع أزمان وأزمنة"².

والزمن هنا جاء بمعنى الحين.

وذكر الرازي أن الزمان "اسم لقليل الوقت وكثيره وجمعه (أزمان و أزمنة وأزمن)، وعامله مزامنة من الزمن، كما يقال مشاهرة من الشهر و(الزمانة) آفة في الحيوانات أو رجل زمنٌ أي مبتلى بين الزمانه وقد زمن من باب سلم"³.

والزمن هنا جاء بمعنى قليل الوقت أو كثيره.

رغم المحاولات العديدة التي جاءت في ضبط تعريف اصطلاحي للزمن إلا أنه من الملاحظ تلك الاختلافات التي تباينت وتنوعت، مما يكشف على أننا أمام مصطلح زئبقي يصعب التحكم في مفهومه.

¹- ابن منظور ، لسان العرب، ص20.

²- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، مج 7، 1999، ص21.

³- أحمد الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد، دار الفكر، دب، ج2، 1979، ص22 .

2-1 . مفهوم الزمن اصطلاحاً:

إن عنصر الزمن من العناصر التي حظيت بالدراسة النقدية العميقة، وشغلت بال المفكرين والفلاسفة في شتى المجالات، وبالتالي تضاربت حوله التعريفات، ووصف بالمحير، ومن النقاد نجد عبد المالك مرتاض يعرفه على أنه مظهر وهمي يزمن الأحياء والأشياء، فتتأثر بماضيه الوهمي غير المرئي، عن المحسوس (...)، إنما تتوهم، أو تتحقق أننا نراه"¹.

فمفهوم الزمن إذن مفهوم مجرد غير محسوس، وجوده كامن في العقل وبه ندركه.

ونلمس عنصر الزمن على الصعيد البنيوي حين أثار (رولان بارت) قضية الزمن في كتابه الكتابة في درجة الصفر، إذ أعلن أن "أزمة الأفعال في شكلها الوجودي والتجريبي لا تؤدي معنى الزمن المعرفية في النص، وإنما غايته تكثيف الواقع وتجميعه بواسطة الربط المنطقي"².

فالزمن في النص غايته إنتاج الواقع والربط بين أجزائه منطقياً.

ذهب في هذا الاتجاه (برغسون Bergson)، حين ربط الزمن بالحياة وأطلق عليه اسم الديمومة، "والديمومة تعني ببساطة أننا نختر الزمن كإسياب أو سيلان مستمر، فلا يتميز الزمن باللحظات المتتالية والتغيرات المتعددة فحسب، بل شيء يدوم عبر التتابع والتغير"³.

إن مصطلح الديمومة عند برغسون هو معامل للزمن كونه يرافق حياة الإنسان بكل حلقاتها ومحطاتها، وارتباط الزمن بحياة الإنسان جاء من حنين الروائي وعلاقته مع الواقع المعاش، إذ ينسج الروائي بطريقة فنية جمالية أفكاره وأيديولوجيته، ليبقى "الزمن وسيط الرواية، كما هو وسيط الحياة"⁴.

ومن هنا ظهرت ضرورته في العمل الروائي، وضرورة "احترام خاصية الزمن، في دراسة العمل الروائي، بل إنه ذهب إلى حد أن جعل فهم أي عمل أدبي متوقف على فهم وجوده في الزمن"⁵.

وأول من درس الزمن في النص الروائي، هم الشكلاونيون الروس، إذ نبه تشومسكي إلى أهمية الزمن في العمل الروائي، وضرورة تحليله انطلاقاً من التمييز بين زمن المتن

¹ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1990، ص172، 173.

² - نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006، ص62.

³ - بقلة حسن أحمد الغري، تقنيات السرد وآليات التشكيل الفني، دار عندار، الأردن، ط1، 2000، ص37.

⁴ - الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2010، ص40.

⁵ - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص109، 110.

الروائي، وزمن الحكي، إذ يقصد بالأول افتراض كون الأحداث المعروضة قد وقعت في مادة الحكي، أما زمن الحكي فيرى فيه الوقت لقراءة العمل أو مدة عرضه¹.

كما قدم (ميشال بوتور Michel Buttor) زاوية جديدة لتقسيمات الزمن سنة 1964، وهي ثلاثة: "زمن المغامرة، زمن الكتابة، زمن القراءة، وكثيرا ما ينعكس زمن الكتابة على زمن المغامرة، بواسطة الكاتب"².

فزمن المغامرة هو زمن الأحداث، وزمن الكتابة هو الزمن الذي استغرقه الروائي في كتابة الأحداث، وزمن القراءة هي المدة المستغرقة لقراءته.

على الرغم في التباين المطروح في تعريف الزمن وأنماطه داخل البنية الروائية، يمكن اعتبار أن "لكل رواية نمطها الزمني الخاص، باعتبار الزمن محور البنية الروائية وجوهر تشكلها"³.

2- الزمن السياسي في الفكر الأوروبي:

مثل الزمن في روايتي مزرعة الحيوان، و1984، دورا بارزا في إظهار إيديولوجية الكاتب وفلسفته، إذ لم يكن مجرد زمن يعكس الاهتمامات والهموم الأدبية، والفنية الذاتية فحسب، بل كان زمنا محاكيا لواقع سياسي مليء بالتناقضات والصراعات الإيديولوجية في مرحلة جد حساسة من تاريخ العالم، قبل وبعد الحرب العالمية الثانية.

إذ نجد أن (أورويل) "قدم رؤية سياسية لما حدث إبان الثورة الروسية والألمانية في قالب فني بسيط، يمتزج فيه الواقع بالخيال والرمز بالتشبيه، والمجاز"⁴، فكان زمنا محاكيا للواقع يستدعي استقراء وعرضاً لتحولات الوعي الإنساني المتشابك سياسيا، ومعرفيا، واجتماعيا.

2-1- الزمن السياسي في رواية مزرعة الحيوان:

¹ - ينظر سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبئير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997، ص 70.

² - مها القصاروي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص49.

³ - عالية محمود صالح، البناء السرد في روايات إلياس خوري، دار الأمانة، عمان، ط1، 2005، ص18.

⁴ - الرمز في مزرعة الحيوان، مؤسسة مؤمنون بلا حدود 2020/17.24/12:08

<https://www.mominoun.com/articles/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%B2%D8%B1%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA-333>

333

قد يكون المتصفح أو المطلع على علاقة الزمن بالرواية في مزرعة الحيوان يعتقد أننا سنحاول دراسته كبنية سردية فيها، غير أننا حقيقة سنكشف طريقة إخضاع الروائي للزمن من أجل توضيح رؤاه السياسية حول مفاهيم وأفكار تراجمت في النص الروائي.

قامت رواية مزرعة الحيوان نتيجة للتغيرات التي طرأت على العالم خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، عندما اكتسح العالم نظام جديد، تبنته أغلب الدول آنذاك عرف بالنظام الاشتراكي، وكان المفكر كارل ماركس أحد أبرز رواد هذا الفكر الجديد الذي بني على مبادئ فلسفية واقتصادية، لعل أبرزها تمثل في العدالة الاجتماعية، ونبذ الطبقة، والمساواة....

ولما كان الروائي (جورج أورويل) من الكتاب الذين عاشوا تلك الفترة فقد امتلك فكرا سياسيا، ورؤية أيديولوجية خاصة حول هذا النظام، فكانت روايته التي بين أيدينا عصارة رؤيته حوله.

ولهذا جاء الزمن في روايته مقسما على أربعة أزمنة، عالج في كل زمن مرحلة من المراحل التي مرت عليها الاشتراكية من بدايتها كفلسفة، إلى ثورة في وجه البرجوازية ثم كنظام مجسد على أرض الواقع، حتى تحولها إلى نظام ديكتاتوري .

➤ زمن الوعي بالحيوانية :

أظهر جورج أورويل في هذه المرحلة من الرواية مبادئ وأسس الحيوانية، وتبدأ من بداية الرواية حتى قيام الثورة، إذ يحاول (جورج أورويل) التعرض إلى الواقع العام الذي احتضن الفلسفة الحيوانية، وهو عبارة عن مجموعة من الحيوانات تعيش في مزرعة يملكها السيد (جونسون)، وقد مثلت هذه الشخصية كما سبق وذكرنا في الفصل الثاني، شخصية الرجل الإقطاعي* الذي كان يستغل الطبقة الكادحة ويستعبدتها، أي النظام الذي ثارت عليه الاشتراكية.

في هذه المرحلة الزمنية من الرواية صور الكاتب الإقطاعية على أنها نظام استبدادي، عبر شخصية مستر جونز فيقول: "أغلق مستر جونز صاحب مزرعة مانوار الباب الخارجي للحظائر كعادته كل مساء، إلا أنه كان ثملا للغاية، حتى أنه نسي أن يغلق الحظائر المختلفة لجميع الحيوانات في المزرعة"¹.

فمن الواضح أن هذه اللامبالاة التي طبع بها السارد شخصية (مستر جونز)، تمثل إحدى تلك النقاط السلبية العديدة التي طبعت بها الإقطاعية، إذ يضيف الروائي قائلا عن

*- الإقطاعية: هو نظام من العلاقات الاقتصادية الزراعية، حيث تكون الأرض وسيلة الإنتاج الرئيسية ملكا لشخص واحد، ويعمل الفلاحون في أرضه، ويسمى صاحبها بالإقطاعي.

¹- جورج أورويل ، مزرعة الحيوان، ص9.

مستر جونز: "إذ قذف بحذائه عند الباب الخلفي لبيته، وسكب لنفسه آخر ما في البرميل من شراب"¹.

بالإضافة إلى اللامبالاة فصاحب المزرعة يعيش حياة المجون والسكر، فحين تعاني الحيوانات الاستغلال والاستعباد وبؤس العيش، ومن هنا قامت الحيوانات، وبدأت الحيوانات في إقامة التجمعات السرية، بغية شحن الهمم، ورفع الوعي وكشف حقيقة الحياة التي تعيشها، وعبر هذه الأحداث المهمة رصد (أورويل) مرحلة زمنية مهمة في تاريخ طريقة انتشار الاشتراكية.

لقد أطلق الراوي العنان حول أسئلة الاشتراكية الجوهريّة على اللسان العجوز (ميجور): "يا أيها الرفاق، ما طبيعة الحياة التي نعيشها معشر الحيوانات؟"²، لقد انطلقت من الواقع، ومن أبجديات الوجود، لتجعل كل إنسان ينطلق من الصفر ويعيد التفكير من جديد، ومن تم انتقلت الفكرة إلى تشخيص الواقع المعاش، عبر طرح الحقيقة ومناقشتها، وها هو ميجور يطلق العنان لنفسه قائلاً: "دعونا نواجه أمورنا بصراحة، حياتنا قصيرة، نقضيها في كدٍ وعناء، نحن نولد فلا يسمح لنا بالكفاف الذي لا يكاد يمكّننا، الحيوانات يستغلها الأدميون في أعمالهم، فتشقى بها حتى أنفاسها الأخيرة، فإذا ما انتهت الحاجة إليها، قادوها للذبح في قسوة بالغة"³.

إن هذا الخطاب الموجه من العجوز إلى كافة الحيوانات، ما هو إلا تعريف بمبادئ الاشتراكية، وطريقة تلقي الشعوب لها، وفي الرواية ما هو إلا خطاب توعوي يوضح مرحلة وعي الحيوانات بواقعهم وبداية توجيههم لاستقبال فكر جديد (الحيوانية)، يخلصهم من هذا الواقع.

كما يتجلى زمن الوعي الخاص بالطبقة التي ستتبنى الفكر الجديد (الحيوانية) في إرساء أساسيات القيم الجماعية والاعتداد بالذات أمام المستعبد الإنسان ذلك "المخلوق الوحيد الذي يستهلك ولا ينتج، فهو لا يدر اللبن ولا يبيض، وهو واهن لا يحرق الأرض بنفسه، وهو أبطأ من أن يلحق أرنب ليصطادها بيديه، ومع ذلك فإنه السيد على جميع الحيوانات، يسخرها في العمل ولا يوجد عليها إلا بالكفاف مستأثراً لنفسه بكل الطيبات، أما نحن الذين نحرق الأرض ونسملها فليس لنا ما نمتلكه حتى جلودنا"⁴.

ومن هنا صار الحيوان يملك وعياً كافياً حول نفسه، ويعرف جيداً عدوه وقلة حيلته أمام إمكانياته، بوصفه الأقدر والأجدر بقيادة نفسه بنفسه، كما مثل هذا الخطاب في بعده

¹ - المصدر، الصفحة نفسها.

² - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص12.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص14.

الأيدولوجي، فلسفة الماركسية في خلق ديكتاتورية البروليتاريا، التي تفتك بالطبقة البرجوازية، وتقضي على الطبقة داخل المجتمع العالمي.

استمر زمن الوعي بالحيوانية في مزرعة الحيوان، عبر مجموعة من الاجتماعات التي كانت تحضرها الحيوانات، من أجل وضع أسس الحيوانية، وقد ميز هذه التجمعات نوع من الخطابات المحملة بضرورة الوعي بالقضية، والتخلص من كل أشكال الاضطهاد والعبودية، وقد طرح فيها أسئلة تمحورت حول طبيعة الحيوانات الوجودية، ودورها في الحياة بشكل عام، ومحاولة إيجاد سبل الخلاص، إذ كان العجوز (ميجور) قد نوه بضرورة الثورة حيث قال: "إن الثورة هي رسالتي إليكم أيها الرفاق، إن كنت لا أستطيع أن أتنبأ لكم بموعدها، فقد تتحقق بعد أسبوع أو بعد مائة عام، ولكنني واثق تماما من حتمية مسيرتها، ثقتي من وجود هذا القش الذي أدوسه بأقدامي، فإن العدل لا بد أن يسود"¹.

وتقود رؤية (أورويل) لهذه الفترة الزمنية إلى رؤية كل من (ماركس وإنجلز)، "بأن طبقة العمال تستطيع التحرر من الأحاسيس بالاغتراب عن طريق خلق طبقة اجتماعية لا يتم استغلال أحد فيها، وذلك لن يحدث إلا عن طريق ثورة لإسقاط الرأسمالية، وبعدها يمر المجتمع بمرحلة استبدادية البروليتاريا، عندئذ يمكن الوصول إلى مجتمع اشتراكي خال من الاستغلال والاغتراب"².

وعليه فإن زمن الوعي بالاشتراكية تمحور حول:

- ✓ تعريف الحيوانات بمبادئ الحيوانية.
- ✓ إبراز دور الحيوانات في الوجود.
- ✓ وعي الحيوانات بالإنسان كعدوها الوحيد.
- ✓ كشف البعد الهام للحيوانات وقوتها وضرورة تحرر من استغلال الإنسان لها.
- ✓ الإيمان بالثورة كحل حتمي للتخلص من العبودية وتحقيق المساواة.

➤ الثورة بين الفكرة والتجسيد:

لم يكن مفهوم الثورة في مزرعة الحيوان مقتصرًا على ردة فعل طبيعية ناتجة عن اضطهاد ممارس على مجموعة من الحيوانات، داخل رقعة جغرافية مسيجة، بل كان مفهومًا أيديولوجيًا محظًا، عمد (أورويل) من خلاله إلى إبراز الفكر الاشتراكي الماركسي

¹ - المصدر نفسه، ص16.

² - الباحثون السوريون، الاشتراكية العلمية (الماركسية). 25: 14 25/03/2020

<https://www.syr-res.com/article/6997.html>

لصاحبه (كارل ماركس)، حيث يرى هذا الأخير أن الثورة هي المخلص الوحيد الذي ترتقي عبره الطبقة البروليتارية وتصل إلى سدة الحكم من أجل تحقيق المساواة.

فقد كان (كارل ماركس) يرى أنه لا سبيل لتغلب على النظام البرجوازي، وباقي الطبقات المستبدة إلا بالثورة، ولن تكون هناك ثورة إلا بالتحام طبقة العمال في مسار واحد وفكرة واحدة¹، وهذا ما تُرجم في رواية مزرعة الحيوانات، في قالب سردي مبسط.

وقد هيئ العجوز (ميجور) الأرضية اللازمة لاحتضان هذه المبادئ حيث يقول: "إن لدي القليل لأقوله بشأن استمرارية الكفاح في سبيل معاداة الإنسان وفضح أساليبه، وإن شعارنا هو كل ما يدب على قدمين اثنين عدو لنا، وكل ما يمشي على أربع أو يطير صديق لنا، وإن ما دمنّا انتهجنا سبيل الحرب على الإنسان، فإن علينا تجنب التشبه به وبأساليبه، فإذا كتب لنا النصر فعلياً أن نتجنب كل العادات والتقاليد البشرية، مثل اتخاذ المساكن أو التعامل بالنقد أو الاشتغال بالتجارة، فإن هذه العادات البشرية جميعاً، إنما هي من اختراعاته الشيطانية"².

وعبر هذا الخطاب يتجلى المفهوم الثوري للاشتراكية، وطبيعة الثورة كأيديولوجية مشكلة للمفهوم الاشتراكي، وخلق نوع من التوحد الفكري والانسجام الثقافي بين المجموعات والأفراد التي تنتمي إلى نفس الفكر.

وبنفس المنطلق صار من ضروري أن يلتحم أصحاب المذهب الواحد باعتبارهم أصحاباً، كما صار من الضروري أن يكون كل معارض أو مختلف لفكرهم عدواً، ولعل هذا ما ترجمه نشيد إنجلترا، الذي اعتبرته الحيوانات كتابها المقدس، إذ حفظته عن ظهر قلب في دقائق معدودات³، وهذا ما يجعل الحيوانات تندرج تحت شعارات وأسس موحدة في صف واحد، وترنوا كلها إلى هدف واحد.

وكل هذا لم يغلفه دعاة البحث القائل: "إن كل ما هو خارج عن ذات الجماعة الفكرية والعقائدية، هو آخر بالنسبة لهذه الجماعة، لذلك وجب هدره واستئصاله"⁴، ومن هكذا منطلقات اقتنعت الحيوانات بمبدأ الثورة، كحل لوضعها المأساوي، وأرست الفكر الثوري الدائم داخل المزرعة، متشعبة بمبادئ الحيوانية.

وهذا ما أدت إليه بفعل الأحداث في المزرعة، فقد مثلت معركة الحيوانات ضد مستر جونز ورجاله الشق الأخير من الثورة، وكما قال يصفها (كارل ماركس) كانت عفوية نتيجة

¹ - ينظر، الموقع نفسه.

² - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص18.

³ - ينظر، المصدر نفسه، ص21.

⁴ - عبد العظيم سلطاني، خطاب الآخر، المركز العالمي للدراسات، الكتاب الأخضر، ليبيا، دط، 2005، ص52.

الشحن والإيمان بالمبادئ الراسخة¹، وهذا ما وصف به (أورويل) لحظة الثورة قائلا: "وبدون ترتيب مسبق وفي وحدة من القصد انقلبت الحيوانات على جلاديهما تركلهم وتعاضهم حتى أفلت من أيدي الرجال الذين لم يعرفوا من قبل سابقة لهذه الظاهرة، فتوقفوا عن الدفاع عن أنفسهم وانتابهم رعب شديد وهرعوا إلى خارج المزرعة واتجهوا إلى الطريق العام والحيوانات تتبعهم بعد أن تم لها الانتصار"².

وهكذا ينتهي زمن الثورة في رواية مزرعة الحيوان حيث غلب عليه ما يلي:

- إيمان الحيوانات بالفكر الثوري، وانتشاره في كل أرجاء المزرعة.
 - وعي الحيوانات بضرورة إزالة الإنسان كعدو، واقتناعها بأنها سواسية.
 - نجاح الثورة بعد المعركة الأولى مباشرة، واستيلائها على المزرعة.
- مبدأ الحيوانية كوعي ممكن:

مثلت هذه المرحلة الزمنية في رواية مزرعة الحيوانات رؤية (أورويل) للنظام الاشتراكي، كنظام ممارس على أرض الواقع، في شقيه السياسي والاجتماعي، إذ عمد من خلاله إلى إظهار رؤيته السياسية مستمدا من قراءته للتاريخ السياسي آنذاك، ومما أغفله منظرون الماركسية، بتجاهلهم للجانب السيكلوجي للإنسان، كقوة كامنة يمكن أن تسير وفق ما تكتنفها من أهواء ورغبات.

في هذه المرحلة أصبحت الحيوانات تخدم نفسها بنفسها، وتحفظ (نشيد إنجلترا)، و(مبادئ الحيوانية) عن ظهر قلب، غير أن تطور الأحداث كان يبعث عن تناقض داخل المنظومة السياسية في المزرعة، ففي الفصل السادس يقول الكاتب مستهلا بدايته: "كانت الحيوانات تعمل كالرقيق طول العام، لكنها كانت سعيدة برغم ذلك، لا تحجم عن التضحية وبذل المزيد من جهودها، فهي موقنة أن هذه التضحيات كانت من أجلها ومن أجل ذريتها وليست للأدبيين الكسالى المستغلين، وخلال فصل الربيع والصيف كانت تعمل ستين ساعة في الأسبوع، وفي أغسطس أعلن نابليون عن وجوب العمل بعد الظهر أيام الأحاد أيضا على سبيل التطوع وبمحض الاختيار الحر"³.

إن هذه المفارقة الزمنية التي يقدمها الروائي في هذا الاستهلال توضح فكرة ورؤية ثابتة حول النظام الاشتراكي، إذ أن الحيوانات وبعد الفوز بالاشتراكية، وفي زمن قصير أصبحت تعمل كثيرا، بما فيها عشية الأحاد المخصصة للعبادات، وأن من لا يتطوع منها "لن يقدم لها إلا نصف وجباتها المعتادة"⁴.

¹ - ينظر، وجدي حمدي، ثورة دائمة أم ثورة على مراحل، دار الشمس، العراق، دب، 1989، ص 64.

² - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص 30.

³ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص 85.

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كما يتجلى من خلال ذات الاستهلال أن الخنزير نابليون صار سيدا جديدا على الحيوانات، وصار بإمكانه وضع قوانين ومعاقبة من لا يحترمها، حيث تتنافى هذه القوانين ومبادئ الحيوانية.

لقد اتعب العمل كاهل الحيوانات وصارت "عاجزة عن الانتهاء من أداء جميع المهام الملقاة على عاتقها، والتي ينبغي الانتهاء منها قبل حلول الشتاء"¹، كما تبين أن الحيوانات عاجزة على مواكبة الحياة داخل المزرعة، بدون الإنسان بصفة نهائية، "لذلك بانث وهي تتوقع قضاء شتاء غاية في القسوة، وقد تبين أيضا أن كثيرا من متطلبات الزراعة لم يكن متوفر لها كالبذور والمخصبات الكيماوية، كما كان العمل بالمزرعة يحتاج للبترول والمسامير والحبال....، ولم تكن الحيوانات قد وجدت حلا لإيجاد هذه المتطلبات الملحة"².

من خلال هذه الأحوال التي آلت إليها الحيوانات، يقدم (أورويل) الحيوانية على أنها مشروع مفلس وهش، يحمل في طياته بذور فناءه، إذ يمثل عجز الحيوانات على إدارة المزرعة بدون السيد (جونز) قصورا في هذا النظام، وعدم قدرة العالم على تخطي الطبقية وفق هذا النمط الجديد.

وعبر هذه الأحداث يتضح قصور الاشتراكية كنظام يحاول اكتساح العالم في تلك المرحلة.

➤ الحيوانية الديكتاتورية (بين الوعي والتضليل):

لقد تطورت الأحداث في هذه المرحلة بشكل سريع، وصار القارئ يشعر بالمفارقة الزمنية التي رسمت تناقض واضح بين الأمس والحاضر، بين أيام (مستر جونز) وأيام الحيوانية.

فالحيوانات صارت تشعر أن ممارسات (نابليون)، تشبه كثيرا تلك الممارسات التي جاءت الحيوانية من أجل القضاء عليها ونبدها.

وقد تميزت هذه الفترة الزمنية مقارنة بباقي المراحل الزمنية بالتمدد وغلب عليها الاسترجاع، فالحيوانات لم تعش ربيع ثورتها إلا وبطش الخنزير نابليون بدء يعيد عليها أيام جونز، ولكن الجلاء هذه المرة من بني جلدتها.

يقدم (جورج) في هذه المرحلة من الرواية مزرعة الحيوان رؤية خاصة للأنظمة السياسية، يتكئ من خلالها على الإطار التاريخي، ويكشف عن وعي سليم بالماضي

¹ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² - المصدر نفسه، ص 88، 89.

السياسي، كون قيمته " تكمن بصورة رئيسية في تهيئة السوابق لدعوى الحاضر والمستقبل"¹.

فالكاتب يستدعي الماضي السياسي للنظام، ليشكل به دعوة هادفة لقراءة الحاضر، واستشراف المستقبل، معتمداً بذلك على تغير الأحداث وتقلبها، قبل وبعد الحيوانية، لهذا أقحم الاسترجاع، ولأنه أمر غائر في الذاكرة وجزء مهم من أجزاء الزمن.

فالاسترجاع هو الوحيد الذي لا يمكن أن يتلاعب به الزمن، على عكس الذاكرة سواء الفردية أو الجماعية، التي غالباً ما يطولها التحريف والتشويش، وأحياناً تشوه ناتج عن عقاب سلطوي دكتاتوري.

ولعل بؤس الحيوانات داخل المزرعة لم يكن ناتجاً عن تشويه طال الذاكرة الجماعية نتيجة لطول الزمن، أو تلاشي أجيال الحيوانات من أيام الثورة، بل كان ناتجاً عن تعرض الاسترجاع في حد ذاته إلى أنواع وألوان التشويه المختلفة، جراء بطش (نابليون) بكل حيوان تسول له نفسه استرجاع شيء يعارض سياسته الخاصة.

فهاهي الأحداث تستعرض خرق مبادئ الحيوانية، التي اجتمعت عليها الحيوانات في زمن غير بعيد، واعتبرتها مقدسة، ها هي تخرق أمام أعينها دون أن تستطيع تحريك ساكن، ففي "صباح يوم الأحد اجتمعت بالحظيرة الكبرى كعادتها لتلقي الأوامر الأسبوعية، وإذا بنابليون يعلن عليها قراره في رسم سياسة جديدة من شئنها إقامة علاقات تبادل بينها وبين المزارع المجاورة، يمكنها بموجبها الحصول على ما ينقصها، وقد أوضح لها أن علاقة التبادل هذه بعيدة في مضمونها وأعرافها عن نطاق التجارة"².

وعبر الاسترجاع شعرت الحيوانات بعدم الارتياح لهذا القرار، ولكن هذا الشكل من الاستنكار لا يعود إلى الماضي دون قيود، فهو استرجاع يعاني ويلات حاضر مغاير، وتحكمه ضوابط خارجية اختلفت عن الزمن الماضي، لهذا فهو استرجاع لحقيقة زمنية ماضية، محكمة بظروف زمنية حاضرة قاهرة، جعلت الحيوانات يجتاحها شعور بعدم الارتياح، ألم تتفق الحيوانات من قبل فيما بينها على حظر التعامل مع البشر أو الشراء بالنقود؟، ألم تقرر الحيوانات بالإجماع مثل هذه الأسس عقب الانقلاب وطرد جونز؟، إن مثل هذه القرارات ما زالت عالقة بالذاكرة، أو ربما خيل إليها شيئاً من هذا القبيل ما زال عالقا بالذاكرة"³.

ويلخص (أورويل) طبيعة الاسترجاع الزمني الناتج في هذا المقطع في فكرة أن الحيوانية تحيد عن مبادئها السامية، وأنها تمثل نظاماً ديكتاتورياً يحكمه طاغية، إذ صاحب

¹ - أ. مندلأو، الزمن والرواية، تر إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص09.

² - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص89.

³ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص90.

التغيير على مستوى القوانين، تغيير في نظام المعاملة، فكل من تسول له نفسه المعارضة يتلقى ردة فعل مأساوية، "فحينما وقفت الخنازير الأربعة التي تمثل المعارضة على استحياء، سرعان ما عادت إلى أماكنها بعد أن وصل إلى سمعها نباح به نبرة التهديد"¹.

وهكذا صارت أحداث الحاضر تلغي أحداث الماضي، فالحيوانات في المزرعة لم يسعفها الزمن في تحقيق مبادئ الحيوانية التي أملت فيها خيرا ذات يوم، كونها أصبحت ضعيفة أمام سطوة الحاضر، المتمثلة في بطش نابليون الطاغية وكلابه التسعة² المدربة على طاعته طاعة عمياء.

لقد دأب الخنزير نابليون على خرق القواعد السبع الواحدة تلو الأخرى، أمام أعين الحيوانات وبمساعدة (سكويلر)، ففي إحدى المشاهد يقرر (نابليون) التعامل مع البشر عن طريق التجارة، وهذا خرق لأول الوصايا السبع، "كل من يمشي على رجلين اثنين إنما هو من الأعداء"³، فنجد (سكويلر) يجول بين الحيوانات ويسألهم: "هل يتذكرون بالفعل شيئا عن هذا القرار أو أنها كانت أضغاث أحلام؟، هل لديهم محضر مكتوب دُونت فيه مثل هذه القرارات؟، ولما لم يكن لدى الحيوانات بالفعل أي قرارات مكتوبة بهذا المعنى فإن حديث سكويلر لابد أن يكون صحيحا"⁴.

وكذلك حدث مع باقي الوصايا السبع، فالوصية الثالثة والرابعة تنص على أنه "غير مسموح للحيوانات بارتداء الملابس(...)"، وغير مسموح لها بالنوم على الأسرة⁵، في إطار ترك العادات التي تخص الإنسان وعدم التشبه به، يبد أن الخنازير "انتقلت فجأة لتسكن منزل مستر جونز، وتذكرت الحيوانات عندئذ قرارا سابقا كان قد اتخذ يتعارض وهذا الإجراء"⁶.

يمثل فعل التذكر في هذا المقطع استرجاع الحيوانات للماضي، أيام الوصايا السبع والإيمان بمبادئ الحزب، وعبره يكشف الكاتب الخبث السياسي داخل الأنظمة السياسية التي تستغل الزمن لتغيير المبادئ والدروس عيها.

وهكذا مثل هذا الشق من الرواية، خروق متعددة طالت كل الوصايا التي آمنت بها الحيوانات، فكما كان ممنوعا على حيوان قتل حيوان⁷، صار (نابليون) يقتل الحيوانات التي

¹ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² - المصدر نفسه، ص 91.

³ - المصدر نفسه، ص 35.

⁴ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص 91.

⁵ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ - المصدر نفسه، ص 93.

⁷ - ينظر، المصدر نفسه، ص 35.

تعارضه (الخنزير والدجاج)¹، ويرغمها على الاعتراف بجرائم لم تقتترفها، لينتهي الأمر به في الأخير إلى شرب الخمر واستدعاء شركائه من البشر لإقامة سهرة داخل المزرعة².

أمام كل هذه المظاهر صور أورويل بطش ديكتاتورية الحيوانية، وتحول الخنزير وأتباعه إلى طغاة، كما مرر الكاتب فكرة هامة عن أهمية الزمن في انتشار مظاهر الاستبداد، وأهمية التاريخ للحفاظ عليه في الذاكرة الجماعية، لأن عَدَم التاريخ يؤدي بضرورة إلى التحريف والاندثار عبر الأجيال.

ولعل هذا ما حدث في مزرعة الحيوان في المرحلة الأخيرة، بعد ظهور جيل جديد لم يعيش أيام الثورة، ولم يعرف مبادئ الحيوانية الحقيقية قبل أن تطالها أيادي التحريف الاستبدادية³.

يتجلى من خلال هذه المرحلة الزمنية التي عاشتها الحيوانات في المزرعة ما يلي:

- اعتماد الروائي على الاسترجاع كتقنية سردية، بهدف كشف مواطن الطغيان التي آلت إليها المزرعة بعد نجاح الثورة.
- خرق الوصايا السبع من طرف الديكتاتور نابليون، وإرغام الحيوانات على تقبل الواقع الجديد، تحت ضغط القتل والتعذيب بمختلف الأساليب الاستبدادية.
- إبراز هشاشة الحيوانية كنظام غير قادر على تطبيق المبادئ التي نادى بها من مساواة وعدالة اجتماعية...وبالتالي إبراز قصور الاشتراكية كنظام كان يكتسح العالم في تلك الحقبة الزمنية.
- إقرار الكاتب بأهمية التاريخ في حفظ الذاكرة الجماعية، وإرساء معالم الوعي في ذهن الشعوب.

وفي الأخير يمكن القول أن تجليات الثقافة السياسية في زمن رواية مزرعة الحيوان، كانت تتماشى ورؤية كاتبها السياسية للنظام الاشتراكي، حيث كشف مواطن الضعف التي أهملها المنظرون السياسيون لهذا النظام، ولعل أهمها يكمن في إبراز التحول الذي طرأ عبر الزمن على شخصيات مثل (نابليون وسكويلر)، وكيف تحولت من شخصيات مؤيدة للمساواة والعدالة إلى شخصيات مستبدة لا تعرف الرحمة إليها طريق.

كما أظهر (أورويل) قيمة التاريخ وعلاقته في رفع مستوى الوعي لدى الشعوب، وكأن لسان حاله يقول: شعوب تقرأ تاريخها، لا يمكن أن تستعبد أو تموت.

¹ - ينظر، المصدر نفسه، ص90.

² - ينظر، المصدر نفسه، ص120.

³ - ينظر، جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص119.

وما ميز الزمن المستعمل في الرواية تسلسله مع تطور الأحداث، حتى المرحلة الأخيرة، حيث أصبح السرد يتجه نحو الخلف مع كل تطور في الأحداث.

كما ركز الروائي بشكل قوي على آلية الاسترجاع بهدف كشف التحول العنيف الذي طرأ على مسار الأحداث بعد انقلاب الحيوانات إلى ديكتاتورية، مبرزاً دور الطغيان في تهشيم الذاكرة، وتشويه الاستذكار تحت سطوة العنف والاستبداد.

2-2- الزمن السياسي في رواية 1984:

لقد كان الزمن في رواية 1984 مهماً بشكل كامل، حيث يبدأ هذا التهشيم مباشرة من عنوان الرواية التي كتبت عام (1948)، وحملت عنوان (1984)، حيث عمد صاحبها إلى صناعة قفزة زمنية نحو المستقبل، ليُطلَّ من خلالها على مستقبل الأنظمة الديكتاتورية بعد أربعة عقود من انتشارها في أوروبا، فكانت هذه الرواية تمثل رؤية استشرافية لمستقبل الرأسمالية والاشتراكية في أوروبا والعالم.

➤ تهشيم الذاكرة والتاريخ:

يعتبر التاريخ ركيزة هامة من الركائز التي تحدد وعي الأمم بثقافتها وذاتها، "فوعي الإنسان بأحداث الماضي هو مكون رئيسي من وعيه، وهو المكون ذو الأهمية القصوى في فهم أحداث الحاضر، باعتبار العلاقة الوطيدة التي تربط الماضي بالحاضر، وهي علاقة العلة بالمعلول، أو علاقة السبب بالمسبب، وهو كذلك ذو الأهمية في إمكانية فهم الصورة التي ستكون عليها أحداث المستقبل"¹.

بمعنى أن التاريخ بقدر ما هو مهم في فهم ماضي الشعوب والأمم، فهو اللبنة الأساسية التي تشكل حاضرها ومستقبلها، "فقراءة أحداث المستقبل والتنبؤ بها إنما يعتمد في الأساس يعتمد في الأساس على أخذ العبرة من التاريخ وأحداثه السابقة، والتاريخ بدون النظرة التأملية الشاملة يبدوا أحداثاً متراصة دون فائدة تذكر"².

إن ما ميز رواية 1984 رؤية (أورويل) إلى التاريخ من خلال الأنظمة الشمولية حين يستحيل على المرء معرفة الماضي وأحداثه، أو التأكد من الحاضر وما ينتظر الإنسان في المستقبل، وهذا ما يتضح من خلال موقف (وينستون) مع الكتابة عندما حاول إعداد مذكرة للأجيال القادمة، "قد تملكه شعور بالعجز التام، فقبل كل شيء لم يكن متأكداً أن العام كان 1984، فقد يكون الزمان قريباً من ذلك التاريخ لأنه كان متأكداً أن عمره لم يتجاوز التاسعة والثلاثين، وكان يعتقد أنه من مواليد 1944، أو 1945، ومع ذلك كان من المستحيل في هذه الأيام تحديد أي تاريخ معني عليه سنة أو سنتان"³.

¹ - مصطفى النشار، فلسفة التاريخ (نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توبيني)، نيويورك للنشر والتوزيع، دب، ط1، 2017، ص10.

² - مصطفى النشار، فلسفة التاريخ، ص10.

³ - جورج أورويل، 1984، ص11.

إن الارتباك الذي قدمه الروائي في هذا المشهد يعكس طبيعة التطور الذي ساد النظام الدكتاتوري وفق رؤيته لمستقبل النظام الاشتراكي والرأسمالي في تلك الفترة الزمنية، إذ رأى أن هذه الأنظمة ستعتمد على تزوير التاريخ والحقائق المرتبطة بالماضي من أجل البقاء أكثر والاستمرار في السلطة، كما أكد الروائي أن هذه الأنظمة الشمولية ستكون هي الأقوى على مر التاريخ في ممارساتها للدكتاتورية، وفي تعلقها بالسلطة والتعذيب والاضطهاد، وكل ذلك قد جسّد في رواية 1984، إذ تطرق صاحبها إلى ذكر أسباب غامضة تحكمها قوى أكبر، متعشّة للسلطة والحكم، تعتمد على كل الوسائل والعلوم المختلفة من أجل تثبيت غاياتها، ويظهر ذلك في تلك الحوارات التي دارت بين الجلاّد المتعلّم والحكيم، مع مريضه وسجينه وضحيته السيد (ونستون) والتي أثبتت أهمية الزمن والتاريخ في ترسيخ مبادئ الشمولية والحزب في رواية 1984، إذ يقول (أوبراين) "ألم أقل لك قبل لحظات أننا نختلف عن معاناة الماضي"¹، إننا لا نترك أثر لضحايانا "ستمحي كل علاقة لك بالماضي كما بالمستقبل، وستصبح كأنك لم تكن"².

من خلال هذا أقر الروائي بتقدم الأنظمة الشمولية على سابقتها، بتحكمهم في الماضي والحاضر والمستقبل، وبالتالي تحكمهم في الزمن والتاريخ، هذا التحكم الذي مكن لهم التحكم في الإنسان والشعوب، عبر التخلص من كل شوائب متعلقة بالماضي قد تؤدي إلى أي نوع من الثورات ضدهم، كما مكن لهم هذا التحكم من صناعة أبطال الحاضر والمستقبل في قوالب تتماشى مع ذهنية الخوف والرؤية الشمولية في الحكم وإدارة النظام.

➤ التراكم المعرفي ونمو الحس التاريخي:

رأى (جورج أورويل) أن الأنظمة الشمولية الحديثة أو المستقبلية والتي تنبثق من الأنظمة السياسية التي عاصرت زمانها تختلف في رؤيتها للزمن عن جميع الأنظمة التي سبقتها، كونها تعتمد على التراكم المعرفي ونمو الحس التاريخي وتستأثر به لنفسها، دون مشاركة عامة الناس بهذا العلم.

إن "الدراسة الفلسفية للتاريخ على حد تعبير (هيجل) تعني دراسة التاريخ من خلال الفكر، لأن التاريخ هو تاريخ الإنسان وجوهر الإنسان هو الفكر، وهو كل ما هو إنساني لا يكون كذلك إلا من خلال ما فيه من فكر"³.

وهذا ما جعل الأنظمة الشمولية تعي سبب سقوط الأنظمة الدكتاتورية القديمة وفق دراسات علمية معمقة تعتمد على متخصصين وعلماء ميادين شتى، جعلت كل العلوم المعروفة تخدم مصالح الحزب التي ترمي لجعل فكرة الحكم والسلطة خالصة وأبدية في يده، وكل ذلك بالعودة إلى التاريخ ودراسة وفهم أسباب فناء الأنظمة والعمل على وضع حلول

¹ - جورج أورويل، 1984، ص 299.

² - المصدر نفسه، 301.

³ - مصطفى النشار، فلسفة التاريخ، ص 44.

بقائها، هذا ما وضعه (أوبراين) على لسان الحزب قائلًا: "إننا نختلف عن الأشكال الكثيرة في حكم القلة التي وجدت في الماضي لجهة أننا نعرف ما نفعل، أما الآخرون بمن فيهم هؤلاء الذين كانوا ينبهوننا، فكانوا جنباء ومرائين، لقد بلغ النازيون الألمان والشيوعيون الروس حدا جعلهم قريبين منا في مناهجهم، لكنهم لم يملكوا من الشجاعة ما يكفي للاعتراف بدوافعهم، لقد كانوا ادعوا، بل ربما اعتمدوا أنهم بلغوا السلطة وهم لها كارهون وأنهم لن يمكثوا فيها إلا لأجل محدود، وأنه لم يعد يفصلهم شيء عن الفردوس الموعود الذي يحيا فيه الناس أحرارا متساويين، إننا لا نشبه هؤلاء، إننا ندرك أنه ما من أحد يمسك بزمام السلطة وهو ينوي التخلي عنها"¹.

في هذا المقطع رسم (أورويل) فكرة عن رؤية الشمولية في رواية 1984 للتاريخ وكيف تعتمد على التراكم التاريخي والعلم في فهم أسباب الفناء والبقاء، وكيف تحاول الأنظمة الشمولية الجديدة وضع بذور بقائها بشكل صارم وجاد، عبر دراسة التاريخ وصناعاته كما يحلوا لها بعد ذلك، ولهذا كتب (ونستون) يقول: "إن من يتحكم في الماضي يتحكم في المستقبل، ومن يتحكم في الحاضر يتحكم في الماضي"².

ووفقا لهذا الطرح قام (أورويل) ببناء الزمن في رواية 1984، حيث لا يمكن لأي إنسان من العامة أن يفهم حقيقة الماضي والحاضر والمستقبل، فالزمن بشكل عام والتاريخ بشكل خاص لم يعد في متناول العامة، وحتى ذلك التاريخ الذي يسمح به الحزب أو يمنحه لعامة الناس، فإنه تاريخ مؤقت ونسبي، يتمشى وحاجة الحزب في البقاء، فإذا شكّل أي تهديد ولو بنسب متناهية في الصغر فإنه ينسف وتنسف كل اللوازم المتعلقة به، وينزع نهائيا من ذهن العامة كما لم يكن، وهذا ما يتضح من خلال كتاب (غولديشتاين) الذي يعتبر المرجع التاريخي الوحيد الذي تفهم من خلاله العامة تاريخها وحقيقتها، هذا الكتاب الذي اكتشف (ونستون) في الأخير أنه من تأليف الحزب عندما سأل (أوبراين) قائلا: "وهل قرأته أنت؟"، فأجاب أوبراين: بل قل كتبتّه أو حتى أكون أكثر دقة، لقد شاركت في وضعه فكما تعلم ما من أحد يؤلف كتابا بمفرده"³.

فإذا نظرنا إلى صاحب الكتاب كما يعرفه العامة كقائد روعي للمعارضة والعدو الأول للحزب (غولديشتاين) أنه شخصية وهمية غير موجودة، أنتجها الحزب من أجل التحكم، فأولئك الذين تسول لهم أنفسهم الثورة ضده، فإننا نفهم أن رؤية (أورويل) للأنظمة الشمولية المستقبلية تَضَع من تاريخ الشعوب الموالية والمعارضة في نفس الوقت، وتَضَع من أبطال المعارضة الثوريين والروحيين وهذا ما يجعلها أنظمة أقوى بكثير من سابقتها.

¹ - جورج أورويل، 1984، ص 293.

² - المصدر نفسه، ص 51.

³ - جورج أورويل، 1984، ص 291.

فالفكر التاريخي والتراكم السري المعرفي الذي وسم كتاب (غولدشتاين) كان عبارة عن خطة مسبقة تصنع تاريخ المعارضة الثورية للحزب، فكل من تسول له نفسه المعارضة يلجأ إلى (غولدشتاين)، هذا الأخير الذي يمثل الحزب، بل هو من صنعه، ولعل هذا ما جعل (أوبراين) في حديثه عن (ونستون) متأكدا مما يقول وأكثر اعتدادا بالنفس مقارنة (بونستون) الذي كان في كل مرة يشعر بالعجز التام والضعف أمام رؤية الحزب في الحكم والسيطرة وذكائه الحاد، يقول (أوبراين) معلقا على كتاب (غولدشتاين): "أما الوصف الذي يقدمه فصحيح، وأما البرنامج الذي يضعه فهراء لا قيمة له، فكل ما يقوله عن التراكم السري للمعرفة والانتشار التدريجي للفكر التنويري اللذين يقضيان في نهاية الأمر إلى الثورة البلوريتارية والإطاحة بالحزب، لا يعدو أن يكون هراء ما بعده هراء، لأن البلوريتاريا لن تثور ولو بعد ألف مليون سنة، إنها لا تستطيع ذلك ولا أظن أنني بحاجة لأن أخبرك بالسبب لأنك تعرفه بالفعل، وإذا كنت متعلقا ببعض الأحلام التي راودتك عن اندلاع العصيان المسلح فعليك أن تتخلى عنها، فليس ثمة سبيل للإطاحة بالحزب الذي سيظل حكمه قائما إلى أبد الدهر، ولتجعل ذلك المعتقد هو نقطة لانطلاق أفكارك"¹.

وعليه فالزمن وفق النظام الشمولي الذي رسمه (جورج أورويل) لا معنى له بالنسبة لمفهوم الزمن المتعارف عليه في الوجود، أو الدراسات الأدبية والعامة، فالزمن الذي صنعه رواية 1984 في ظل سلطة الأخ الكبير زمن يرتبط بشكل كبير بالسلطة، فكل تاريخ أو حدث أو شيء يخدم السلطة يكتب دون أن يوضع في الأرشيف الخاص بها.

وبمجرد ما يصبح هذا التاريخ أو الزمن لا يخدم بقاء السلطة يغير أو ينسف أو يُحرّف وكان ليس له وجود.

وقد شرح (أورويل) عمل هذا النظام المتكامل الذي يعيد كتابة تاريخ كل شيء، والذي تهتم به وزارة الحقيقة التي "تختص بشؤون الأخبار ووسائل اللهو والاحتفالات والتعليم والفنون الجميلة"²، فكل ما يقوله الحزب يصبح حقيقة تاريخية، وكل أكذوبة يقرها تصنع تاريخ، وكل تاريخ لا يخدم الحزب يُزيف ويصبح حقيقة، وهذا ما أطلق عليه جورج أورويل "الاستحواذ على الحقيقة أو كما يسمونها في اللغة الجديدة التفكير الإزدواجي"³، ويقدم الروائي مثالا على ذلك من خلال تلك الأفكار التي كانت تختلج عقل (ونستون) بصفته يعمل كمزور تاريخ، ويعرف بعض الخصائص، يقول: "إن الحزب يقول: إن أوقيانيا تختلف مع أوراسيا، بينما ونستون سميث يعرف أن أوقيانيا كانت في تحالف مع أوراسيا منذ وقت قريب، ولكن هذه المعلومات أين يمكن أن نجدها، إنها فقط في ضميره، الذي لا يلبث أن يسحق، وإذا قبل الناس الأكذوبة التي ألزمهم بها الحزب، وإذا كانت كل السجلات تحكي

1 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2 - جورج أورويل، 1984، ص 08.

3 - المصدر نفسه، ص 41.

القصة نفسها، فإن الأكذوبة تنحل التاريخ وتصبح حقيقة، وأحد شعارات الكذب "من سيطر على الماضي يسيطر على المستقبل، ومن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي، لكن الماضي الذي هو طبيعته قابل لإعادة النظر، لم يحدث أبدا أن يتغير، فما هو صحيح اليوم كان صحيحا منذ الأزل، وسيبقى كذلك إلى الأبد"¹.

وحتى يفهم القارئ طبيعة عمل الحزب في صناعة الماضي ومواقبته مع ما يخدم الحاضر والمستقبل، وبصفة مطلقة كان يجمع البيانات الجديدة التي أقرها الأخ الكبير وتدرس إذا كانت لا تتوافق مع بيانات قديمة من الماضي، فإذا كان هناك تباين بشكل من الأشكال، يعاد كتابة ماضي البيانات القديمة في شكل جديد بما يتوافق ومستجدات الأخ الكبير وإبقاء نفس التواريخ التي تخصها.

يقول الراوي: "فحالما يتم تجميع ومقارنة كافة التصحيحات التي يصدف أن تكون لأزمة في عدد من إعداد 'التايمز' يعاد طبعه من جديد، ويتم إتلاف النسخة الأصلية ووضع النسخة المصححة في ملف المحفوظات محلها، ولم تكن عملية التبديل المتواصلة هذه تطبق على الصحف فقط، بل كانت تطل أيضا الكتب والدوريات والنشرات والإعلانات والأفلام وأشرطة التسجيل وأفلام الكرتون والصور وكذا كل أنواع الأدب أو الوثائق التي يمكن أن تحمل مضامين سياسية أو أيديولوجية"².

فوفق ما نوه إليه الراوي فإن (جورج أورويل) يرى أن الأنظمة السياسية الشمولية بتحكمها في الزمن (الماضي، الحاضر، المستقبل)، والتاريخ المعرفي للبشر، فإنها تتحكم في ثقافة الشعوب ومعتقداتها أيضا، فكل ألوان الحياة الثقافية من فن وأدب ومسرح وسينما، وكل جانب من جوانب الحياة بما فيها الجانب الاقتصادي خاضع لسلطة الحزب وسطوة جنود وزارة الحقيقة الذين يعملون بدون كلل أو ملل على صناعة الماضي وإعادة تدوير الخصائص المرتبطة به يخدم الأخ الكبير وبقائه على هرم السلطة.

يقول أورويل: "فيوما بيوم وربما دقيقة بدقيقة يتم تحديث الماضي بما يجعله يتوافق والحاضر، وهكذا فإن كافة تنبؤات الحزب يتسنى بالدليل الوثائقي إظهارها باعتبارها صائبة، كما أن كل فقرة إخبارية أو أي إبداء لوجهة نظر تتعارض مع مجريات الحاضر، كان لا يسمح لها بالبقاء ضمن أي سجلات، فالتاريخ كله كان بمثابة لوح تم تنظيفه لإعادة النقش عليه بما تستلزمه مصلحة الحزب"³.

لهذا يرى (أورويل) أن النظام الشمولي الذي جسده في رواية 1984 هو نظام متماسك، وهذا التماسك نابع من تفانيه في إقامة الحجة على كل من تسول له نفسه الإتيان بحقيقة

¹ - جورج أورويل، 1984، ص40.

² - المصدر نفسه، ص46.

³ - جورج أورويل، 1984، ص47.

تتعارض مع إصدارات الحزب أو أخطاء ناتجة عن الأخ الكبير، فعندما ينتهي الحزب من عمل ما "فإنه يصبح من المتعذر تماما على أي كان الإتيان ببرهان على أن ثمة تزيفا قد جرى"¹.

ولم يكن هذا التحكم في التاريخ أو الأحداث مقتصرًا على المدونات والصحف والكتب والتواريخ فقط، بل يشمل الأشخاص والمؤسسات أيضا، إذ كان الأشخاص والمؤسسات يختلفون في أوقيانيسيا بشكل طبيعي، وبنفس السرعة تختفي كل دلائل وإثباتات وسجلات متعلقة بهم، يقول (ونستون) "فالمألوف أن الأشخاص الذين يجلبون على أنفسهم غضب الحزب كانوا يختلفون من الوجود ويختفي معهم ذكرهم، دون أن يعثر على أي مفتاح يكشف سر اختفائهم"².

ويربط الروائي الحس التاريخي ببقاء هذا النظام وخلوده من خلال الحوار الذي دار بين (وينستون وبراون) حول آلية التحكم في الحاضر، الماضي والمستقبل، يقول (أوبراين): "يوجد للحزب شعار يتعلق بالتحكم في الماضي، هل يمكنك أن تقوله من فضلك؟، فأذن ونستون وقال ممتثلا: إن من يتحكم في الماضي يتحكم في المستقبل، ومن يتحكم في الحاضر يتحكم في الماضي.. فأوما أوبراين وقال: إن من يتحكم في الحاضر يتحكم في الماضي، هل ترى أن للماضي وجوده فعليا.. ومرة أخرى شعر ونستون بالعجز يغمره من رأسه إلى أخمص قدميه.. ابتسم أوبراين ابتسامة خفيفة وقال: إنك لست من علماء الميتافيزيقا يا ونستون، كما أنك حتى هذه اللحظة لم تفكر فيما تعنيه كلمة الوجود، وحتى أكون أكثر دقة سأقول: هل الماضي موجود كشيء محسوس ويشغل حيزا في الفراغ، هل يوجد في مكان ما عالم يتألف من أجسام صلبة مثلا، لا يزال الماضي يحدث فيه..

- كلا

- إذن أين يوجد الماضي إذ كان له وجود في الأصل؟

- هي السجلات حيث يدون

- في السجلات وفي..؟

- في العقل وفي ذكريات البشر

- في الذاكرة، حسنا، جيد، إننا أقصد الحزب نسيطر على جميع السجلات

ونسيطر على جميع الذكريات، ومن ثم فإننا نتحكم في الماضي أليس كذلك؟"³.

إن الحس التاريخي والتراكمي المعرفي وفق (جورج أورويل) هو القوة الحقيقية للأنظمة السياسية الشمولية، فالتحكم في التاريخ يشمل كل شيء وكل ميادين الحياة الاجتماعية والثقافية والنفسية والدينية والاقتصادية، وبطرق وآليات مبنية على منهجية علمية

¹ - المصدر نفسه، ص 47.

² - المصدر نفسه، ص 51.

³ - جورج أورويل، 1984، ص 273، 274.

وأعماله اليومية بشكل مكثف يجعل الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، في يد هذه الأنظمة، فتقرر هي بقاءها وفناءها، كما تقرر الصواب والخطأ، وتضع الحقيقة كما يراها النظام لا كما يراها العامة، بل تصبح رؤى العامة بدون معنى أمام التنظيم والتنسيق الدقيق الذي تعتمد الأنظمة في صناعة وجودها.

فشعار الحزب لم يكن شعارا بسيطا من أجل التردد والتكرار والتعليق على اللافتات، بل كان منهجية فكرية منظمة والعمود الفقري الذي يقوم عليه أساس الحزب ووجوده.

فالحقيقة في النظام الشمولي وفق رؤية (جورج أورويل) السياسية في كل ما ينبع من الحزب وما يقوله، وكل ما هو خارج عن هذا الإطار يدخل في باب الضلالة والعصيان، ولهذا راح (أوبراين) يشرح الموقف (لونستون) قائلا: "إن الواقع لا يراه إلا العقل المنضبط يا ونستون، إنك تؤمن بأن الواقع شيء موضوعي خارجي قائم بذاته، كما تؤمن بأن طبيعة الواقع طبيعة بديهية بذاتها، وعندما تضلل ذاتك وتوهمها أنك ترى شيئا ما فإنك تفترض أن كل الآخرين يرون الشيء ذاته، ولكن أقول لك يا ونستون: إن الواقع ليس له وجود خارجي، إن الواقع موجود في العقل البشري ولا يوجد في مكان سواه، إنه ليس موجودا في العقل الفردي الذي هو عرضة للوقوع في الأخطاء، كما أنه يفنى بفناء صاحبه، إنه لا يوجد إلا في عقل الحزب الذي يتسم بأنه جماعي وخالد، وما يعتبره الحزب حقيقة فهو الحقيقة التي لا مرأ فيها، ومن المستحيل أن ترى الحقيقة إلا بالنظر من خلال عيني الحزب، تلك الحقيقة التي يجب أن تتعلمها"¹.

من خلال هذا القول يتضح أن الحزب في رواية 1984 يعتمد على فلسفة ورؤى علمية في رؤيته للزمن، ولهذا كان (أوبراين) دائما بمثابة المعلم، في حين يظهر (ونستون) عاجزا أمام حججه المقنعة.

ووفق دراسة رؤية الأنظمة الشمولية للزمن من منظور رؤية الروائي لهذه الأنظمة يتضح أن الزمن بعناصره الثلاثة (الماضي، الحاضر، المستقبل) هام في التحكم بالشعوب، وعليه فقد كشفت رواية 1984 عن علاقة هذا التحكم بالتحكم في التاريخ، وبالسيطرة على الإنسان يصبح تاريخ الإنسان في يد المسيطر، الذي يكتب تاريخه كما يحلو له، فالتحكم في التاريخ وفق رؤية (أورويل) يعني التحكم في التاريخ التراثي الثقافي الإنساني، وكذلك في ثقافته التي تمثل عاداته وتقاليده ويومياته، كما يمثل التحكم في التاريخ السيطرة على هوية الإنسان فتصبح هويته من صنع الأنظمة المتحكمة، كما يصبح غير قادر على مجابهتها أو مناهضتها فكريا أو عقليا، فيصبح الإنسان في يد النظام يحرك خيوطها كما يشاء.

3- علاقة الحرية بالمكان عند جورج أورويل: يمكن تتبع هذه العلاقة من خلال دراسة ما يلي:

¹ - جورج أورويل، 1984، ص 275.

3-1- الطبيعة ومنهاضة الطغيان:

إن الطبيعة في رواية 1984 دلالة على الحرية والصمود في وجه الطغيان والديكتاتورية، فكانت تمثل ذلك المكان الحميمي الذي يجمع (ونستون وجوليا) بمعزل عن الحزب وعيونه التي تنتشر في كل مكان، تقول (جوليا): "لا تخرج إلى الأرض المكشوفة، فقد يكون هناك شخص يترصدنا، إننا نظل في أمان ما دمنا وراء أغصان الأشجار"¹.

لقد عكف كل من (جوليا وونستون) على الذهاب إلى الريف من أجل لقائهما السري، وفي هذا المكان اعترف كل منهما للآخر بتمرده وكرهه للحزب، يقول (ونستون): "إنك لا تزالين في مستقبل عمرك، فأنت أصغر مني بعشر أو خمس عشرة سنة، فما الذي أعجبك في رجل مثلي؟..

فردت قائلة "إنه شيء ما في وجهك شجعني على خوض المغامرة، إنني ماهرة في اكتشاف الأشخاص الذين لا انتماء لهم، فما رأيك حتى أيقنت أنك ضمنهم"².

لقد قدم (جورج أورويل) رؤية هامة عن منظوره الثقافي السياسي، ومفهومه للحرية، إذ أفلعت بؤادر الدعوة إلى التمرد والعبودية من الطبيعة، حيث كانت المشاهد الطبيعية والأوصاف الجميلة لمناظر الريف والطيور والمروج والأسماك تتخلل اللقاءات الأولى بين العاشقين المتمردين، ما رسم انطباع جاد من ارتباط الطبيعة بالحرية في فكر (أورويل)، يقول: "كان طائر الحسون قد حط على غصن لا يبعد أكثر من خمسة أمتار عنها، وعلى مستوى وجهيهما تقريبا أو يبدوا أن الطائر لم يرهما، فقد كان هو في الشمس وكانا هما في الظل، نشر الطائر جناحيه ثم أعادهما بعناية إلى وضعهما الأول وخفض رأسه للحظة، كما لو كان يؤدي فرضا من فروض الطاعة والتبجيل للشمس، وأخذ يصدق بأغانيه"³.

يوحي هذا المقطع بالحيلة والحذر الذي يمتلك (جوليا) وخوفها من حقيقة أن يكشف أمرها كما يوحي أن الأغصان العالقة في القش (الطبيعة) تعتبر دلالة على التمرد والخيانة والعصيان في نظر الحزب.

إن هذا الحضور للطبيعة في رواية 1984 وكذلك رواية مزرعة الحيوان يكشف تأثير (جورج أورويل) بالمدرسة الطبيعية الواقعية التي اشتهرت مع الكاتب الفرنسي (إيميل زولا) كرائد عليها، وهذا التأثير يكشف عن علاقته بالطبيعة، إذ مثلت هذه الأخيرة رمز التحرر وعودة الإنسان إلى طبيعته الأولى بعيدا عن كل أشكال الاستعباد والقيود الموضوعية التي تسيطر عليها طبيعته.

¹ - جورج أورويل، 1984، ص132.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - جورج أورويل، 1984، ص133.

وفي دراسة تهتم بمنظور الطبيعة في رواية 1984؛ "أكد الباحث (دنج يون فاي) عن هذا الانجذاب بين (أورويل) والطبيعة في مسعاه للكتابة المناهضة للعبودية، إذ أكد أن هذا التأثير والتجاذب مع الطبيعة راجع لتأثر (جورج أورويل) بشدة بأعمال إميل زولا الروائي الفرنسي المعروف باسم زعيم الطبيعة بشكل عام، بتكرار موضوع الطبيعة في كل قصصه تقريبا من روايته مثل أيام يورما 1934 وابنة رجل الدين 1935..."¹.

وقد أبانت الطبيعة كمكان حميمي ورمزٍ للحرية ورغبة الإنسان للجوء إلى طبيعته الأولى عن هذه الدلالة من خلال تلك المشاهد المتكررة في الرواية، والتي ارتبطت كلها بالتححرر من قبضة الحزب سواء على المستوى النفسي، حيث يشعر فيها المضطهدون بالاندماج والاسترخاء أو على المثل الجسدي، حيث اعتبر مكانا للاختفاء بعيدا عن أنظار الجواسيس والأعين التي ترى كل شيء.

هذا ما حدث وتكرر في لقاءات (وينستون وجوليا)، حيث كانت الطبيعة بمشاهدها تأخذهم إلى عالم التمرد أو الفساد من منظور الحزب، وتجعلهما يتوغلان في الحياة الحقيقية تحت أنغام الطائر الحسون، التي تحرم الميكروفون الخاص بالتقاط الكلام من الوصول إلى همسهما، يقول الراوي: "لن يستطيع الميكروفون الخاص التقاط ما قاله، لكنه سيلتقط تغريد الحسون، وربما ثمة رجل ضئيل الجسم أشبه بالخنفساء عن الطرف الآخر من الميكروفون، ينصت باهتمام إلى ذلك، بيد أنه بالتدريج استطاع قبض الموسيقى المناسبة أن يطرد كل الهواجس من ذهنه"².

وفي الأخير يمكن القول أن الطبيعة وفق رؤية (أورويل) للنظام الشمولي، تعتبر مكانا مناهضا للحزب، ومكانا حميميا ورحيميا لأولئك المتمردين في وجه كل سلطة ظالمة، وكما أسلفنا الذكر يعتبر اختيار أورويل للطبيعة كمنطلق أساسي يعود فيه الإنسان إلى حقيقته الأولى ويتمرد من خلاله على الأنظمة الفاسدة، نابعا من تأثره بالمدرسة الطبيعية الواقعية ورائدها الروائي الفرنسي (إيميل زولا).

2-3- الغرفة كمكان معادل للحرية والخصوصية:

تعتبر الغرفة في رواية 1984 مكانا حميميا ورحيميا أيضا استغله الروائي من أجل توثيق لقاءات وينستون وجوليا السرية، غير أن هذه الغرفة التي اختارها كانت ذات أوصاف مختلفة عن باقي الغرف المعروفة في الرواية، إلا أنها مؤنثة بشكل يجعلهما يعودان إلى الزمن البعيد وأيام الطفولة، يقول الراوي: "راح وينستون يقلب نظره في زوايا الغرفة الوضعية الصغيرة الكائنة فوق متجر حانوت السيد شارنغتون، كان فيها سرير ضخم ينتصب مرثيا بجوار النافذة وعليه أغطية بالية، وكان فوق المتكأ العلوي للمدفئة ساعة عتيقة ذات

¹ -Deng Yun fei the tragedy of winston smith-A natura listic perspective of nineteen eighty four, the school of foreign languages of west china normal university, p01.

² - جورج أورويل، 1984، ص134.

الإثنا عشر رقما تسمع دقاتها، وفي زاوية الغرفة شبه المعتمة كان يومض على نحو ضعيف شعل الورق الزجاجي"¹.

لقد حملت الغرفة مظاهر الحياة الطبيعية السابقة قبل الأخ الكبير والحزب وشرطة الفكر، حيث كان (وينستون وجوليا) ينعمان بالحياة ويكتشفان عبرها روح الحرية المنبعثة من داخلهما ومن خارج نافذة الغرفة المطلّة على المرأة التي تنتمي إلى طبقة العامة وتحبّ حياة جميلة وبائسة، يقول الراوي: "كان يبدو أن المرأة تحفظ جميع مقاطع هذه الأغنية عن ظهر قلب، وأخذ صوتها يسري للأعلى مجهولا على أجنحة نسيم الصيف العليل، وعلى لحن رقيق مفعم بشعور ينم عن سعادة تخالطها الكآبة"².

لقد كشف (جورج أورويل) من خلال تلك المشاهد التي ارتبطت بالغرفة عن بؤس الإنسان داخل الأنظمة الشمولية كما كشف عن حاجة الإنسان إلى الاختلاء والخلوة مع ذاته والتأمل في الوجود وطبيعته، هذا ما كان الحزب في رواية 1984 يعمل على حرمانه لأعضاء الحزب الخارجي والعامة.

هذا ما يكشفه تعليق الراوي عن المرأة التي كان (وينستون) يتفرج عليها وهي تنشر الملابس على سطح البناية المطلّة على الغرفة، يقول: "وكان الناظر إليها يخامرّه شعور بأنها ستكون راضية كل الرضا لو أن أمسية حزيران هذه قد امتدت بلا نهاية، ولو أن ما لديها ثياب مغسولة لا تنفذ حتى تضل على حالها هذه لألف عام، تعلق فيها حفاظات الأطفال وتردد الأغنيات التافهة"³.

كما كانت الغرفة تعبر عن مظهر من مظاهر اكتشاف الذات الإنسانية والأنسة التي يحتاجها الإنسان في طبيعته الغريزية البعيدة عن كل أشكال العبودية، هذا ما يتجلى من خلال القول الذي تظهر فيه (جوليا) في مشهد غير مألوف بالنسبة لها ولعشيقها (وينستون) يقول: "استدار وينستون وللحظة بدا له أنه لا يعرفها، وكان في الحقيقة يتوقع أن يراها عارية، بيد أنها لم تكن كذلك فالتحول الذي جرى عليها كان أكثر من إثارة الدهشة من التعري، ذلك أنها كانت قد طالت وجهها بمساحيق الزينة وتلويناتها"⁴.

لقد كشف الكاتب عبر مشهد الغرفة والتبرج بالمساحيق درجة القهر والاضطهاد الذي مارسه الحزب في رواية 1984 على الحزب الخارجي والعامة، حيث كان يُحضر التزيين بأي وسيلة من هذه الأشياء، والتي تعتبر محرمة، وتعبيرا عن المعارضة والتمرد، إذ كانت مثل هذه الأشياء القديمة تباع في أحياء العامة التي يحضر على عناصر الحزب الدخول إليها، وإلا يعتبر عصيانا.

يقول الراوي: "لا بد أنها قد انسلت إلى أحد الحوانيت الكائنة في أحياء العامة واشترت بالتقسيط مجموعة من أدوات الزينة، كانت شفتاها قد ازدادت احمرارا ووجنتها قد توردتا

1 - جورج أورويل، 1984، ص149.

2 - المصدر نفسه، ص154.

3 - المصدر نفسه، ص154.

4 - جورج أورويل، 1984، ص155.

وأنفها قد طاله شيء من المسحوق، بل وكان هناك أثر لشيء ما تحت عينيها يجعلها أكثر بريقا، نعم لم يكن قيامها بذلك كله قد تم ببراعة، ولكن مقاييس وينستون أيضا في مثل هذه الأمور لم تكن رفيعة إذ لم يسبق له أن رأى أو حتى تخيل امرأة من الحزب تصبغ وجهها بمساحيق الزينة¹.

إن كل شيء مرتبط بالحياة الماضية قبل الحزب والأخ الكبير، كان عامة الناس وأفراد المجتمع في العالم القديم يقومون به يعتبر محظورا وممنوعا، ويتهم أي أحد يقتدي بمثل هذه الأشياء بالخيانة ويعاقب أو يختفي دون سابق إنذار، ولعل هذا يعود إلى طبيعة هذه الأشياء التي ترتبط بالذاكرة والماضي، والتي بمجرد حصول الفرد عليها تستيقظ في ذاته الرغبة في الحياة من جديد بعيدا عن الأخ الكبير وشاشة الرصد ودقيقتي الكرامة، هذا ما يظهر في المقطع التالي الذي نبأ عن علاقة أدوات الزينة بالماضي يقول الراوي: "وما إن ضمها ونستون بين ذراعيه حتى غمرت أنفه رائحة زهور بنفسج صناعي، وعادت به الذاكرة في الحال إلى العتمة التي كانت تخيم على المطبخ شبه المعتم سيء الذكر، وإلى المرأة ذات الفم كالمغارة، ورغم أن عطر جوليا هو نفس العطر الذي كانت تستعمله تلك المرأة، لكنه في هذه اللحظة كان ذا أثر مغاير...

-وصاح.. وعطر أيضا!.

-أجل عزيزي عطر أيضا، هل تدري ما أنوي عمله في المرة التالية، سوف أجيء بثوب نسائي حقيقي وألبسه هنا عوضا عن هذه البنطلونات اللعينة، ألبس أيضا ثوبا حريريا وحذاء عالي الكعب أريد أن أكون في هذه الغرفة امرأة لا رفيقة حزينة².

وهكذا اتخذت الغرفة في رواية 1984 دلالة على الحرية والتحرر بكل ما تحمله هذه الأخيرة من مظاهر الحياة والزينة، وكانت الملاذ الذي تفر إليه الأقلية المعارضة بحثا عن دفء الحياة وروعته، كما كانت الغرفة كمكان حميمي الوطن الذي اكتشف (ونستون) و(جوليا) عبره العالم الخارجي المحيط بهما، عالم السكر والقهوة وأدوات التبرج والملابس والجوارب الحقيقية، كما كانت المكان الذي ناقشا فيه فلسفتهم الانتفاضية الثورية، واستمتعا فيه بحياة طبيعية بسيطة خالصة، وهذا ما جعل حياتهما تتغير على نحو أحسن، "ففي هذه الأثناء كان وينستون قد أقلع عن عادة شرب الخمر تماما وكأنه لم يعد بحاجة إلى ذلك، كما غدا جسمه أكثر امتلاءً ولم تعد دوالي ساقيه ظاهرة وزالت عنه نوبات السعال.. كما لم يعد يرى الحياة حملا ثقila لا يطاق أو يشعر بالحاجة الماسة لأن ينظر بغضب نحو شاشه الرصد، أو يطلق العنان بأعلى صوته³.

وفي الأخير يمكن القول أن (جورج أورويل) في رؤيته وفلسفته الثقافية السياسية يعتبر الغرفة ملاذا آمنا ومكانا حميما ورحيما في نفس الوقت، وهي مكان مناهض للديكتاتورية والعبودية، يمكن للإنسان أن يلجأ إليه هروبا من الأنظمة الشمولية ولو بصفة مؤقتة، حتى

1 - المصدر نفسه، ص155.

2 - جورج أورويل، 1984، ص155، 156.

3 - المصدر نفسه، ص160.

يكتشف ذاته وحقيقته ويتأمل في طبيعته كأبي إنسان، وفي طبيعة وجوده، ويستمتع بتلك الأشياء الصغيرة المتفرقة التي تمنحها الحياة، وفي هذه الرؤية دعوة صريحة لعدم الانسياق وراء الأوهام التي كانت تستسيغ عبرها الأنظمة النازية والشيوعية والبرجوازية أذهان الناس عن حياة أفضل من تلك الحياة التي تعيشها الشعوب في تلك الفترة من الزمن، ودعوة الناس لتتمتع بالحياة بكل بساطة بعيدا عن الأفكار والفلسفات الغربية والبعيدة عن تناول الفكر العام، والتي ترمي عبرها الأنظمة لإقامة أنظمة شمولية تحرم الناس من أبسط مظاهر الحياة.

توصلنا من خلال الفصل الثالث أن الثقافة السياسية عند جورج أورويل تظهر في فهمه العميق لأسباب فناء النظام الشيوعي، حيث صور المؤلف انحطاط الشيوعية في روسيا من خلال القضاء على مبادئ الحيوانية في مزرعة الحيوان، وكان ذلك عبر تقنية الاسترجاع فالزمن وفق رؤية الكاتب هو الذي أطاح بالحيوانية، إذ عمدت الخنازير إلى تشويه الحقائق عبر تهشيم الذاكرة الجماعية للحيوانات، وتزوير المبادئ التاريخية التي اتكأت عليها فأصبحت الحيوانات لا تعي عبر الزمن ماهية الحيوانية، وسقطت في براثن الاستعباد والاستغلال من جديد، وتحت ظلم وسلطة بني جلدتها من الخنازير. فحسب رؤية الكاتب السياسية فإن تهشيم التاريخ وتغييره وتزييفه وفق ما يتمشى وروى الأنظمة هو ما يجعلها قادرة على الاستبداد والطغيان.

أما في رواية 1984 فقد كانت رؤية (أورويل) السياسية مبنية على استشراف مستقبل الأنظمة الشمولية، وتحولها إلى أنظمة شمولية أكثر منهجية وعلمية وعملية، وذلك بسبب تطرقها إلى الماضي، وامتلاكها الحس التاريخي، وفهمها الدقيق لأسباب سقوط الأنظمة الديكتاتورية السابقة، (الاشتراكية والفاشية وما شاكلها)، ومن خلال هذا الفهم استطاعت الشمولية في رواية 1984 التلاعب بالماضي والتحكم في الحاضر، وهذا ما يؤدي وفق رؤية المؤلف إلى بقاء هذه الأنظمة بشكل طويل في المستقبل.

ومن خلال تتبع المنظور الثقافي السياسي عنده في روايته يتضح أنه يرى أن التاريخ والتاريخ الحقيقي لماضي الشعوب هو ما يشكل حاضرها ومستقبلها ومن يتحكم في التاريخ هو من يملك السلطة المطلقة ويحدد مستقبل الشعوب.

كما يتضح من خلال ذات الفصل أن مفهوم الحرية في نظره يرتبط بالعودة إلى الطبيعة، والتشبث بالموروث الثقافي والتاريخي الذي يحدد هوية الإنسان والأمم.

الفصل الرابع: آليات التحكم الشمولي في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.

- 1- السلطة في الفكر الشمولي عند جورج أرويل.
- 2- التحكم في التفكير عبر اللغة.
- 3- الدعاية في فكر جورج أرويل.
 - 1-3- مفهوم الدعاية.
 - 2-3- الدعاية السياسية.
 - 3-3- الدعاية في رواية مزرعة الحيوان.
- 3-3-1- الدعاية كآلية تحريرية في رواية مزرعة الحيوان.
- 3-3-2- الدعاية كآلية شمولية في رواية مزرعة الحيوان.
- 3-3-3- الدعاية الشمولية في رواية 1984.
- 4- مجتمع دون طبقات.
- 5- آلية الجنس في النظام الشمولي.
- 6- بناء الأسرة في النظام الشمولي.

1- السلطة في الفكر الشمولي الأوروبي:

قدم (جورج أورويل) مفهومًا للسلطة في الفلسفة الشمولية من خلال رواية 1984 بعيدًا عن آليات هذا النظام، والطرق التي يستعملها من أجل التحكم في الجماهير، وكان ذلك من خلال الحوار الذي دار بين (أوبرين و ونستون)، والذي يتضمن أهم الأسئلة التي تحيط بمفهوم السلطة، يقول (أوبرين): "إنك تفهم جيدًا كيف يحتفظ الحزب بالسلطة، ولكن قل لي لماذا نتشبه بالسلطة؟، ما هي دوافعنا؟، لماذا نريد السلطة؟"¹.

من خلال هذه الأسئلة مهد الروائي لمقارنة بين مفهوم السلطة الذي اعتمدته الأنظمة القديمة، (الاشتراكية والنازية والرأسمالية) والنظام الشمولي الذي استشرّف الكاتب تحقيقه في ظل تلك المشاهد والأحداث التي عايشها في حياته، وكشف ذلك التحول الذي سيطر على الخطاب السلطوي الذي تتبناها الأنظمة بغية إرساء دعائم البقاء في سدة الحكم.

وعبر ردة فعل (ونستون) كشف أورويل مفهوم السلطة عند الأنظمة القديمة، والذي حصره في الخطاب الذي كانت أغلبية هذه الأنظمة توجهه للشعوب بغية تحقيق مساعيها .

يقول (أورويل) على لسان (ونستون): "كان يعرف سلفًا ماذا سيقول أوبرين، إنه سيقول أن الحزب لم يسعى إلى السلطة من أجل مآربه الخاصة، وإنما من أجل مصلحة الأغلبية، وإنه ما سعى إلى السلطة إلا لأن الجماهير العامة مخلوقات ضعيفة، هشة، تتسم بالجن، ولا يمكنها احتمال مسؤولية الحرية أو مواجهة الحقيقة (...)"، إن الحزب هو الوصي الأبدي على المستضعفين، وإنه يضحى بسعادته من أجل سعادة الآخرين"².

إن هذا الخطاب الطويل الذي قدمه (أورويل) يظهر ما وراء الرغبة في السلطة، التي كانت تنترن بها خطابات الأنظمة القديمة، وهو لا يمثل الخطاب السلطوي المبني على فلسفة نابعة من تقديس السلطة، والذي تتبناه ذهنية الأنظمة الشمولية، ولعل هذا ما جعل أوبرين يسخر من وينستون لهذا الجواب المضطرب قائلاً: "هذا غباء وسخافة يا وينستون، ما كان ينبغي أن تتنطق بشيء مثل ذلك"³.

يرى (جورج أورويل) أن السلطة في الأنظمة الشمولية غاية وليست وسيلة، وكلية خالدة، وليست فردية نسبية، وهي مطلقة ودائمة، ولا يمكن مواجهتها بأي وسيلة من الوسائل وكل من يخرج عنها يظل ويموت.

يظهر ذلك من خلال جواب (أوبرين) الذي كسر أفق التوقع لدى (وينستون)، يقول: "إن الحزب يسعى إلى بلوغ السلطة لذاتها، وأن مصالح الآخرين لا تعنينا في شيء، فكل

¹ - جورج أورويل، 1984، ص291.

² - المصدر نفسه، ص291، 292.

³ -- جورج أورويل، 1984، ص292.

هنا محصور في السلطة، نحن لا نسعى وراء السعادة، وإنما نسعى وراء السلطة، و السلطة المطلقة فقط"¹.

والحقيقة من هذا القول أن (أورويل) يكسر أفق توقع القارئ، ويزيل جانب من جوانب الضبابية التي تلتصق بمفهوم السلطة التقليدي المرتبط بأذهان الناس، فالسلطة لم تعد غايتها إسعاد الناس أو أعضاء الحزب الذي يتربع على العرش، بل الغاية منها تكمن فيها.

ولا ينتهي الروائي في توضيح هذه الفلسفة الشمولية عند هذا الحد، بل يتجاوز ذلك ويكشف الخلفية التي تتكئ عليها هذه الأنظمة الشمولية، والتي أدت إلى تحقيق هذا المفهوم الجديد والمرعب، وذلك عبر التوضيح الذي أقره (أوبرين) قائلاً: "إننا نختلف عن الأشكال الكثيرة من حكم القلة التي وجدت في الماضي، أما الآخرون بمن فيهم هؤلاء الناس الذين كانوا يشبهوننا، فكانوا جبناء ومرائين، لقد بلغ النازيون الألمان والشيوعيون الروس حد جعلهم جد قرييين منا في مناهجهم، لكنهم لم يمتلكوا من الشجاعة ما يكفي للاعتراف بدوافعهم"².

إن هذا الاعتراف اللافت يحدد استفادة الأنظمة الشمولية وقراءتهم الجادة للأنظمة السابقة، وتجاوز أخطائهم بطرق علمية ومنهجية، ما جعل أسلوبهم في البقاء يعتمد على مدى إعادة بعثهم لفلسفة جديدة، تعمل على تحصيل مفهوم خاص ومغاير للسلطة.

وقد شرح (أورويل) هذا المفهوم بشكل تدريجي قائلاً على لسان (أوبرين): "إننا ندرك أنه ما من أحد يمسك بزمام السلطة وهو ينوي التخلي عنها، إن السلطة ليست وسيلة بل غاية، فالمرء لا يقيم حكماً استبدادياً لحماية الثورة، وإنما يشعل الثورة لإقامة حكم استبدادي، إن الهدف من الاضطهاد هو الاضطهاد، والهدف من التعذيب هو التعذيب، وغاية السلطة هي السلطة"³.

يكشف هذا القول عن رؤية الكاتب للمفاهيم البالية التي وصل عبرها الطغاة القدماء إلى السلطة، ويكشف حقيقة الحكم الاستبدادي الذي يتشكل عبر تلك الثورات التي تخرج طغاة جدد في كل مرة، وهذه رؤية قديمة تحدث عنها الفلسفة والكتاب الذين عالجوا موضوع الديكتاتورية، غير أن مفهوم السلطة الذي يقدمه (أورويل) بطريقة متدرجة في الرواية، يتكشف عن عمق الإدراك والتبصر الذي يتسع له هذا الكاتب السياسي.

لقد رأى الكاتب أن السلطة تتجه نحو الشمولية في مفهومها، وتصبح نوع من القداسة أو العبادة التي تذوب فيها جميع المخلوقات البشرية، تحت وطأة الألم والعذاب، إنها شق من الشقاء والكبد الذي لازم الإنسان منذ نزوله على الأرض.

¹ - المصدر نفسه، ص292، 293.

² - المصدر نفسه، ص293.

³ - جورج أورويل، 1984، ص293.

لهذا يقول (أوبراين) في الرواية : "إننا نحن كهنة الله والله هو السلطة، (...) وأول ما يجب أن تدركه هو أن السلطة جماعية، وأن الفرد لا يمكن أن يملك سلطة إلا بمقدار ما يتخلص من فرديته (...). فالإنسان حينما يكون وحيدا أو حرا، دائما ما يقهر أو يغلب (...). وأما الأمر الثاني الذي يجب أن تدركه هو أن السلطة هي سلطان على البشر، على أجسامهم وعلى عقولهم قبل كل شيء"¹.

إن هذه الفلسفة التي صاغها (أرويل) حول مفهوم السلطة عند النظام الشمولي وفق رؤيته في رواية 1984، نابعة من تشبعه من القراءة التي اعتبرت الطاغية في أسمى تصوراتها، سيكون طاغية في صورة إله، وهو عينه الطاغية في رواية 1984 والمتمثل في شخصية الأخ الكبير الذي أسلفنا دراسة مرجعيته في الفصل السابق، فالحزب ما هو إلا مجموعة من الكهنة التي تذوب في حضرتة، وتفنى في خدمته وتبجيله، ولهذا كانت غاية الحزب في الرواية جعل جميع المخلوقات البشرية محبة ومخلصة للأخ الكبير.

يقول (أوبراين): "إننا نسيطر على الحياة في جميع مستوياتها، إنك تتخيل أن هناك شيئا اسمه الطبيعة الإنسانية، سيغضبها ما نفعله، ومن ثم فإنها سوف تتقلب علينا، ولكن ما لا تعرفه هو أننا نعيد خلق الطبيعة الإنسانية، فالإنسان قابل للتحويل بشكل غير محدود"².

إن هذه الفكرة التي استلهمها (أرويل) من حسه السياسي وقراءته الاستشرافية للواقع الأوروبي في تلك المرحلة التي عايشها، تتمثل في استحواذ الأنظمة الشمولية على شعور ولاشعور جماعي للشعوب، وتحويلهم دون وعي إلى عبيد وجماهير تسير في قوافل نحو غاية هذه الأنظمة.

إن القارئ للتاريخ الأوروبي يعي أن هذا التفوق الصريح الحزب على الإنسان في الرواية، يعود بالضرورة إلى ذلك الادعاء الذي صنعتته الدول الاستبدادية سابقا، حيث وضعت تفسير خاص بها عن العالم وهو واحد من امتيازاتها، (...) فقد أظهرت بهذا أن السياسة قادرة على استعمال تصورهما للعالم كسلاح، وأن السياسة ليست مجرد صراع عن السلطة"³، وهذا ما جعل (أرويل) يقدم هذا الشرح على لسان (أوبراين)، كاشفا تلك الأخطاء السابقة التي حولت العلم إلى أداة في يد السلطة، وبذلك "لا يستطيع التفكير الخاضع لموقف سياسي أن يسمح لنفسه باستمرار إعادة تكييف نفسه طبقا للخبرات الجديدة"⁴.

¹ - جورج أرويل، 1984، ص294.

² - المصدر نفسه، ص299.

³ - كارل مانهايم، الأيديولوجيا والبيوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، تر محمد رجا الدين، شركة المكتبات الكويتية، ط1، 1980، ص111.

⁴ - المرجع نفسه، ص112.

وبالتالي يصبح "ما لم يخدم السياسي من العلم لابد أن يحارب"¹، كما حارب كل ما ليس له علاقة خضوع للحزب في رواية 1984.

وعليه فإن أورويل يرى أن مفهوم السلطة الذي ستصل إليه الأنظمة الإستبدادية لا محالة سيقوم، إذا ما أبقى العلم في يد رجال السياسة، ولعل هذا ما جعل (أوبراين) يقول: "إن كنت تريد أن تستشرف صورة المستقبل، تخيل حذاء يدوس ويدمغ وجه إنسان إلى أبد الأبدين"².

لقد مثل الصراع القائم في رواية 1984 بين الحزب والمعارضة، (أوبرين وينستون)، صراعا قديما على السلطة، حيث يعود أصله إلى "الانتقال من المعيار الموضوعي إلى الموضوع الذاتي، عندما قررت الكنيسة أن على كل شخص أن يقدر طبقا لضميره الوضع الذاتي الخاص به، إن كان سلوكه يرضي الله ويؤدي إلى الخلاص"³.

وهذا ما حول المجتمع الأوروبي إلى أفراد متفرقين يعانون من اللانتماء وسهل على الأنظمة الشمولية جمعهم تحت قوة الديكتاتورية، إذ "أصبحت ملاحظة العملية النفسية فيها أهم من الإصغاء إلى معايير الخلاص الروحي، التي كان الناس فيما سبق يستعملونها ليكتشفوا حقيقة أرواحهم"⁴. ولعل هذا ما جعل المجتمع الأوروبي بعدها لا يولي اهتماما إلى الكنيسة، وعلاقته الروحية مع الخالق، فصار مضغة سهلة في فم الأنظمة الديكتاتورية، التي ساهمت في إضعاف الكنيسة وإخراجها من سكة الصراع عن السلطة.

وهذا ما يؤكد الحوار الذي دار بين (أوبرين و وينستون)، فبعد فشل كل محاولات هذا الأخير في التفوق على (أوبرين) وذكائه، قال له: "إنكم ستفشلون، ففي هذا العالم شيء لا أدري طبيعته، ربما يكون روحا أو مبدأ لن تتغلبوا عليه مطلقا.

- هل تؤمن بالله يا وينستون؟

- كلا

- إذا، أي مبدأ ذلك الذي ترى أنه سيهزمنا؟

- لست أدري، ربما كانت روح الإنسان.

- وهل تعتبر نفسك إنسان؟

- أجل

¹ - المرجع نفسه، ص111.

² - جورج أورويل، 1984، ص298.

³ - كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا، ص110.

⁴ - كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا، ص110.

- إن كنت إنساناً، فأنت آخر إنسان، لقد انقرض نوعك نحن الوارثون، إنك لست موجوداً¹.

من خلال هذا الحوار كشف الكاتب ضعف الإنسان الحديث أمام مفهوم السلطة الذي يملأ كل فراغ، إذ اعتبر أن الإيمان وخلخلة العلاقة بين الخالق والمخلوق، تؤدي إلى ضعفه، ويسهل على الأنظمة الشمولية عملية التحكم فيه والسيطرة عليه.

ووفق لمفهوم السلطة الذي يتبناه الحزب، والذي يعتبر الأخ الكبير المعامل الموضوعي لكل هيئة عالية في الحكم، فإنه سيكون إله لكل من لا إله له، وسيكون الحزب القوة التي تستعمل العلم كسلاح في وجه عامة الناس، والقاهرة لهم.

كما تكشف رؤية (أورويل) للسلطة في الرواية عن بعد إيديولوجي غائر في التاريخ الأوروبي، وله علاقة بعصر التنوير والثورات العلمية، وموجة الإلحاد التي سادت في أوروبا في تلك الحقبة الرومانية.

فمن خلال الاقتباس الأخير يرى الروائي أن الإيمان بالإنسانية فقط كمبدأ وأسلوب في البقاء، لا يكفي للفوز والانتصار على الشمولية، هذه الأخيرة التي تملك الإيمان بفكرة السلطة المطلقة، والعلم كسلاح لتغيير الإنسان، وتغيير كل الحقائق التقليدية التي كان يؤمن بها، وهذا ما يؤكد رضوخ الكاتب أمام قوة الحزب، وخيانتة (لجوليا) المعادل الموضوعي للحرية، وحبه في الأخير للأخ الكبير المعادل الموضوعي للطاغية في صورة إله.

2- التحكم في التفكير عبر اللغة:

لقد تبني (جورج أورويل) في رواية 1984 أسلوب يمكن أن نقول عنه أنه صدمي، كونه يكشف عن إحدى أكثر الأشياء إبداعاً بهدف التحكم في الجماهير، حيث "أدت رغبة التحكم في أفكار أعضاء الحزب إلى العمل على إلقاء هيمنته على اللغة نفسها، والتي أطلق عليها الحزب نيوسبيك"².

يقدم (أورويل) هذا الأسلوب الجديد الذي استعمله الحزب عبر شخصية (ساييم) المتخصص اللغوي يقول: "إننا نصوغ اللغة في شكلها النهائي، ذلك الشكل الذي لن يجري حديث بغيره، عندما نفرغ منه فإنه يتحتم على الآخرين من أمثالك أن يتعلموا من جديد مرة ثانية، لعلك تظن أن مهمتنا الرئيسية هي ابتكار كلمات جديدة، لكن لا، ليس هذا ما نقوم به البتة، إننا نقوم بتدمير الكلمات، عشرات بل مئات الكلمات كل يوم يجري تدميرها، إننا نسلخ

¹ - جورج أورويل، 1984، ص300.

² - كيت بوك، أن ماري توماس، المرجع في رواية الخيال العلمي، تر عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010 ص364.

اللغة حتى العظام، فالطبعة الحادية عشر لن تحتوي على كلمة واحدة يمكن أن يسهل استخدامها قبل عام 2050¹.

فكس ما يطلقه الحزب على اللغة الجديدة، وفي إطار التفكير المزدوج، يتبين من خلال القول أن اللغة الجديدة لا تعمل على إنتاج لغة لا يعرفها الناس، بل تعمل على إزالة كم هائل من المفردات والكلمات التي يستعملونها في لغتهم القديمة، وبالتالي ما يتبقى من هذه اللغة، يصبح بديل عن اللغة التي اكتسبها سابقا.

إن اللغوي داخل الحزب الشمولي يقوم بعملية جبارة من أجل بقاء الحزب واستمراره، ولا يكتب من أجل القارئ، بل يكتب من أجل الحزب ومن أجل حرمان القارئ من التفكير، يقول: "ألا ترى أن الغاية النهائية للغة الجديدة هي التضييق من أفاق التفكير، بحيث تصبح جريمة الفكر في آخر المطاف جرما مستحيل الوقوع من الناحية النظرية، وذلك لأنه لن توجد كلمات يمكن للمرء من خلالها أن يرتكب هذه الجريمة، فكل مفهوم يحتاجه الإنسان سيتم التعبير عنه بكلمة واحدة محددة المعنى وغير قابلة للتأويل، أما معانيها الفرعية فيتم طمسها حتى تصبح طي النسيان، فكلما تناقضت الكلمات، كلما تضائل مدى الوعي والإدراك"².

ولم يكتفي (أورويل) بتقديم الغرض من هذه العملية، والمتمثل في تضييق الفكر والقضاء النهائي على جريمة الفكر، بل قدم شرحا مفصلا عن الطريقة التي تتم بها عملية تقليص اللغة، وتضييق معانيها، يقول: "جد مثلا كلمة (جيد)، إذا ما كان لديك كلمة مثل (جيد)، ما هي الحاجة إذا إلى كلمة (رديء)، إن كلمة (غير جيد) تؤدي المعنى تماما، بل إنها أفضل، لأنها تحمل المعنى المضاد تماما، بينما لا تؤديه الأخرى بالتمام نفسه، ثم أيضا إذا أردت تعبيراً لغوياً لكلمة (جيد)، ما فائدة أن يكون لديك كل هذه السلسلة من الكلمات الغامضة غير المجدية، مثل (ممتاز) و(رائع) وما شاكلها؟، ألا تعطي كلمة (جيد) المعنى، أو كلمة (جيد جدا) إذا كنت ترغب في معنى أقوى"³.

لقد مهد الحزب عبر اللغة الجديدة الطريق نحو نفس الثقافة القديمة، والقضاء على الأدب والتاريخ، فالقارئ في المجتمع الذي يعمل الحزب على تقديمه لا يستطيع قراءة كتاب قديم، أو أي أعمال أدبية يمكنها بشكل من الأشكال أن تثير في ذاته نوع من النشوة أو الرغبة في الثورة ضد الحزب، وهذا ما أكدّه (سايام) بقوله: "... هكذا يتم نفس اللغة القديمة نهائياً، بحيث يصبح القارئ لا يعي ما يقرأه في التراث الأدبي القديم، وبالتالي تصبح أعمال تشوسر، وشكسبير، وملتون، وبايرون*، مجرد طلاس لا أحد يفقه كنهها، بمجرد اكتمال

¹- جورج أورويل، 1984، ص62.

²- المصدر نفسه، ص64.

³- جورج أورويل، 1984، ص62.

*- مجموعة من الأدباء الإنجليز.

عملية نصف اللغة القديمة فإن كل شيء يتغير حتى أدبيات الحزب وشعاراته ستتبدل، إذ كيف يمكن أن تتبنى شعار مثل (الحرية هي العبودية) فيما يكون مفهوم الحرية نفسه، قد جرى نفسه؟، إن المناخ الفكري سيكون كله قد تغير، وفي الحقيقة لن يكون هناك تفكير عن النحو الذي نفهمه الآن، فالولاء يعني انعدام التفكير بل انعدام الحاجة للتفكير، الولاء هو عدم الوعي¹.

فمن خلال القول يتضح أن اللغة وفق رؤية (أورويل) من أكثر الآليات أهمية، التي يمكنها أن تكون سلاح ذو حدين، فقد تكون مصدر من مصادر العبودية والطغيان، كما يمكن أن تكون مظهر من مظاهر الحرية والمعارضة.

وهذا يعود بطبيعة الحال إلى علاقة التكامل التي تجمعها بالفكر، وقدرتها على التأثير في حياة الفرد وتطور الوعي الإنساني.

3- الدعاية الدستوبية في الفكر أورويل:

يرتبط مفهوم الدعاية غالباً بالطرق والأساليب التي تستطيع بها فئة من الأفراد، التحكم بقدر هائل من العقول البشرية، وترويضهم بشكل مدروس من أجل وضعهم في نطاق تنظيمي، سواء على المستوى الفكري أو الثقافي، أو لأهداف سلبية أو إيجابية.

ولعل مفهوم الدعاية في حد ذاته، أصبح في الدراسات الحديثة، من المفاهيم التي يعسر الإمساك بها، وتقبيدها في تعريف جامع مانع، وهذا بطبيعة الحال يعود إلى تلك المرامي والأهداف الكثيرة، التي صارت الدعاية من أكثر الوسائل المحققة لها.

كما أن السياسة صارت ترتبط بالدعاية بشكل تلازمي، خاصة مع التقدم التكنولوجي ووسائل التواصل الاجتماعي، وذلك بغرض الوصول إلى ما تدعو إليه بطرق ناعمة أو ما يعرف بالدعاية السياسية المغرضة.

وقبل الولوج إلى دراسة الدعاية كآلية من آليات الأنظمة الديكتاتورية الشمولية، لابد من وضع بعض المفاهيم حول الدعاية وعلاقتها بالسياسة عامة، وكذلك الدعاية وعلاقتها بالأنشطة الشمولية.

¹ - جورج أورويل، 1984، ص64.

3-1- مفهوم الدعاية:

إذا تتبعنا مفهوم الدعاية من منظورها التاريخي، نجد أن هذا المصطلح "استخدم بداية كتسمية لمؤسسة تبشيرية (congregation de propaganda) تم تأسيسها في القرن السابع عشر في روما من أجل نشر الكاثوليكية وسط الوثنيين ومحاربة البدع"¹.

ومن هنا يمكن أن نرى بأن ظهورها ارتبط بالدين ونشر الأفكار، ومحاربة أفكار مناقضة لها.

غير أن مفهوم الدعاية "اكتسب دلالة سياسية فقط أعوام الثورة الفرنسية العظمى، حيث ارتبط بظهور الجمعيات السياسية السرية التي أخذت اسم الدعاية، وكانت تطمح لنشر أفكارها، من خلال مبعوثيها في الدول الأخرى"²، إذ نجد من الفترة التي حادت فيها الدعاية عن شكلها الديني، وتوسعت إلى شكل آخر وهو عالم السياسة، وذلك يعود لقدرتها على استيعاب كل ميادين وأشكال الحياة.

وتعرف أيضا على أنها الاستخدام المنهجي لأي وسيلة اتصال، للتأطير على عقل وأحاسيس هذه الفئة من الناس، لهدف محدود له أهمية اجتماعية، ومن هنا تم تفسير الدعاية في الأدبيات الاشتراكية الديمقراطية بداية القرن العشرين"³، كحقل لمجموعة من الأفكار كما وتم في هذه الفترة في اللغة الدعائية تمييز مفهوم التحريض والذي يعني الدعاية التي تجري في ظروف خاصة وتفرض الاستماع إلى كلمات من يقوم بالدعاية المحرض، كما حدد الاختلاف في طرق تأثيرها، "الدعائي يعمل بشكل أساسي بواسطة المطبوعات، أما المحرض يعمل بواسطة الكلمة الحية"⁴.

وفي هذه المرحلة أصبحت الدعاية عبارة "عن طرح لسياسة الطبقة المسيطرة، كسياسة مناسبة ومعقولة، فقد استخدمت على امتداد القرن العشرين بهذا الشكل أو ذلك، كوسيلة لتشويه سمعة الخصوم السياسية"⁵.

ومن خلال هذا التتبع التاريخي لمصطلح الدعاية منذ ظهورها، نخلص إلى أن الدعاية مرتبطة بنشر الفكرة وترويجها، مع محاربة نقيضها من الأفكار.

وهذا ما يتوافق مع كل التعريفات الحديثة لها، فهي "التأثير على سلوك الآخرين ومعتقداتهم، بواسطة الاستخدام الانتقائي المدروس للرموز ونشرها، سواء أكانت الرموز

¹ - فريد حاتم الشحف، الدعاية والتضليل الإعلامي، الأساليب والطرق، منشورات دار علاء الدين، سوريا، ط1، 2015، ص8.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المرجع نفسه، ص08، 09.

⁴ - المرجع نفسه، ص09.

⁵ - فريد حاتم الشحف، الدعاية والتضليل الإعلامي، الأساليب والطرق، ص09.

لفظية أم سمعية أم بصرية أم إدراكية، والتركيز على الكلمة المنحوتة أم المقروءة أم المسموعة أم المصورة أم المرئية"¹.

وقد عرفها العالم الفرنسي جاك أيلول "بأنها مجموعة من الطرق يتم استخدامها بواسطة مجموعة تبغي أن تحقق مشاركة إيجابية نشيطة أو سلبية في أعمالها، على مجموعة كبيرة من الأفراد المتشابهين من الناحية النفسية، وذلك عن طريق مراوغات نفسية تتم في نطاق تنظيمي"².

من خلال هذه التعريفات الحديثة يتضح لنا أن الدعاية لم تخرج عن دائرة الترويج للأفكار سواء كانت منتوجات أو مواد أو سياسات أو مستهلكات ترفيهية سواء غذائية أو فنية، وما يهمنا نحن هنا في دراستنا، النقد الذي يربط الدعاية بالسياسة، ودور الأنظمة الشمولية في السيطرة على الشعوب، عبر هذه الآلية، وعليه نحاول فهم الدعاية السياسية وكيف قدم (جورج أورويل) في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984 الدعاية كأداة يمكن أن تكون الأكثر فتك في تثبيت الأنظمة الشمولية وجعل الشعوب مجرد أرقام لا تملك لنفسها حلول.

3-2- الدعاية السياسية:

يطلق مصطلح الدعاية السياسية على تلك الأفكار التي ترمي إلى تحقيق أهداف سياسية سواء داخلية أو خارجية في كل حالاتها، وبهذا يشمل مفهوم الدعاية السياسية وتصنيفها، الأسباب والغايات التي ترمي إليها، وقد عرفها (سمير محمد حسين) بقوله: هي "جهود اتصالية مقصودة يقوم بها الداعية مستهدفا نقل المعلومات ونشر أفكار واتجاهات معينة، تم إعدادها وصياغتها من حيث المضمون والشكل وطريقة العرض، بأسلوب يؤدي إلى أحداث تأثير مقصود ومحسوب ومستهدف على معلومات فئات معينة من الجمهور وآرائهم واتجاهاتهم، وذلك كله بغرض فرض السيطرة على الرأي العام، والتحكم في سلوكه بما يخدم أهداف الدعاية، دون أن ينتبه الجمهور إلى الأسباب التي دفعته إلى تبني هذه الأفكار، واعتناق هذه الآراء، والاتجاهات والمعتقدات، ودون أن يبحث عن الجوانب المنطقية لها"³.

كما يقسم كتاب الدعاية والحرب النفسية، الدعاية السياسية إلى اتجاهين مختلفين، يعطي كل اتجاه مفهوم للدعاية السياسية ينطلق من فكرة مغايرة عن الاتجاه الآخر، غير أن الهدف منها يبقى ضمن تحقيق استجابة كبيرة من المتلقي، وأثارته وافتكاك تأييده له، وهذان الاتجاهين هما الاتجاه الرأسمالي، والاتجاه السوفياتي⁴.

¹ - عائدة فاضل الشعراوي، الإعلان والعلاقات العامة، دراسة مقارنة، الدار الجامعية، بيروت، 2006، ص327.

² - محمود جودت ناصر، الدعاية والإعلان والعلاقات العامة، دار الفجر، بغداد، ط1، 2013، ص46.

³ - محسن حسين سير، الإعلام والاتصال بال جماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، ط3، دت، ص23.

⁴ - ينظر، محمد عزة اللحام وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، دار الإصدار العلمي، الأردن، ط1، 2015، ص70، 73.

يعود هذا التباين في التعريف بالدعاية السياسية بين الاتجاهين إلى طبيعة الصراع الذي قام بينهما، منذ بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، إلى غاية سقوط الاتحاد السوفياتي، "هذه الدعاية التي بدأتها ألمانيا النازية، وطورتها الولايات المتحدة الأمريكية طيلة الحرب الباردة، لكن هذه الدعاية تجلت بوضوح، وسيطرت في وسائل الإعلام الغربية، وخاصة الأمريكية، والتي تدور في فلكها بعد انهيار الإتحاد السوفياتي سابقا في نهاية القرن العشرين، ومازالت تشكل الذراع الإعلامي والسياسي لمشاريع الهيمنة الأمريكية على العالم، هذه الدعاية التي ترتبط مباشرة بالكذب والتلاعب المقصود بالوعي، وتعني النشر الموجه للتصورات المزيفة عن قصد، بهدف تحريض الناس على القيام بأفعال تلبى الأهداف المقررة مسبقا من جهات معينة"¹.

وهذا الشكل من الدعاية السياسية هو الذي يخدم بحثنا كونه نتبع عن أنظمة ديكتاتورية، تستعمل الدعاية لغرض التلاعب بالوعي، ولهذا صنف كتاب الدعاية والحرب النفسية تقنيات الدعاية السياسية في الشكل الآتي:

- الفوز بثقة السامعين.
- البساطة والتكرار.
- استخدام المثل والرموز.

وذلك عبر استخدام بعض الطرق الوضيعة والشعارات لطمس الحقيقة، وإخفاءها، واستخدام الكذب، وكذلك عن طريق قوانين المراقبة على المطبوعات².

ومن هذا المنطلق نبرز كيف وظف (جورج أورويل) الدعاية في الفكر السياسي، من خلال رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984، ومساهمتها في تكريس الأنظمة الشمولية والعمل على بقائها.

3-3- الدعاية في رواية مزرعة الحيوان: يمكن تتبعها على النحو الآتي:

3-3-1- الدعاية كآلية تحريرية في رواية مزرعة الحيوان: وتتضمن ما يلي:

❖ الدعاية في حالة حركة:

مثلت الدعاية السياسية دورا هاما في رواية مزرعة الحيوان، إذا عمد (جورج أورويل) إلى إظهارها من زاوية مختلفة، وعلى مستوى أبعاد فكرية مضادة، ويتجلى ذلك من خلال إبراز فكرة الاشتراكية، التي كان يتغنى بها الإتحاد السوفيتي في ذلك الوقت، الذي زامن

¹ - فريد حاتم الشحف، الدعاية والتضليل الإعلامي، الأساليب والطرق، ص10.

² - ينظر، محمد عزة اللحام وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، ص74.

زمن الكتابة، حيث مثلت أفكار العجوز (ميجور)، التي كان يدعوا من خلالها الحيوانات، إلى رفع مستوى الوعي والإدراك بالقضية التحررية، وضرورة القضاء على الاستبداد الممارس عليها من طرف مستر جونز صاحب المزرعة¹.

حيث عمد (أورويل) إلى تقديم مبادئ الاشتراكية للقارئ، وإعطاء فكرة عن طريقة الدعاية التي مثلت العنصر المهم في أساليب الدعاية.

❖ الفوز بثقة المستمعين:

وفيها " يشترط على الدعائيين قبل كل شيء أن يظهروا وكأنهم صادقون، وأن يعتبرهم جمهورهم مصدرا وثيقا، وغالبا ما تكسب ثقة السامعين عن طريق أخبار غير سارة، ولكن من المؤكد أن السامعين يعرفونها"²، وهذا ما كان العجوز (ميجور) يقدمه إلى الحيوانات، في خطابه حول ضرورة التخلص من الحياة التي تعيشها، فقد دارت خطباته حول ثلاثة محاور:

- طبيعة الحياة التي تعيشها الحيوانات.
- طبيعة الإنسان الذي سبب هذه الأوضاع.
- الحياة التي يمكن للحيوانات أن تعيشها إذا ما ثارت على الإنسان، وأصبحت سيده على نفسها.

يقول (ميجور): "والآن أيها الرفاق ما طبيعة الحياة التي نعيشها معشر الحيوانات، إن حياتنا هي الشقاء، مجسدا العبودية في أبشع صورها"³.

حيث غلب على هذا المقطع وصف دقيق لحياة الحيوانات، وإظهار المعاناة، والاضطهاد الممارس عليهم من طرف الإنسان، وهذه التقنية في الدعاية تثبت ثقة المستمعين، وتنال تأييدهم وتحولهم إلى جماهير قابله للحشد والتوجيه.

وغالبا ما يرافق هذا النوع من الدعاية في جزئه الثاني، أي بعد تأثر الفكرة والوعي بها عبر كشف واقع المتلقي، كشف السبب الرئيسي في الحالة التي آلت إليها ظروف المتلقي، وذلك من أجل وضع المتلقي في إطار محدد، حيث يدرك عدوه.

وهذا ما يتجلى في الجزء الثاني من خطاب (ميجور) حيث يقول للحيوانات: "فعلام نواصل تلك الحياة التعيسة؟ ما من سبب يدعوا لذلك، إلا جشع الإنسان الذي يستحوذ على فائض الإنتاج، وهي الحقيقة المرة، التي تفسر لنا أسباب تعاستنا، وإن دارت كلها حول

¹ - ينظر، جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص13، 14، 15.

² - محمد عزة اللحام وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، ص74، 75.

³ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص13.

محور واحد هو الإنسان، إن الإنسان هو عدونا الأوحى والأزلي، فإذا ما استبعدناه من طريقنا، فإننا نكون بذلك قد محونا جذور الجوع والعبودية إلى الأبد¹.

وفي الأخير عمد العجوز (ميجور) إلى زرع الأمل بوجود أرض الحرية، حيث تستريح الحيوانات من العبودية، إذ رسم صورة لمستقبل مفعم بالأمل والحياة، هذا المستقبل الذي يكون خالي من الإنسان يقول: "ألم يتضح لكم بعد أيها الرفاق أن الإنسان وحده هو مصدر مصائبنا؟ عليكم إذا أن تتخلصوا منه عندئذ تعود إلينا ثمرات عملنا، إنني لا أشك لحظة، أن حلمنا هذا في الحرية والثراء لابد أن يتحقق"².

وعبر هذا الخطاب الطويل قدم (أورويل) صورة واضحة حول دور الدعاية في بلوغ الهدف المعين، ونقل وترسيخ أفكار الأنظمة في ذهن الجماهير وكسب الأغلبية الساحقة.

❖ البساطة والتكرار:

وفق آليات الدعاية كانت كسب ثقة المستمعين لا تقي بالغرض وحدها من أجل الوصول إلى الهدف، فلا بد من التكرار والبساطة، حتى يكون الحشد الجماهيري على مختلف أنواعه مؤمنا بالفكرة الأكثر غموض والأعمق معنى، وهذا ما تم في مزرعة الحيوان إذ نجد أن الترويج لفكرة الحيوانية، جاء في قالب بسيط يهدف إلى إشباع الفكر الحيواني، بمبادئ الحيوانية، وضرورة الثورة على الاستبداد، لهذا تخلل الخطاب بساطة في الإلقاء والكلمات مع تكرار نفس الأفكار، إذ نجد أن كلها ترمي إلى نفس الغاية، مثل: "أيها الرفاق... الإنسان عدو... الحيوانات كلها رفاقنا.. الثورة هي رسالتنا إليكم... أيها الرفاق"³.

وهذا من أجل ترسيخ الفكرة وتوسيع الحشد الجماهيري، لأن "الدعاية بسيطة في الفهم وسهلة التذكير، وبقدر الإمكان فإن صانع الدعاية يركزون على أن تكون دعايتهم بسيطة وذات شعارات يسهل حفظها، ويقومون بتكرارها مرات عديدة"⁴.

كما يقدم هتлер في كتابه كفاحي فكرة مهمة عن هذا النوع من الدعاية، حيث يقول: "ذكاء الجماهير ضئيل، ولكن نسيانهم كبير، ولذلك لابد لنا من تكرار نفس الشيء لهم ألف مرة"⁵.

ولهذا كانت شعارات الحيوانات كلها على شاكلة: "البشر جميعا أعداءنا، والحيوانات كلها رفاقنا"¹، وهي عبارة عن كلمات بسيطة، لها معاني عميقة، تستمر الحيوانات في تكرارها بغرض حشدها.

¹ - المصدر نفسه، ص14.

² - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص16.

³ - المصدر نفسه، ص16، 17.

⁴ - ينظر، محمد عزة اللحام وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، ص13، 17.

⁵ - أدولف هتлер، كفاحي، المكتبة الأهلية بيروت، دط، 2010، ص78.

❖ المثل والرموز:

يتم هذا النوع من الدعاية عبر "استخدام الشعارات والرسوم التي تؤثر بشكل واضح على مشاعر الناس"²، ولهذا نجد الحيوانات اتخذت لها شعارات في مزرعة الحيوان، وكان "عالما أخضر زينه الخنزير سنوبول بحافر وقرون، حيث مثل اللون الأخضر رمزا لحقول إنجلترا، أما الحافر والقرون فهما رمز لجمهورية الحيوانات، حيث اعتادت الحيوانات على رفعه كل صباح قبل ذهابها لأداء واجباتها"³.

كما مثلت الوصايا السبع⁴ المبادئ الأساسية التي تلخص مبادئ الحيوانية، وكذلك نشيد إنجلترا، وكلها شعارات وأمثال ورموز، تعمل على تثبيت الفكر الحيواني في عقول الحيوانات، لتسهيل عملية ربط أذهانها مع الشعارات حتى تسهل عملية توجيهها.

وإلى هذا الحد من الرواية نجد أن (جورج أورويل)، قدم فكرة حول الدعاية التي اعتمدها النظام الاشتراكي في ثلاثينيات، من أجل توضيح طريقة إقناع ذلك الحشد الكبير من الجماهير المساندة لهذا النظام، وأساليب التحكم في مصيرها.

ورواية مزرعة الحيوان يمكن وصفها على أنها دعاية مضادة للنظام الاشتراكي آنذاك، حيث عمد الروائي لإظهار منهجية النظام في حشد الجماهير، ومن ثم قدم دعاية تمثل رؤيته الثقافية، وقراءته للاشتراكية من خلال الرواية، إذ نجد أن الحيوانية التي آمنت بها الحيوانات، سرعان ما أصبحت جحيم، ديكتاتورية تمارس فيها كل أساليب الدعاية الشمولية، من إخفاء وقلب للحقائق والكذب والتضليل، وممارسة الرقبة على كل رأي مخالف أو معارض لها.

3-2-3- الدعاية كآلية شمولية في مزرعة الحيوان: وتتضمن ما يلي:

❖ إخفاء وقلب الحقائق:

يعمد صانعو الدعاية إلى تعظيم بعض الحقائق، وقلب معاني لحقائق أخرى، كما يحاولون إخفاء بعض الحقائق التي تؤثر في قليل من الأحيان على عدم استجابة سامعيهم، كما يحاولون أن يقفزوا فوق بعض الحقائق المخزية التي لا يمكن إخفائها⁵.

وهذا ما حدث في رواية مزرعة الحيوان، من قلب للحقائق بعد انقلاب الخنازير على باقي الحيوانات، وضرب مبادئ الحيوانية عرض الحائط، فالحيوانات تلاحظ أن المثل والرموز التي آمنت بها تزيف وتغير، لكنها لا تستطيع تحريك ساكن.

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص17.

² - محمد عزة اللحام وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، ص45.

³ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص19، 20.

⁴ - ينظر، المصدر نفسه، ص35.

⁵ - ينظر، محمد عزة اللحام وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، ص76.

وقد قدم (أورويل) أمثلة كثيرة يبين فيها دور الدعاية في ترسيخ الدكتاتورية، وكيف تنقلب حقائق مسلم بها في ذهن الجماهير، إلى حقائق أخرى، فالوصية الرابعة من الوصايا السبع، تنص على أنه "غير مسموح للحيوانات النوم على الأسرة"¹، ولكن خلال فترة حكم نابليون الديكتاتوري صارت الخنازير تنام على الأسرة ولما تفتنت الحيوانات لذلك، ذهبت إلى المكان الذي يحتوي على الوصايا السبع، فوجدت أن الوصية الرابعة أصبحت كتالي: "غير مسموح للحيوانات للنوم على الأسرة بالملاءات"².

وهكذا عمد الروائي إلى إظهار طريقة من الطرق العديدة التي تجعل حقائق بديهية في ذهن الجماهير، مغيبة عن طريق إخفاء أو إضافة، تغيير المفهوم رأسا على عقب.

❖ الكذب:

تعتمد الدعاية على الكذب المتعمد بغرض إخفاء الحقائق، والخوف من فقدان المصادقية من قبل المستمع، لهذا نجد أن الخنزير (سكويلر)، وهو المكلف بالدعاية في رواية مزرعة الحيوان يزور وبكذب ويضلل الحقيقة، فعندما رأى دهشة الحصان (كلوفر) بعدما شاهد هذا الأخير الخنازير تنام على الأسرة، ألقى خطابا يوضح الأمر، يقول: "إن السرير بكل بساطة مكان معد للنوم، وكذلك فإن كومة القش التي تنامون عليها بالمثل ولا إثم في ذلك، ولكن المنع جاء قبل استعمال الملاءات التي يغطي بها السرير، وهو إثم جاءت به العقلية الإنسانية الشريرة، ولذلك فقد نزعنا الخنازير الملاءات قبل أن تنام عليها، وأبقت البطاطين فقط، وإقرارا للحق فإن النوم على السرير مريح جدا، وهو ما تحتاج إليه الخنازير للراحة والتفكير والتدبير في أمور المزرعة"³.

إن الكذب عنصر مهم في الدعاية التي تؤسس وترسخ للأنظمة الشمولية، ولهذا كان (سكويلر) يحمل كل أعمال الخنزير التي قامت بخرق كل مبادئ الحيوانية، معتمدا في ذلك على الكذب، بهدف إقناع الحيوانات على أن ما تراه وتعيشه أمر واقعي وطبيعي.

❖ الرقابة:

تعتبر الرقابة الإعلام المضاد، وهي طريقة تسلكها الأنظمة الشمولية من أجل إبراز دعايتها السياسية، وحجب المعارضة لها، وذلك بإلغاء الرأي الآخر، وغالبا ما يكون هذا النوع من الدعاية يحمل في طياته تهديدا أو وعيدا، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر⁴.

لهذا نجد أن الحيوانات في مزرعة الحيوان بعد حكم (نابليون) صارت دائما ما تجد (سكويلر) الخنزير المكلف بالإعلام والدعاية، مصحوبا بكليين أو ثلاثة، كما أنه كان يختم

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص35.

² - المصدر نفسه، ص94.

³ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص95.

⁴ - ينظر، محمد عزة اللحام وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، ص76.

تلك التبريرات التي يتبجح بها لصالح الخنازير على حساب الحيوانات بجملة بسيطة "من منكم يرغب في عودة مستر جونز"¹.

كما تحمل هذه العبارة ضمناً معنى الوعيد، والتهديد بالقتل لكل من تسول له نفسه المعارضة.

❖ الأمثال والرموز والشعارات:

صارت كل الأمثال والرموز في رواية مزرعة الحيوان تخدم الخنزير (نابوليون)، إذ قامت الدعاية بوضع شعارات مألوفة، مثل "نابليون دائماً على حق"².

الدعاية في حالة السلطة، تختلف بشكل جذري عن الدعاية في حالة الحركة، فقد كان الغراب (موسى) مسؤولاً عن زرع الأوهام في عهد مستر جونز (الطغيان)، إذا كان يغري الحيوانات دائماً، عبر تذكيرهم بجبل الحلوى، الذي يكون جزاء صبرهم من أجل معاناتهم في الحياة بعد موتهم، يقول الروائي معبراً عن هذا النوع من الدعاية: "وجدت الخنازير عنناً في مواجهة الدعاية الخبيثة التي كان يتبعها موسى غراب مستر جونز المستأنس والذي اعتاد نقل الكلام وإفشاء الأسرار وإطلاق الإشاعات المحبوكّة، وقد كان يدعي وجود بلد غريب، اسمه جبل السكر، تُبعث فيه الحيوانات بعد موتها، وهو في ما وراء الغيوم مباشرة في السماء"³.

إن حضور مثل هذه الدعاية لا يكون إلا في ظل نظام سلطوي استبدادي، فقد اختفى الغراب موسى بعد الثورة مباشرة ونهاية طغيان مستر جونز وتحقيق الحرية في المزرعة، إذ صور في مشهد وهو يطير هرباً من المزرعة، "وينعي أيام السعادة والهناء"⁴، التي كان يستمتع في ظلها مع (مستر جونز).

وبعد استيلاء الخنازير على مقاليد الحكم، وصل (نابليون) طاغية يفتك بكل من تسول له نفسه العصيان نجد أن الغراب (موسى) عاد إلى المزرعة، وعادت معه تلك الحكايات عن العالم الافتراض، الذي تنتعم فيه الحيوانات بعد موتها.

لقد جسد (جورج أورويل) في مزرعة الحيوانات صورة مزدوجة عن الدعاية، في ظل النظام الشمولي، إذ نجد أنه يصفها في حالة الحركة، عندما كانت الدعاية تعتمد على الواقع والصدق و الحقيقة لشحن الحيوانات، وضم صفوفهم ضد الطغيان، ثم يصف الدعاية في حالة السلطة، عندما صارت الخنازير هي التي تملك زمام الحكم، وصارت حزبا شموليا يستعبد

¹ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص94.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، ص28.

⁴ - جورج أورويل، مزرعة الحيوان، ص30.

ويستبد بالحيوانات، وقد غلب على هذا النوع من الدعاية الكذب والوعيد والتهديد والجوء لكل ما يسعى إلى إبقاء الخنازير في مقاليد الحكم.

ولعل أبرز صورة تكمن عن هذا النوع من الدعاية كانت مجسدة بشكل مباشر في رواية 1984، حيث عمد (جورج أورويل) إلى تصويرها في ظل النظام الشمولي الذي يحكمه الأخ الكبير، فقد كانت مظاهرها أكثر وضوحا وتصويرها بالغ الأهمية.

3-3-3- الدعاية الشمولية في رواية 1984:

لعل أبرز مظاهر الدعاية الشمولية تظهر بشكل جلي في رواية 1984، حيث صور صاحبها المجتمع عبارة عن جماهير خالية من أي مسعى اجتماعي، أشبه بتلك الحشود الفارغة الشبيهة بالآلات، فهي عبارة عن مجموعات غير منتظمة، بلا معنى، إنها مجموعات مبتورة، وليس لها شكل، عبارة عن جماعات تسيورها الشاشات المنصوبة في كل مكان، وتزف لها الأخبار بشكل منتظم ومدرّس، وتغرقها بالشعارات الجوفاء الخالية من كل معنى.

❖ الصور:

لقد ميز الدعاية في رواية 1984، تلك الصور التي نجدها في كل مكان، صورة الأخ الكبير، "وهي الصورة المرسومة على نحو يجعل المرء يعتقد أن العينين تلاحقانه أينما تحرك، وكان يوجد أسفل تلك الصورة عبارة بارزة، تقول: الأخ الكبير يراقبك"¹.

إن هذا النوع من الدعاية، الذي يرسم صورة الحاكم على أنه شخصية بعيدة عن الواقع، وهو كائن مقدس وخفي، ولا يمكن تخيله، كما أنه يعلم عنك كل شيء، وأنت تحت مراقبته دائما، هي الدعاية في حالة السلطة الشمولية، حيث تزول كل القيم الإنسانية وينتزع جوهر الفرد ويذوب بين الحشود، من أجل أن يبقى خاضعا ومطيعا لسلطه الأخ الكبير.

ولهذا يرسم الروائي أولى ملامح الدعاية في النظام الشمولي، حيث تكون جميع الأماكن والطرق والمباني عليها صورة الزعيم، والقائد الذي على الجميع طاعته.

❖ الشعارات:

من ملامح الدعاية في النظام الشمولي حسب (جورج أورويل) في رواية 1984، الشعارات إذ تحتل هذا النوع من الدعاية مساحة معتبرة من الرواية، ولعل أبرزها شعارات الحزب الغريبة والغارقة في الازدواجية:

"الحرب هي السلام.

¹ - جورج أورويل، 1984، ص 05.

الحرية هي العبودية.

الجهل هو القوة"¹.

إذ حملت هذه الشعارات التناقض التام في عالم الأخ الكبير، ذلك التناقض الذي صارت الحشود مروضة تماما للعيش في ظله.

❖ شاشة الرصد:

تعتبر شاشة الرصد وسيلة للتجسس على الأفراد والمجتمع، "فهي موجودة في كل مكان، وفي كل بيت، وهي أيضا المسؤولة عن الإعلام في مملكة الأخ الكبير، ولعل أبرز ما تقدمه بالإضافة إلى أخبار المحاصيل، والواردات والصادرات، فهي تقدم تمارين اللياقة البدنية وأخبار الزعيم الأخ الكبير ودقيقتي الكراهية"².

حيث قدمت شاشة الرصد صورة بارزة عن الحياة بشكل عام في ظل الأنظمة الشمولية، ودور الرقابة في ترسيخ الديكتاتورية، والقضاء على كل أشكال المعارضة.

❖ دقيقتي الكراهية:

نجد معنى دقيقتي الكراهية في رواية 1984، ويصف طبيعة الدعاية في أوقيانيا مملكة الأخ الكبير، حيث يقول الراوي واصفا شاشة الرصد: "وفي هذه اللحظة انبعث صوت مزعج ومخيف من شاشة الرصد في طرف القاعة، كما لو أنه يصدر من آلة قد جف زيتها، كان صوتا تصطك له الأسنان، ويقف له شعر الرأس، ولم يكن ذلك إلا إيذانا لبدء فعاليات الكراهية"³.

ثم يردف قائلا واصفا محتوى دقيقتي الكراهية: "وكما جرت العادة ظهر على الشاشة وجه إيمانويل غولدشتاين عدو الشعب، فتعالت الصيحات من كل أنحاء القاعة، في حين صدر عن المرأة ذات الشعر الذهبي، صرخة امتزج فيها الخوف بالاشمئزاز"⁴.

ومن خلال المقطع يتبين أن هذا النوع من الدعاية في ظل النظام الشمولي، يعتمد على خلق عدو وهمي مثل (غولدشتاين)، وجعل الجماهير تفرغ كل شحناتها السلبية فيه، إنها دعاية تضليلية، تعتمد على الكذب والتحريض، وخلق جو مشحون في وسط الجماهير الغاضبة.

¹ - المصدر نفسه، ص 08.

² - جورج أورويل، 1984، ص 14، 15، 16.

³ - المصدر نفسه، ص 15.

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ويروي (وينستون) أن دقيقتي الكراهية "تتنوع من يوم إلى آخر، ولكن لم يكن هناك برنامج إلا وجولدشتاين هو محوره الرئيسي، إذ كان خائنا لثورة"¹.

كما شملت الدعاية في رواية 1984 أخبار الحرب والقتال والموت، والانتصارات التي كانت تحققها أوقيانيا على حساب أعدائها في أوراسيا، ومن أمثال ذلك انبعاث صوت من شاشة الرصد قائلاً: "انتباه من فضلكم، أعيروني انتباهكم، وردنا توا نبأ من جهة مالايار... إن قواتنا في جنوب الهند، قد أحرزت انتصارا باهرا، لقد فوضتني السلطات أن أعلن أن تقدمنا على مدن الجبهة، والذي نذيعه لكم الآن، يمكننا من وضع نهاية لمدة الحرب، وإليكم ما ورد في هذه الإشارة"².

يضيف بعدها: "... وما خطر ببال وينستون أنها مقدمة لأنباء سيئة، وهكذا كان، إذ بعد الوصف المروع لعملية الإبادة التي لحقت بجيوش أورسيا، والأرقام المنهكة لأعداد القتلى والأسرى، أردف البيان بأنه ابتداء من الأسبوع القادم يتم خفض حصة الفرد من الشوكولاتة من ثلاثين غرام إلى عشرين"³.

ومن خلال هذين المقطعين، يتضح التظليل الإعلامي، ونوع الدعاية القمعية في ظل الحكم الشمولي، حيث تلفق بين الأخبار تبعات تخص حياة المواطن، تعتمد أسلوب التظليل، من أجل سرقة حقوقه وتقليص مستوى المعيشة وتخفيض القدرة الاستهلاكية داخل هذا النوع من المجتمعات أو التجمعات البشرية.

وفي هذا يقول الراوي معلقا عن المقطع: "أما الشاشة، ربما احتفالا بالنصر، أو لتغطية على نبأ تخفيض حصة الشوكولاتة، فقد انتقلت فجأة لبث نشيد يا أوقيانيا كل هذا من أجلك"⁴.

الدعاية الشمولية التضليلية مليئة بأنباء الحرب والموت، وأنباء التخفيضات والرعب، فالجمهور الذي يعيش في ظل هكذا أنظمة، يكون دائما تحت ظل هذا النوع من الدعاية الاستفزازية والمعرزة لكل ما هو ضد الحياة والرفاهية.

وبغض النظر عن نوع الدعاية في رواية 1984، نجد أنها تتدرج تحت غاية واحدة، تهدف إلى التضليل، وتستعمل أداة العنف الرمزي الموجه بطريقة مدروسة إلى فئة اجتماعية مستهدفة، تمثل سواد الأعظم في مملكة أوقيانيا.

وفي الأخير يمكن القول أن الدعاية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984، يمكن أن تتدرج ضمن الثقافة الإعلامية السوداء، التي تعمل على صناعة الأنظمة الشمولية، وخلق

¹- جورج أروويل، 1984، ص15.

²- المصدر نفسه، ص31.

³- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴- جورج أروويل، 1984، ص31.

الطغاة، وفق أساليب تظليليه مدروسة، تهدف إلى التحكم في عقول الجماهير، ونشر الوعي الزائف، داخل الشعوب المقهورة.

كما أثبتت الروايتين أن الدعاية في حالة قيام نظام دكتاتوري تعتمد على آليات مختلفة غير الآليات التي تعتمد عليها بعد وصول النظام إلى السلطة، كما اتضح ذلك في رواية 1984، فالأولى تعتمد على الصدق في صناعة المحتوى والترويج له بغية جمع الجمهور كما رأينا في رواية مزرعة الحيوان، أما الثانية فتعتمد على الكذب والتظليل وترويج كل ما هو يضعف وعي الجماهير، ويجعلهم أكثر انقيادا كما رأينا في رواية 1984.

4- مجتمع دون طبقات:

لقد قدم (جورج أورويل) في روايته مزرعة الحيوان ورواية 1984، فكرتين لرؤيته السياسية للعالم في ظل الأنظمة التي تسيطر على الوضع الراهن آنذاك، إذ كانت رواية مزرعة الحيوان الفكرة الأولى التي قدمت النظام السياسي الاشتراكي، وكشفت التحولات الداخلية الكامنة في الفلسفة التي قام عليها، وتلك القابلية التي يمتلكها النظام كي يصير نظاما شموليا، في حين كانت الفكرة الثانية في رواية 1984 التي كشف من خلالها (أورويل)، ذلك العالم الذي يمكن أن تعيش فيه الشعوب في ظل النظام الشمولي، الذي تنتجه أنظمة مثل الاشتراكية والفاشية والنازية، ومن خلال الروايتين صوّر كيف يصبح المجتمع دون طبقات، كتلة من الجماهير الخاضعة، وقد كان للدعاية كما أسلفنا الذكر دور مهم في جعل الشعوب مجرد جماهير، عبر تلك الآليات والاستراتيجيات المدروسة والهادفة.

ولهذا في المرحلة الأولى لخلق مجتمع شمولي بعيدا كل البعد عن أي شكل اجتماعي واعي يعتمد على الأغلبية المساندة، تقول (حنة إردنت): "فقد رأيت هتلر يبلغ السلطة بصورة شرعية، ووفق قاعدة الأغلبية الحاكمة"¹، وهكذا كانت بداية الخنازير في امتلاك السلطة، بقبول أغلبية الحيوانات، "ولما كانت الخنازير هي أذكى الحيوانات فقد تكلفت بمهام التنظيم ونشر الدعوى"².

فمنذ أن امتلكت الخنازير زمام السلطة في مزرعة الحيوان صار هناك مجتمع واحد، دون طبقة، كل الحيوانات سواسية، ولكن الخنازير تمثل السلطة عليها، "فبقية خنازير المزرعة خاصة عدت لتسمين، ليس فيها من ذوات الرأي، إلا خنزير يدعى سكويلر، بالإضافة إلى نابليون الخنزير الضخم ذو القسّمات القاسية، وسنوبول الأكثر حيوية وفصاحة، والذي يفتقر إلى قوة الشخصية"³.

¹ - حنة إردنت، أسس التوتاليتارية، تر، أنطوان أبو زيد، دار الساقى، بيروت، ط1، 1993، ص32.

² - جورج أورويل، 1984، ص25.

³ - جورج أورويل، 1984، ص26.

لقد مثل هؤلاء الخنازير الثلاثة السلطة في رواية مزرعة الحيوان، وكان دورهم إعداد الحيوانات للثورة، وتعريفهم بتعاليم ميجور، وإخراج مذهب فكري متكامل عرف بالحيوانية¹.

كما مثل باقي الحيوانات الجمهور، أي المجتمع الواحد الذي يعتبر الوعاء الذي يحضن أفكار السلطة ويساندها ويدعمها بأي وسيلة، وفي أي شكل، وكلمة جمهور هنا تعني في معناها العادي "تجمعا لمجموعة معينة من الأفراد، أيا تكن هويتهم القومية أو مهمتهم أو جنسيتهم، وأيا تكن المصادفة التي جمعتهم"².

لهذا ترى (حنة أردنت) بأن "أي نظام شمولي لا يمكن أن يصل إلى أكبر هيمنة وقوة على أكثر مساحة في العالم، دون أن يلقي ترحيبا من السواد الأعظم من الجماهير، فهي ترى بأن القابلية للخضوع لدى الجماهير في ظل الأنظمة الشمولية نابعة من تلك الإستراتيجية الفلسفية التي تنبثق من النظام الشمولي، عندما كان في حالة حركة، قبل أن يكون في حالة سلطة"³.

وهذا ما رأيناه في مزرعة الحيوان، حيث صارت جميع الحيوانات خاضعة لسلطة نابليون وتأبيده في كل ما يقوله ويفعله، حتى ولو ناقض فعله اليوم فعلا آخر بالأمس، وحتى صار هناك من الحيوانات من يملك شعار "نابليون دائما على حق"⁴.

وتعطي (حنة أردنت) مثالا بستانلين وهتلر، حيث ترى أنهما فرضا هذا النوع من المجتمع بالقوة، بهدف القضاء على المعارضة السياسية والاجتماعية، وحتى المحايد⁵، فمثل هكذا أنظمة تحتاج إلى مجتمع واحد مساند أو خاضع.

فالخنازير نابليون قام بنفي منافسه⁶، وقتل كل من شك أنه يملك تعاطف أو أي انتماء معاكس لمبادئه وسيادته، وصار اسم (سنوبول) منسي من المزروعة.

و"هذا ما تمخض عنه إعداد ما يعرف بعملية التفريغ واختزال المجتمع، بحيث تلغى هويته، وعلى ضوء هذا ينتج ما يعرف بالجمهور"⁷.

ولم تنتهي فكرة (أورويل) حول المجتمع في ظل الأنظمة الشمولية في رواية مزرعة الحيوان، إذ يعتبر المجتمع الحيواني في الرواية بداية فقط لمرحلة الشمولية، وطريقة خلق

¹ - ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² - غوستاف لويون، سيكولوجية الجماهير، تر، سنام صالح، دار الساقى، بيروت، ط1، 1991، ص53.

³ - حنة أردنت، أسس التوتاليتارية، ص32.

⁴ - ص87.

⁵ - ينظر، حنة أردنت، أسس التوتاليتارية، ص34.

⁶ - ينظر، جورج أورويل، 1984، ص75.

⁷ - حنة أرنت، أسس التوتاليتارية، ص32.

هكذا مجتمعات، يبدأ أن المجتمع الشمولي الحقيقي، الذي صورته في رواية 1984 كان أقرب بكثير من مفهوم الجمهور الذي تحدثت عنه (حنة أرنت).

حيث نجد أن هذا المجتمع عبارة عن ثلاث تجمعات عديمة الأهمية دون جذور، وخالية من كل ثقافة، فهي تجمعات متفرقة ومتناحرة فيما بينها، تزول فيها المؤسسات، فهي قابلة لإعادة الهيكلة والبناء، كما أنها قابلة للتفكيك يغلب عليها اللامبالاة في الشؤون السياسية، موالية أو محايدة غير رافضة، في حين يجمعهم شيء واحد، الكتلة نفسها والطبقة ذاتها.

تقول أرنت: "ال جماهير تنطبق على الناس الذين عجزوا لسبب أعدادهم المحصنة أو بسبب اللامبالاة أو السببين المذكورين معاً، عن الانخراط في أي من التنظيمات القائمة على الصالح المشترك سواء كانت أحزاباً سياسية أم مجالس بلدية أو تنظيمات مهنية أو ثقافية، توجد الجماهير وجوداً بالقوة في كل البلدان، وتشكل غالبية الشرائح العريضة من الناس الحيايين واللامباليين سياسياً"¹.

لقد حفلت رواية 1984، بالمشاهد التي تصور المجتمع الشمولي، الفارغ من كل طبقة والمتمثل في (الجمهور) المجتمع والسلطة (الحزب)، إنه مجتمع شمولي بامتياز، حيث يعيش الناس كما يشاء الأخ الكبير، حتى العائلة صارت فارغة ومفرغة من كل قيمة، وهذا كله يعود إلى طبيعة المجتمع في أوقيانيا، حيث شرطة الفكر، ودقيقتي الكراهية، والأخ الكبير يراقبك ووزارة الحب، وحيث الماضي مبهم وغامض كالمستقبل تماماً.

يعتبر المجتمع في الدولة الشمولية مجرد أفراد يمثلون أرقام رياضية ليست لها قيمة أو اعتبار، فقد حاول إقناع الناس بأن مجرد الدوافع والمشاعر لم تكن ذات قيمة.

❖ المجتمع الشمولي في رواية 1984:

إن ما ميز المجتمع الشمولي في رواية 1984 هو الانحطاط الاجتماعي وتدني كل ما هو مقدس وجميل، فكما أشرنا سابقاً كانت الأسرة أهم خلية في تكوين المجتمعات تعاني من انحطاط سحيق، ما أدى إلى خلق مجتمع ليست الحياة فيه بعيدة عن تلك الصورة التي تعاني فيها الأسرة، ولعل أبرز الصور التي وصف فيها الراوي الجماهير كانت خلال دقيقتي الكراهية أو في ساحة النصر، فالرواية قدمت المجتمع في أوقيانيا بكل شرائحه على أساس أنهم جماهير، هذا المصطلح الشائع والمعروف في الكتب التي تنتظر للأنظمة الديكتاتورية والشمولية، يقول الراوي: "وفي الدقيقة الثانية تصاعدت الكراهية حتى صارت شعاراً وراح الناس يثبون إلى أعلى من مقاعدهم ثم يجلسون وهم يصيحون بأعلى صوتهم"².

فعلى طول الرواية أكد (أورويل) هذا السُّعار والكراهية التي تخرج من الجماهير في كل مرة تبث فيها دقيقتي الكراهية، هذا ما أكدته (حنة إردنت) أيضاً في وصفها لذهنية

¹ - حنة أرندت، أسس التوتاليتارية، ص 36، 37.

² - جورج أورويل، 1984، ص 18.

المجتمعات الشيوعية والنازية، حيث تقول: "إن قيمة الجريمة الإعلانية لدى الشيوعيين واحتقارهم العميق للمعايير الأخلاقية إنما هما منفصلان عن اعتبار المصلحة، وهي التي يفترض أن تكون الحامل النفساني الأفعال والأهم في السياسة"¹.

هذا ما ظهر في مجتمع أوقيانيا من غياب القيم الأخلاقية والاجتماعية واللامبالاة أمام أعمال العنف، وانحطاط في الذوق الاجتماعي العام وسط الحشود، فحتى الأطفال في مهووسين بهذا النوع من العنف والرغبة في مشاهدة الإعدامات والأفلام التي تصور مشاهد دامية بعيدة كل البعد عن الرحمة، بل وصل الأمر من انحراف الذوق إلى المتعة في مثل هكذا مشاهدات، هذا ما يظهر من خلال قول أطفال (بارصون): "لماذا لا نذهب للتفرج على عملية الشنق(...)، صاح الولد بصوت زاعق وغاضب، وتغنت الصغيرة وهي ترقص مرحا (...)، نريد مشاهدة الشنق(...)، نريد مشاهدته الشنق"².

لقد قامت رواية 1984 على فلسفة النظام الاستبدادي الشمولي، الذي ينظر للمجتمع على أنه جمهور ويحاول قطع كل ماله علاقة بالفردانية أو الذاتية من فكر وعلاقات وعادات وتقاليده، وكان الهدف من ذلك خلق مجتمع يستطيع الفرد فيه الإطاحة بنفسه في سبيل بقاء الحزب والأخ الكبير، ومن أجل تحقيق ذلك قدمت الشمولية الحزبية رؤية منهجية في تكوين المجتمع الذي تريده متكئة في ذلك على "اللامبالاة الصادقة التي تلازم المنضويين في لوائها"³.

والإنسان في طبيعته وخاصة الرعاع من الناس دائما "ما يرحبون بأعمال العنف قائلين بإعجاب لأن كان ذلك غير جميل فإنه بالغ القوة بالتأكيد"⁴.

وهذا الافتتان هو ما جعل الراوي يعبر عن تلك الرغبة التي تخالج المجتمع في أوقيانيا كلما زادت عملية شنق لبعض الأسرى أو المتهمين بارتكاب جرائم حرب، يقول: "إن مثل هذا كان يجري مرة كل شهر تقريبا، وكان مشهد يحظى بشعبية عالية"⁵.

لقد هُدمت أسس المجتمع في النظام الشمولي بشكل تام واستبدل الإنسان الذي يُعرف في طبيعته بالتعاطف والأنسة، بجماهير مكبوتة وغاضبة لها قابلية الانسياق وراء كل ما يتبجح به الحزب من رؤى وأوامر .

وثرجع (حنة إرنست) القدرة على جعل المجتمع بدون قيمة وفي حالة انحطاط يعود بطبيعة الحال إلى تنظيم كم هائل من الناس بطريقة منهجية، وجعلهم حياديين ولا مبالين سياسيا، والذين نادرا ما يصوتون، ولا ينتسبون لأي حزب⁶.

1 - حنة أردنت، أسس التوتاليتارية، ص33.

2 - جورج أروويل، 1984، ص28، 29.

3 - حنة أردنت، أسس التوتاليتارية، ص33.

4 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5 - جورج أروويل، 1984، ص29.

6 - ينظر، حنة أردنت، أسس التوتاليتارية، ص37.

وهكذا كانت عامة الناس في أوقيانيا مجرد أسراب من الجماهير المكبوتة، تحاول منذ ولادتها أن تحصل على قوت يومها حتى تنتهي إلى الموت أو الانتحار تحت وطأة الجوع والخوف من الحرب والعدو الداخلي والخارجي.

5- آلية الجنس في النظام الشمولي:

يعتبر الجنس في رواية 1984 مظهراً من مظاهر المعارضة والثورة كونه من المحظورات التي عمد الحزب إلى تحريمها واعتبار كل من يمارس الجنس عن حب أو متعة معارضا، وهذا ما يؤدي به إلى وزارة الحب، حيث يشقى أو يموت، فبالنسبة إلى السلطة الحاكمة في أوقيانيا والقوانين التي وضعها الحزب فإنه يمنع على الناس ممارسه الجنس إلا في حالة يكون فيها المنفعة عائدة على الحزب في إطار صناعة طفل كما يطلق عليه الحزب.

يقول الراوي: "لم يكن هدف الحزب مجرد منع الرجال والنساء من تكوين ولادات فيما بينهم قد يتعذر السيطرة عليها، لقد كان هدفه الحقيقي غير المعلن هو تجريد العملية الجنسية من كل لذة، إذ ليس الحب هو العدو بقدر ما هي الشهوانية، سواء كانت في إطار الزواج أو خارجه، وكل الزيجات بين أعضاء الحزب كان يجب لكي تتم أن تحصل على موافقة لجنة تشكلت خصيصا لهذا الغرض، وبالرغم من أنه لم ينص صراحة على ذلك المبدأ أبدا فإن الإذن بالزواج كان يُحجب دائما إذا ما أظهر الشخصان المعنيان أي ميل جنسية متبادلة فيما بينهما"¹.

لقد رأى (جورج أورويل) أن كبت العملية الجنسية والاتصال بين الرجل والمرأة في أي مظهر من مظاهر الحياة يعتبر من مظاهر الأنظمة الشمولية، فالحزب في أوقيانيا تحت سلطه الأخ الكبير كان يعمل على إظهار هذه الخاصية والمحافظة على تحقيقها لأن الأمر كما يرى مرتبط ببقاء الأنظمة الشمولية واستمرارها، يقول الراوي: "فالغاية الوحيدة المعترف بها للزواج هي إنجاب الأطفال لخدمة الحزب، وكان ينظر إلى العملية المسببة على أنها عملية تافهة تدعو إلى الاشمئزاز تماما كتعاطي حقنة شرجية"².

وقد كشفت الرواية عن عدة مظاهر تربط الأنظمة الشمولية بها، ليكون الجنس وتعبير الزواج كعملية مرتبطة بالغريزة الإنسانية، وتعمل على بقاءه ومن ذلك قول الراوي: "ولذلك أيضا أنشئت منظمات مثل رابطة الشباب المناهضين للغريزة الجنسية التي كانت للعزوبية الكاملة لكلا الجنسين، فكل الأطفال يجب إنجابهم عبر التلقيح الصناعي، وتسمى هذه العملية في اللغة الجديدة (أرتسيم) على أن يعهد بهم بعد ذلك لمعاهد عامة"³.

ويقدم الراوي تلك البرودة المرتبطة بالعلاقة الزوجية من خلال علاقة (وينستون) مع زوجته (كاترين) يقول: "كان يخيل إليه أنها تفرع منه ويتيسر جسدها كل ما اقترب منها، فإذا احتضنها فكأنما يحتضن تمثالا خشبيا شدد بمفاصل، والغريب أنه كان يشعر وهي تشده

¹ - جورج أورويل، 1984، ص74.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إليها أنها تدفعه لبعيد عنها في الوقت نفسه بكل قوتها، وكانت تطلق على هذه العملية اسمين أولهما صناعة طفل والثاني واجبنا تجاه الحزب"¹.

فالرغبة الجنسية بين الأزواج كانت محددة بإطار إنجاب الأطفال لصالح الحزب، وأي رغبة جنسية خارج هذا الإطار تعتبر بحثاً عن المتعة والشهوات، هذا ما يتجلى في قول الراوي: "ولما كانت ممارسة العملية الجنسية على طبيعتها تعتبر عصياناً، فإن مجرد الرغبة الجنسية تصبح جريمة فكر وحتى إذا مكنه إيقاظ كاثرين من سباتها العاطفي لا اعتبر ذلك إغواء لها رغم أنها زوجته"².

إن الكبت الجنسي من أهم الوسائل التي تعمل على بقاء الأنظمة وفق رؤية أورويل، لهذا اعتبر وينستون وجوليا ممارسة الجنس نزولاً عند رغباتهم الجنسية وطبيعتها الغريزية نوعاً من الحرية والعصيان والتمرد، فكانت لقاءتهما الحميمة بالنسبة لهما ثورة وفلسفته القاتلة للحياة .

كما يرى الروائي أن الكبت الجنسي الذي تفرضه الأنظمة الديكتاتورية على الشعوب تحت أغشية عدة من ضعف في الدخل الاقتصادي وشح مناصب العمل وأزمة السكن، وبالتالي العزوف عن الزواج فإن هذا الكبت يدرك أثراً في نفسية العامة، هذا ما يتجلى من خلال قول جوليا: "وأجروا على القول أن ذلك كان يترك تأثيراً عميقاً لدى الكثير من الفتيات، ولكن لا أحد يمكنه التصريح بذلك فالناس مراؤون جداً فيما يتصل بذلك"³.

فوفق هذا القول يرى (أورويل) أن الجنس يعتبر من المحظورات التي يحاول الإنسان دائماً أن يتجاهل الحديث عنها وكما يتقن في تغطية حاجته إليها، ولهذا يمكن كبحه بشكل سريع وبكل سهولة انطلاقاً من استغلال هذه الخاصية التي ترتبط بالعفة عند الإنسان بشكل عام .

ولهذا رأى أن الكبت الجنسي من القوى الخفية التي تخلق العبودية وتجند العبيد الذين تقوم عليهم الأنظمة، وهو ما شرحه على لسان (جوليا) التي "كانت قد تفتنت للمعنى الباطني للطهر الجنسي الذي يحث عليه الحزب فهذه الغريزة توجد عالم خاص بها خارج سلطان الحزب، ومن ثم كان يتعين استئصالها إذا أمكن، بل الأهم من ذلك أن الحرمان العاطفي يقضي بعضو الحزب إلى حالة من الهستيريا، وهو أمر مرغوب فيه، حيث يمكن تحويله إلى نوع من حمى الحرب وعبادة الزعيم"⁴.

في فلسفة الأنظمة الشمولية وفق هذه الرؤية التي تصدع بها رواية 1984، وهي نظرة (أورويل) حول طرق التحكم في الشعوب في ظل الأنظمة الشمولية عبر العاطفة تكمن في تحويل الطاقة الجنسية التي يتوافر عنها، عن طريق عملية جنسية في الحاجة الطبيعية إلى

1 - جورج أورويل، 1984، 75، 76.

2 - المصدر نفسه، ص 76، 77.

3 - المصدر نفسه، ص 143.

4 - جورج أورويل، 1984، ص 144.

قوى كامنة تستعملها الأنظمة في الحرب والطاعة، وذلك عبر منع هذه الجموع البشرية من إفراغها بشكل طبيعي.

وقد بسط الروائي هذه الفكرة على لسان (جوليا) أيضا في قولها: "عندما يفرغ المرء شهوته فإنه يستنفذ قواه ويستشعر نوعا من اللذة تجعله لا يأبه بعدها بشيء، وهم لا يرغبون في ذلك، لأنهم يريدونك أن تكون شعلة من النشاط طوال الوقت، وليست كل هذه المسيرات التي لا تهدأ وما يصاحبها من متاهات وتلويح بالرايات إلا تنفيسا لطاقة جنسية مكبوتة، فلو كان المرء مبتهجا في قرارة نفسه، فما الذي يدفعه للاهتمام بالأخ الكبير، وبالخطط الثلاثية ودقيقتي الكراهية والبقية الباقية من ثرّاتهم اللعينة"¹.

يتضح من خلال هذا القول المبسط حول علاقة الكبت الجنسي والجماهير في النظام الشمولي الذي قدمه (جورج أورويل) أن هناك علاقة وطيدة بين ما يراه المرء بسبب معتقد ديني (الزنا في الدين الإسلامي مثلا)، أو لقناعة شخصية ناتجة عن فلسفة يتبناها الفرد عن تبصر واستقراء، وبين تدخل السياسة أو الحزب في شأن من شؤون الناس وإرغامهم بطريقة ممنهجة على تبني هذا النوع من العفة وتحويلها إلى آلية من آليات البقاء في السلطة.

وهذا ما تفتن له الروائي حين تحدث عن جوليا قائلاً: "ثم تصلها وثيقة مباشرة بين إجبار المرء نفسه على العفة وبين ولائه السياسي، كيف يتسنى للحزب ضبط مستوى الخوف والكراهية والتصديق المطلق لدى أعضائه عند الحد المطلوب، إلا من خلال الضبط القسري لبعض الغرائز القوية لاستخدامها في ما بعد كقوة دافعة"².

من هذا المنطلق الذي آمن به كل من (وينستون وجوليا) في رواية 1984 حول علاقة الحزب بالكبت الجنسي صار الجنس بغرض المتعة وإحياء الرغبات والغرائز التي قتلها الحزب في داخل الجماهير عبارة عن مستوى آخر من مستويات الثورة والتمرد، وصار أي خبر أو معلومة توحى بأن أعضاء الحزب يمارسون الجنس بدافع الرغبة يعتبره وينستون انتصارا لهذه الثورة، وتعبيرا عن هشاشة النظام القائم، وهذا ما يتضح من سؤاله لجوليا قائلاً:

" - هل فعلت ذلك من قبل؟ .

- نعم .

- مع أعضاء الحزب؟.

- نعم.

- مع أعضاء القيادة الحزبية؟ .

- كلا ليس مع هؤلاء لكن هنالك الكثيرين منهم تقتلهم الرغبة فيما لو سمحت لهم أدنى

فرصة أنهم ليسوا بهذا العفاف الذي يدعونه"³.

1 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2 - جورج أورويل، 1984، ص144.

3 - المصدر نفسه، ص135.

إن هذا الحوار الذي مثل البعد الفلسفي الذي قامت عليه رؤية (أورويل) حول قدرة الناس في مجارة القوانين والمراءات والتضليل وإظهار عكس ما يضمرون، يكشف حقيقة الإنسان المتصنع والخائف بين يدي الجلاد فطبيعة البشر يمكن كبتها إذا ما رأى الإنسان في الأمر مضرة يجلبها على نفسه، ولكن إذا أتيحت له الفرصة يكشف عن غريزته وتطفو من جديد على السطح .

هذه الحقيقة هي ما جعلت من (وينستون) يطير فرحا وابتهاجا، وقد علق الراوي على ذلك بقوله: "كان ذلك هو عين ما أراد أن يسمعه منها ليس مجرد حب شخص لآخر، وإنما هي الغريزة الحيوانية والرغبة التي يستوي فيها الناس أنها القوة التي ستمزق الحزب إلى أشلاء، وتمددا فوق العشب وبين الزهور المتساقطة، وكانت الشمس قد اشتدت حرارتها وأحس بنعاس يغالبهما وراحا من فورهما يغطان في نوم عميق امتد بهما زهاء نصف ساعة"¹.

إن الرؤية الفلسفية التي أطلقها الكاتب في رواية 1984 حول هذه العلاقة بين الكبت الجنسي والسياسة، كانت رؤية متكاملة الأركان ومتوازنة، حيث قدم فيها كل الزوايا والتبريرات على لسان (وينستون وجوليا)، وأوضح قوة السلطة في التحكم في هذه العملية وعلاقتها باستمرار الحكومة والطغيان، ومن جهة أخرى عبر الأحداث المنفصلة قدم العلاقة الجنسية والغريزة الإنسانية كقوة يمكن أن تكون فعل تحدي وثورى رغم الخوف والاضطهاد، هذا ما علق من خلاله الراوي قائلا: "وراح وينستون يتفحص خصرها الغض وتذكر أن الرجل في الأيام السالفة كان ينظر إلى جسد الفتاة بشهوة، ثم يكتفي بذلك، أما في هذه الأيام فلا يمكن أن تحس بالحب الخالص أو الشهوة النقية، لأن كل شيء مات يخالطه الخوف والكراهية، لقد كان عناقهما معركة ونشوتها نصرا، كانت صفة على وجه الحزب بل فعل تحدٍ سياسي"².

إن هذه المشاهد المصاغة في رواية 1984 المعبرة عن علاقة الأنظمة والجماهير فيما يخص الجنس والكبت الجنسي، عبرت عن رؤية الكاتب حول الغرائز المتعارضة، فيما يريده الحزب يعارض ما يريده البشر، ومن خلال هذا التصادم يقع الخلاف الذي يؤدي إلى الصراع وفق مبدأ القوي والضعيف، كما يوحي هذا الصراع عن رؤية (أورويل) الاستشراقية حول الفلسفة القائمة في السياسات التي عاشرها، فكانت هذه دعوه صريحة إلى اعتناق مبدأ التشبع والاستمتاع بالأشياء الصغيرة والممكنة المتاحة على إتباع تلك الفلسفات الاشتراكية والرأسمالية ستتحوّل من خلالها حياة البسطاء إلى جحيم، ويفقد فيها الإنسان قيمته الإنسانية وتتحوّل أبسط حقوقه ورغباته الغرائزية إلى أحلام يأمل أنها لا تزول .

وربما تكمن هذه الرؤية الناضجة التي استلهم من خلالها الكاتب رواية 1984 من خلال ما عايشه، ومن تجارب وأحداث تاريخية في أوروبا والعالم من حروب عالمية وأهلية،

¹ - جورج أورويل، 1984، ص 135.

² - المصدر نفسه، ص 136.

فكانت آخر رواياته زبدة تجاربه، وعصارة فكره السياسي الحر، الذي يرمي إلى تبني البساطة والاهتمام بالذات الإنسانية. ولم يتوقف (أورويل) في روايته إلى هذا الحد من الكشف عن مستقبل تلك الأنظمة الشيوعية والفاشية والرأسمالية، إذا ما اعتنقتها شعوب العالم في هذا المستوى، بل صور علما متكاملا ومكبلا، وقد هدمت في كل مظاهر الحياة .

6- بناء الأسرة في النظام الشمولي:

تعتبر الأسرة الخلية الأساسية والنسيج المتين الذي يكوّن المجتمعات ويبنى الحضارات والأمم، لهذا نالت هذه الخلية حظها من رؤية (أورويل) في رواية 1984، فراح يصور حالة الأسر وما ستؤول إليه داخل النظام الشمولي، الذي يحكمه الأخ الكبير وقد قدم عدة أمثلة عن التراكيب الأسرية في أوقيانيا، ومن بين ذلك أمثلة عائلة (بارصون)، فبغض النظر عن الحالة المزعجة التي تعيش فيها العائلة من مظاهر الفوضى والفقر والحالة البائسة للشقة والعمارة التي تسكنها، فقد ركز على التفكك الأسري الذي يحكمها لصالح الحزب، وذلك بالتجسس على الآباء والأمهات، فكل حركة أو كلمة تفهم بطريقة خاطئة تؤدي بالوالدين إلى المتابعة التي ينتج عليها السجن أو الاختفاء من الوجود، يقول الراوي: "إن معظم الأطفال في هذه الأيام قد باتوا مصدر رعب لأهلهم، وأساء ما في الأمر أن الصغار بانضمامهم إلى منظمات مثل اتحاد الجواسيس كان يتم تحويلهم بشكل منهجي إلى راع صغار لا يمكن ضبطهم، وهذا بدوره يقتل فيهم أي ميل إلى الثورة ضد النظام، بل على النقيض من ذلك سيصبحون عبيدا للحزب وكل ما يتصل به"¹.

يعمل الحزب في رواية 1984 بكل تقاني ومنهجية على تربية النشأ تربية سياسية على حب الحزب والأخ الكبير، وفي نفس الوقت يعمل على فصلهم عن أهلهم وذلك بتكليفهم بمهام الجوسسة داخل البيت، "فكان الأمر طبيعيا لمن هم فوق سن الثلاثين أن يخافوا أولادهم، فلم يكن يمر أسبوع إلا وتنتشر فيه جريدة التايمز تحت عنوان 'بطل صغير' تروي

¹ - جورج أورويل، 1984، ص29.

كيف استطاع البطل أن يتصنت على والديه ويشي بهما لشرطة الفكر، بنقله ملاحظة تضعهم موضع شبهات"¹.

وقد قدم صورة عن الرعب الذي تعيش فيه العائلات داخل أوقيانيا بسبب الأولاد، عندما قفز أحد أولاد السيدة (بارصون) قائلاً: "ارفع يديك فوق رأسك، فقد رفع وينستون يديه فوق رأسه متبرماً، فقد كان في مظهر الصبي عدوانية شديدة توحى بأن الحكاية ليست مجرد مزحة"².

فبالإضافة إلى مشهد الامتثال الذي صورته ونستون خائفاً "كانت السيدة بارصون تجول بناظرها بين ولديها وونستون، وعلامات الارتباك بادية عليها"³.

وقد علق الراوي على المشهد بشكل عام قائلاً: "ولكن ما صدم ونستون وآله كان ذلك الخوف البائس الذي ارتسم على وجه المرأة الرمادي"⁴.

لقد كانت العلاقة بين الأولاد والأولياء أكثر قسوة ورعباً من العلاقة بين الأزواج، فالأسرة لم تعد خلية مهمة تساعد على تكوين مجتمع سليم ومتماسك بل صارت الخلية الأولى التي تعمل على تفكك المجتمع وتعاسته، هذا ما أدركه وينستون "فمع مثلي هذين الطفلين لابد وأن تحيي هذه المرأة التعيسة حياة رعب دائم، فلن تمر سنة أو سنتان إلا وسيكون طفلاها قد انتظما في سلك الجاسوسية يرصدان تحركاتها ليلاً نهاراً، لأي علامات انحراف عن نهج الحزب قد تظهر عليها"⁵.

إن الأولاد في رواية 1984 وفي ظل منهجية الحزب المنظمة صاروا نقمة بدلا من كونهم نعمة، في الحالة الطبيعية قبل أوقيانيا والأخ الكبير، وصار الأهل يخشون من كل شيء، من أنفسهم في علاقتهم كأب وأم، وفي علاقتهم كزوج وزوجة، فصار خلية المجتمع بيت عنكبوت خاوي من دفء العائلة.

وتعتبر نظرة (أورويل) للأسرة في الرواية الاستشراافية التي عبرت كلها عن الديستوبيا التي تغرق فيها المدينة في ظل الأنظمة الشمولية القاهرة، عزز عبرها الروائي من ضرورة التخلي عن الأفكار الغير مألوفة التي ستروج إليها الأنظمة المتعطشة للسلطة والحكم.

توصلنا من خلال هذا الفصل إلى أن أساليب التحكم في الشعوب وفق رؤية (أورويل) السياسية تمحورت حول إعادة التفكير في طرق جديدة تجعل الأنظمة الشمولية قادرة على البقاء في السلطة لمدة أطول، بل تصبح خالدة في أعلى الهرم إلى الأبد، وقد كان ذلك من خلال البحث والتدقيق في بعض المفاهيم وخلق أساليب حديثة تجعل الشعوب خاضعة لأنظمتها، وتمحورت كم يلي:

1 - المصدر نفسه، ص 30.

2 - جورج أورويل، 1984، ص 28.

3 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5 - المصدر نفسه، ص 29.

- ضرورة بعت مفهوم جديد للسلطة، كما حدث في رواية 1984 إذ أصبحت السلطة فكرة مطلقة لا بد من الجماهير أن تؤمن بها وهذه الفكرة صُورت في شخصية الأخ الكبير التي ارتدت جبة القداسة والخلود، وكان أعضاء الحزب الداخلي هم كهنته الذين يخدمون سلطانه الدائم والأبدي.
- التحكم الشامل في كل أساليب الدعاية والمراقبة والاهتمام التام بكل التفاصيل الدقيقة التي تخص كل الأفراد الذين ينتمون إلى الحزب.
- خلق مجتمع بدون انتماءات، ولا يملك موروثة ثقافيا وتاريخيا يحدد هويته وماهيته، لكنه ينساق بطريقة مباشرة إلى تنفيذ كل الأوامر التي يطلقها الحزب.
- تفكيك الأسرة من خلال زعزعة الروابط المتينة بين الزوجين والأولاد، وجعل العلاقة الزوجية شكلية، وعلاقة الأولاد بآبائهم علاقة تتسم بالحر.
- الاعتماد على الكبت العاطفي وحضر العلاقة الجنسية التي لا تخدم النظام السلطوي بما فيها العلاقة الحميمة بين الأزواج، إلا في إطار صناعة طفل من أجل الحزب.
- توحيد الزبي الخاص بأعضاء الحزب الخارجي والداخلي وكل العاملين في قطاعات النظام الحاكم في إطار قمع الحريات و الفكر الحر، توجه نحو الجماعة ونبذ الفردانية.

خاتمة

بعد الاطلاع والتمحيص في مختلف الرؤى السياسية والممارسات التي ميزت كلا من رواية مزرعة الحيوان، ورواية 1984 انتهينا إلى الإجابة عن إشكالية البحث وجملة من النقاط الآتية:

- تجلت الثقافة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984 في النقاط الآتية:
 - ظهرت الثقافة السياسية في المرجع الشخوصي في مزرعة الحيوان، عبر تصوير الواقع التاريخية الحقيقي بطريقة فنية إبداعية.
 - كانت قراءة سياسية للوضع الروسي منذ الثورة البلشفية إلى غاية سيطرة الديكتاتورية الستالينية على ما عرف في تلك الفترة الزمنية بالاتحاد السوفياتي.
 - صور (أورويل) التاريخ السياسي الروسي بشخصه السياسية التاريخية، والفلسفة الماركسية التي قامت عليه الثورة الروسية.
 - عمد أورويل إلى كتابة التاريخ بطريقة أدبية فنية، محولا حقائقاً وشخصيات معروفة، إلى شخوص أدبية ورقية، ومحولاً السياسة إلى فن أدبي روائي.
 - رسم (أورويل) معاناة طبقة العمال قبل الثورة البلشفية وبعدها، وكيف اغتصبت أرضهم وحولهم ستالين إلى آلات من أجل خلق ثورة صناعية.
 - من خلال رجل الدين، وصف (أورويل) دور الكنيسة في تلك المرحلة في ترسيخ الضلالة والاستعباد، على اعتبار أن الدين وسيلة من وسائل الأنظمة الديكتاتورية للسيطرة على الشعوب.
- تمثلت رؤية أورويل للأنظمة الديكتاتورية في الروايتين في:
 - كشف ضعف الإنسان الحديث أمام مفهوم السلطة الذي يملأ كل فراغ، إذ اعتبر أن الإيمان وخلخلة العلاقة بين الخالق والمخلوق، تؤدي إلى ضعفه، ويسهل على الأنظمة الشمولية عملية التحكم فيه والسيطرة عليه.
 - تكشف رؤية (أورويل) للسلطة في الرواية عن بعد إيديولوجي غائر في التاريخ الأوروبي، وله علاقة بعصر التنوير والثورات العلمية، وموجة الإلحاد التي سادت في أوروبا في تلك الحقبة الزمنية.

- يرى (أورويل) أن الإيمان بالإنسانية فقط كمبدأ وأسلوب في البقاء، لا يكفي للفوز والانتصار على الشمولية، هذه الأخيرة التي تملك الإيمان بفكرة السلطة المطلقة، والعلم كسلاح لتغيير الإنسان، وتغيير كل الحقائق التقليدية التي كان يؤمن بها، وهذا ما يؤكد رزوخ (ونستون) أمام قوة الحزب، وخيانتها (لجوليا) المعادل الموضوعي للحرية، وحبها في الأخير للأخ الكبير المعادل الموضوعي للطاغية في صورة إله.
- يتضح أن اللغة وفق رؤية (أورويل) من أكثر الآليات أهمية، التي يمكنها أن تكون سلاح ذو حدين، فقد تكون مصدر من مصادر العبودية والطغيان، كما يمكن أن تكون مظهر من مظاهر الحرية والوعي.
- يمكننا القول أن الدعاية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984، وفق رؤية (أورويل) يمكن أن تدرج ضمن الثقافة الإعلامية السوداء، التي تعمل على صناعة الأنظمة الشمولية، وخلق الطغاة، وفق أساليب تظليلية مدروسة، تهدف إلى التحكم في عقول الجماهير، ونشر الوعي الزائف داخل الشعوب المقهورة.
- كما أثبت الروائيين أن الدعاية في حالة قيام نظام دكتاتوري تعتمد على آليات مختلفة، غير الآليات التي تعتمد عليها وصول النظام إلى السلطة، فالأولى تعتمد على الصدق في صناعة المحتوى، والترويج له، بغية جمع الجمهور كما رأينا في بداية رواية مزرعة الحيوان، أما الثانية فتعتمد على الكذب والتظليل وترويج كل ما هو يضعف وعي الجماهير، ويجعلهم أكثر انقياداً، كما رأينا في رواية 1984.
- صور (أورويل) المجتمع على أنه عبارة عن تجمعات عديمة الأهمية، وبدون جذور، وخالية من كل ثقافة، فهي تجمعات متفرقة، ومتناحرة فيما بينها، قابلة لإعادة الهيكلة والبناء، كما أنها قابلة لتفكيك، يغلب عليها اللامبالاة في الشؤون السياسية، مواءمة أو محايدة غير رافضة، فيحين يجمعهم شيء الكتلة نفسها، وطبقة ذاتها.
- تجلت ملامح الديكتاتورية الشمولية وفق رؤيته في الروائيين في:
 - نقده اللاذع للأنظمة الشيوعية والرأسمالية، التي سادت في أوروبا، كما استشراف مستقبل الأنظمة أكثر استبداد وقوة، إذا ما ظل الإنسان يبحث عن طموحاته خارج ذاته، ويسعى خلف السياسة والسياسيين من أجل الأمل في مستقبل أفضل.
 - توصلنا أيضاً من خلال الفصل الأول أن:
 - الشخصية الروائية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984، لها أبعاد سياسية في كل جوانبها التاريخية والدينية والاجتماعية والأدبية، غير أنها تختلف من حيث التركيبية في كل رواية.

- في رواية مزرعة الحيوان اعتمد الروائي على شخوص من عالم الحيوان، شكلت أفنعة شفافة تظهر خلفها شخوصا سياسية حقيقية مثلت تاريخ الاتحاد السوفياتي بعد انتشار الفكر الشيوعي وتسلب النظام الستاليني على رقاب الشعوب.
- في هذا الفصل توضحت رؤية الكاتب السياسية لهذه الشخصيات بعدما استقاها من التاريخ، وحولها إلى شخوص ورقية، بغية مساءلتها، كاشفا من خلالها تلك الفجوات الكبيرة التي أسقطت الماركسية في حبال الديكتاتورية.
- وفق رؤية (أورويل) السياسية فإن العلاقة بين الإنسان والاستبداد نفسية متجددة في تاريخ الديكتاتورية، ففكرة المساواة وإزالة الطبقة التي نادت بها الشيوعية لا يمكن تطبيقها بشكل تام لأن السلطة الشيوعية تشكل في حد ذاتها طبقة فوقية، في حين تشكل الطبقة البروليتارية طبقة سفلى، وبالتالي يكون هناك طغيان.
- وبالنظر إلى تطور شخصية نابليون من بطل ثوري إلى طاغية في صورة ذئب، يكشف (أورويل) دور الجانب النفسي للإنسان وقابليته للتسلط والتجبر.
- أما في رواية 1984 فقد رسم شخصيات ورقية لها بعد متخيل، إذ مثلت هذه الشخوص رؤيته المستقبلية للديكتاتورية الشمولية التي أنتجت الأنظمة الفاشية والنازية والشيوعية في تلك المرحلة، فالأخ الكبير في صورة إله ما هو إلا امتداد لتطور شخصية (نابليون) في رواية مزرعة الحيوان الذي صورته الكاتب على شكل طاغية في صورة ذئب، يفتك بالأصدقاء والأهل والأصحاب من أجل السلطة المطلقة.
- كما كشفت الثقافة السياسية للكاتب من خلال الروايتين قدرة المؤلف في تحويل التاريخ السياسي إلى فن أدبي روائي واستقراء الماضي، واستشراف مستقبل الأنظمة السياسية التي عاصرها.
- توصلنا من خلال الفصل الثاني إلى أن:
 - تتبع (جورج أورويل) في رؤيته للأنظمة طبيعة النظام الاشتراكي، إذ اعتبره نظاما دكتاتوريا، إذ بنى ذلك وفق نظرة سياسية لتاريخ هذا النظام، فكانت مختلفة في الروايتين:
 - في رواية مزرعة الحيوان أظهر الروائي النقائص التي تكمن في النظام الاشتراكي إذ أشاد برؤية (كارل ماركس) التي نادت بتحرر الطبقة العاملة، غير أنه قدم تلك النقائص التي أغفلها (ماركس) عندما اعتمد على البشر في تحقيق رؤيته، فكشف بذلك طبيعة الطغيان الملازمة لكل بطل يقيم ثورة، ووفقا لهذه الرؤية التي استلهمها من قراءة هادفة للتاريخ (الروسي خاصة) عبر (أورويل) بطريقة تهكمية عن فشل النظام الاشتراكي وإمكانية تحوله إلى نظام استبدادي شمولي، وهذا عبر ما آلت إليه الحيوانات بعد استحواذ الخنازير على الحكم.

- في رواية 1984 كشف الكاتب عن رؤيته الاستشراافية لهذا النظام الشمولي (الاشتراكية، الفاشية، النازية...)، إذ رأى أن الشمولية التقليدية سوف تتطور عبر الزمن إلى شمولية متحورة تعتمد على قراءة علمية محكمة تخدم مصالح بقائها، فشخصية الأخ الكبير في الرواية ما هي إلا تطور لشخصية الخنزير (نابلون) من رواية مزرعة الحيوان، وفي نفس الوقت تمثل الوعي السياسي والنضج الذي وصل إليه الكاتب في رؤيته للعالم.

- الثقافة السياسية للروائي تظهر في قدرته على استشراف المستقبل، وفي قراءته الجادة للتاريخ السياسي للأنظمة التي عاصرها، إذ كشفت هذه الرؤية عن حالة الانحطاط الناتج من الفكر الشيوعي والخلل في فكرة المساواة التي أدت إلى الجماعية، والتي مكنت الأنظمة المستقبلية (نظام الأخ الكبير في رواية 1984) من جعل هذا المفهوم سلاحا في يدها.

- إن الشيء الصادم في الروائيتين هو قدرة كاتبهما على إظهار تلك التفاصيل البسيطة المادية والنفسية التي ساهمت في انتشار الشمولية، مثل دكتاتورية البروليتاريا التي رأى أنها المشروع الذي يجسد الرؤية الشمولية في العالم، وكذلك فكرة التطور العلمي والتكنولوجي وربطه بالقدرة الإنتاجية، هذه الفكرة التي جعلت من الشمولية تسموا إلى مستوى شمولية متحورة لها فلسفتها الخاصة تحدد بقاءها.

● توصلنا من خلال الفصل الثالث إلى أن:

- الثقافة السياسية عند جورج أورويل تظهر في فهمه العميق لأسباب فناء النظام الشيوعي، حيث صور المؤلف انحطاط الشيوعية في روسيا من خلال القضاء على مبادئ الحيوانية في مزرعة الحيوان، وكان ذلك عبر تقنية الاسترجاع فالزمن وفق رؤية الكاتب هو الذي أطاح بالحيوانية، إذ عمدت الخنازير إلى تشويه الحقائق عبر تهشيم الذاكرة الجماعية للحيوانات، وتزوير المبادئ التاريخية التي اتكأت عليها فأصبحت الحيوانات لا تعي عبر الزمن ماهية الحيوانية، وسقطت في براثن الاستعباد والاستغلال من جديد، وتحت ظلم وسلطة بني جلدتها من الخنازير.

- حسب رؤية الكاتب السياسية فإن تهشيم التاريخ وتغييره وتزييفه وفق ما يتمشى ورؤى الأنظمة هو ما يجعلها قادرة على الاستبداد والطغيان.

- في رواية 1984 فقد كانت رؤية (أورويل) السياسية مبنية على استشراف مستقبل الأنظمة الشمولية، وتحولها إلى أنظمة شمولية أكثر منهجية وعلمية وعملية، وذلك بسبب تطرقها إلى الماضي، وامتلاكها الحس التاريخي، وفهمها الدقيق لأسباب سقوط الأنظمة الديكتاتورية السابقة، (الاشتراكية والفاشية وما شاكلها)، ومن خلال هذا الفهم استطاعت الشمولية في رواية 1984 التلاعب بالماضي والتحكم في الحاضر، وهذا ما يؤدي وفق رؤية المؤلف إلى بقاء هذه الأنظمة بشكل طويل في المستقبل.

- من خلال تتبع المنظور الثقافي السياسي عنده في روايته يتضح أنه يرى أن التاريخ والتاريخ الحقيقي لماضي الشعوب هو ما يشكل حاضرها ومستقبلها ومن يتحكم في التاريخ هو من يملك السلطة المطلقة ويحدد مستقبل الشعوب.
- كما يتضح من خلال ذات الفصل أن مفهوم الحرية في نظره يرتبط بالعودة إلى الطبيعة، والتشبث بالموروث الثقافي والتاريخي الذي يحدد هوية الإنسان والأمم.
- توصلنا من خلال الفصل الرابع إلى أن:

- أساليب التحكم في الشعوب وفق رؤية (أورويل) السياسية تمحورت حول إعادة التفكير في طرق جديدة تجعل الأنظمة الشمولية قادرة على البقاء في السلطة لمدة أطول، بل تصبح خالدة في أعلى الهرم إلى الأبد، وقد كان ذلك من خلال البحث والتدقيق في بعض المفاهيم وخلق أساليب حديثة تجعل الشعوب خاضعة لأنظمتها، وتمحورت كم يلي:
- ضرورة بعث مفهوم جديد للسلطة، كما حدث في رواية 1984 إذ أصبحت السلطة فكرة مطلقة لا بد من الجماهير أن تؤمن بها وهذه الفكرة صُورت في شخصية الأخ الكبير التي ارتدت جبة القداسة والخلود، وكان أعضاء الحزب الداخلي هم كهنته الذين يخدمون سلطانه الدائم والأبدي.
- التحكم الشامل في كل أساليب الدعاية والمراقبة والاهتمام التام بكل التفاصيل الدقيقة التي تخص كل الأفراد الذين ينتمون إلى الحزب.
- خلق مجتمع بدون انتماءات، ولا يملك موروثا ثقافيا وتاريخيا يحدد هويته وماهيته، لكنه ينساق بطريقة مباشرة إلى تنفيذ كل الأوامر التي يطلقها الحزب.
- تفكيك الأسرة من خلال زعزعة الروابط المتينة بين الزوجين والأولاد، وجعل العلاقة الزوجية شكلية، وعلاقة الأولاد بآبائهم علاقة تتسم بالحر.
- الاعتماد على الكبت العاطفي وحضر العلاقة الجنسية التي لا تخدم النظام السلطوي بما فيها العلاقة الحميمة بين الأزواج، إلا في إطار صناعة طفل من أجل الحزب.
- توحيد الزي الخاص بأعضاء الحزب الخارجي والداخلي وكل العاملين في قطاعات النظام الحاكم في إطار قمع الحريات والفكر الحر، توجه نحو الجماعية ونبذ الفردانية.
- هذه هي أهم النقاط المتوصل إليها من خلال بحثنا هذا، والذي نأمل أن يكون نقطة انطلاق جديدة لبحوث أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- 1- جورج أورويل، مزرعة الحيوان، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
 - 2- جورج أورويل، 1984، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2016.
- ثانياً: المراجع بالعربية:
- 3- إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
 - 4- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
 - 5- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2003.
 - 6- أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مذيولي، القاهرة، مصر، ط1، دت.
 - 7- إمام عبد الفتاح إمام، الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1994.
 - 8- بقلة حسن أحمد الغري، تقنيات السرد وآليات التشكيل الفني، دار عندار، الأردن، ط1، 2000.
 - 9- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.
 - 10- حسين سالم هنيدي، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث للدراسات في البنية السردية، دار حامد، عمان، الأردن، ط1، 2014.
 - 11- حسن سيد سلمان، المدخل إلى العلوم السياسية، جامعة إفريقيا العالمية للطبع والنشر، الخرطوم، 2016.
 - 12- حسين الصديق، الإنسان والسلطة، إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2011.
 - 13- حميد الحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.
 - 14- حورية توفيق مجاهد، التكرار السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2016.
 - 15- سعيد محمد رحيم، أنطقة المحرم، المثقف وشبكة علاقات السلطة، دار صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2013.
 - 16- سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة، والسلطة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
 - 17- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبئير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997.
 - 18- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2010.
 - 19- صالح جواد الكاظم، علي غالب العاني، الأنظمة السياسية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1990، 1991.

- 20- طه وادي، الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، مصر، ط 1 ، 1969.
- 21- عالية محمود صالح، البناء السردى في روايات إلياس خوري، دار الأزمنة، عمان، ط1، 2005.
- 22- عايدة فاضل الشعراوي، الإعلان والعلاقات العامة، دراسة مقارنة، الدار الجامعية، بيروت، 2006.
- 23- عبد الرحمان منيف، بين الثقافة والسياسة، المركز الثقافي، العربي، ط1، (د ب)، 1998.
- 24- عبد العظيم سلطاني، خطاب الآخر، المركز العالمي للدراسات، الكتاب الأخضر، ليبيا، دط، 2005، ص52.
- 25- عبد الفتاح محمد العقيلي، الثقافة والنقد الثقافي، كلية الآداب، جامعة ألمانيا، (دب)، (د ت).
- 26- عبد الله حبيب التهمي، سحر كاضم، حمزة الشجيري، صيرورة النقد الثقافي عند الغرب، كلية الآداب، جامعة بابل، (دب)، (د ت).
- 27- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1990.
- 28- عدنان السيد حسين، تطور الفكر السياسي، دار مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002، بيروت، لبنان.
- 29- عمر أوقان، النص والسلطة، دار إفريقيا الشرق، (دب)، ط2، 1994.
- 30- فريد حاتم الشحف، الدعاية والتضليل الإعلامي، الأساليب والطرق، منشورات دار علاء الدين، سوريا، ط1، 2015.
- 31- فيصل الأحمر، دراسات في الآداب الأجنبية، دار الألمعية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2013.
- 32- فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية، دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف، دار مجدولاي، عمان، الأردن، ط1، 2010.
- 33- مجموعة مؤلفين، كارل ماركس سيرة مختصة وعرض للماركسية، منشورات دار الصمد، تونس، دت، ص12.
- 34- مجموعة مؤلفين، مبادئ العلوم السياسية، (د.د)، القاهرة، مصر، (دط)، 1992.
- 35- محسن حسين سير، الإعلام والاتصال بال جماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، ط3، دت.
- 36- محمد بوعزة، تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- 37- محمد عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

- 38- محمد عبد المطلب، القراءة الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2013.
- 39- محمد عزة اللحام وآخرون، الدعاية والحرب النفسية، دار الإعصار العلمي، الأردن، ط1، 2015.
- 40- محمد علي تحمر، أصول الإجماع السياسي، السياسة والمجتمع في العالم الثالث، دار المعرفة، الجامعية، القاهرة، (دط)، (دت).
- 41- محمد فايز عيدا سعيد، قضايا علم السياسة، دار الطبيعة، بيروت، لبنان، ط1، 2019.
- 42- محمد معتصم، دراسة في الرواية العربية المعاصرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2014.
- 43- محمد لافي اللويش، جدل الجمالي و الفكري، قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغدامي، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- 44- محمود جودت ناصر، الدعاية والإعلان والعلاقات العامة، دار الفجر، بغداد، ط1، 2013.
- 45- مصطفى النشار، فلسفة التاريخ (نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توبيني)، نيويورك للنشر والتوزيع، دب، ط1، 2017.
- 46- مها القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- 47- نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006.
- 48- الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
- 49- وجدي حمدي، ثورة دائمة أم ثورة على مراحل، دار الشمس، العراق، دب، 1989.
- 50- اليامين بن تومي، مرجعيات القراءة والتأويل عند نصر حامد أبو زيد، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2011.
- 51- يوسف حميدوش، منابع الثقافة السياسية في الخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، شركة دار الأمة، (دب)، ط1، 2013.
- 52- يوسف عليّات، النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.
- ثالثا: المراجع المترجمة:**
- 53- أ. مندلاو، الزمن والرواية، تر إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- 54- أرلوند كثيو، مدخل إلى الرواية الإنجليزية، تر هاني الراهب، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، سوريا، (دط)، (دت)، ج1.

- 55- أندريه لالاند، موسوعة لالاند للفلسفة، معجم المصطلحات الفلسفية والنقدية، تر أحمد خليل، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، مج3، دط، دت.
- 56- إيم كونرارا، ليون تروتسكي، النظرية والممارسة، تر أشرف عمر، مركز الدراسات الاشتراكية، مصر، دط، دت.
- 57- بابت وشار، تاريخ الأفكار السياسية، تر ناجي الدراوشة، دار التكوين، ط1، دمشق سوريا، 2010.
- 58- ت. أليوت، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، تر شكري عياد، دراسات في الأدب والثقافة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2009.
- 59- جان ريكاردو، قضايا الرواية الحديثة، تر صباح جهيم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، سوريا، دط، 1977.
- 60- جورج أرويل، لماذا أكتب؟، تر علي مدن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2013.
- 61- جورج بوليتزر وآخرون، أصول الفلسفة الماركسية، تر شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، دت.
- 62- حنة إردنت، أسس التوتاليتاريا، تر أنطون أبو زيد، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط2، 2016.
- 63- ديفيد السيد، الخيال العلمي، تر نيفين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة، ط1، 2016.
- 64- غوستاف لويون، سيكولوجية الجماهير، تر، سنام صالح، دار الساقى، بيروت، ط1، 1991.
- 65- فاتح عبد الجبار، التوتاليتاريا، تر حسيني زينة، دراسات عراقية، بغداد، ط1، 2008، ص06.
- 66- كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، تر محمد رجا الديدني، شركة المكتبات الكويتية، ط1، 1980، ص111.
- 67- كيت بوك، آن ماري توماس، المرجع في رواية الخيال العلمي، تر عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.
- 68- لاحنر فوج، الانتخاب الثقافي، تر شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2005.
- 69- مايكل موسون وآخرون، علم الاجتماع السياسي، تر محمد غرين صيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- رابعاً: القواميس والمعاجم والموسوعات:
- 70- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج1، ط2، 2008.
- 71- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، مج3، 1994.

- 72- أحمد الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد، دار الفكر، دب، ج2، 1979
- 73- جيرالد برنس، المصطلح السردي، معجم مصطلحات، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- 74- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، مج3، 1999.
- 75- ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2011.
- خامسا: المجالات والمؤتمرات:**
- 76- بوعبد الله محمد، تجليات البعد الاستراتيجي بالمفهوم الهبرمايي في الأعمال الإجرامية للحركات الشمولية التوتاليتارية، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ع8، 2016.
- 77- رشيدة العام، الحرية الفردية في المذهب الاشتراكي والاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، ع10، 2006.
- 78- سليم بوسنقيعة، الثقافة السياسية ودور الإعلام في تنشئتها، مجلة الباحث الاجتماعي، دب، ع11، 2015.
- 79- صلاح رزق، إشكاليات المنهج في النقد الثقافي، تح عز الدين إسماعيل، النقد الثقافي والدراسات الثقافية، المؤتمر الثاني للنقد الأدبي، المنار العربي، القاهرة، مصر، 2006.
- 80- فاضل الخطيب، الديكتاتور والديكتاتورية قديما وحديثا، الحوار المتمدن، ع1902، 2007.
- 81- الفرفار العياشي، الفردانية المنهجية وتقويض أسس التصورات الشمولية، الميلية للدراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، ع06، مج03، 2020.
- 82- ماثيو غديير، مجلة الآداب العالمية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ع140، 2009.
- 83- مية البدوي محمد، مفهوم الشمولية المتحولة في فلسفة شيلدون وولين، مجلة راوي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، دب، دت.
- 84- Deng Yun fei the tragedy of winston smith-A natura listic perspective of nineteen eighty four, the school of foreign languages of west china normal university.
- سادسا: المذكرات والرسائل الجامعية:**
- 85- علي منصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية، أطروحة دكتوراه في الأدب الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2007، 2008.
- 86- وسام محمد جميل صقر، الثقافة السياسية وانعكاساتها على مفهوم المواطن لدى الشباب الجامعي، أطروحة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الأزهر، غزة، 2010.

سابعاً: المواقع الالكترونية:

- 87- جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ص 01.
<https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D9%80%D9%80%D9%80%D9%80%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA-333>
- 88- الرمز في مزرعة الحيوان، مؤسسة مؤمنون بلا حدود 2020/17.24/12:08
<https://www.mominoun.com/articles/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%B2%D8%B1%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA-333>
- 89- الباحثون السوريون، الاشتراكية العلمية (الماركسية). 25: 14 25/03/2020
<https://www.syr-res.com/article/6997.html>

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ - هـ

مدخل: ضبط المفاهيم..... 8- 25

1- مفهوم الثقافة (culture)..... 10

1-1 لغة (مقاربة لغوية)..... 10

1-2 اصطلاحا (مقاربة اصطلاحية)..... 10

2- مفهوم السياسة (politiqué)..... 13

3- الثقافة السياسية..... 16

4- الرواية السياسية..... 19

4-1 أسباب استحضار الرواية السياسية..... 21

4-2 مميزات الرواية السياسية..... 22

5- النقد الثقافي..... 22

الفصل الأول: الشخصية الروائية والمرجعية السياسية عند جورج أورويل..... 26- 77

1- مفهوم الشخصية..... 27

1-1- الشخصية لغة..... 27

1-2- الشخصية اصطلاحا..... 28

2- الثقافة السياسية وتجليها في شخصيات الرواية (مزرعة الحيوان ورواية 1984)..... 29

2-1- المرجع الشخوصي رواية مزرعة الحيوان..... 29

2-1-1- شخصيات تاريخية سياسية..... 30

2-1-2- شخصيات فنية سياسية..... 38

2-1-3- شخصيات أدبية سياسية..... 40

2-2- المرجع الشخوصي في رواية 1984..... 42

- 2-2-1- شخصيات أسطورية سياسية. 42.....
- 2-2-2- شخصيات اجتماعية سياسية. 52.....
- 2-2-3- شخصيات أدبية سياسية. 71.....

الفصل الثاني: رؤية جورج أورويل للأنظمة السياسية في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984.....115-78

- 1- رؤية أورويل للنظام الديكتاتوري (النظام الماركسي). 79.....
- 1-1- أصول الفلسفة الماركسية. 80.....
- 1-2- الفلسفة الاشتراكية. 81.....
- 1-3- فلسفة العمال أو الفلسفة الثورية. 82.....
- 2- مفهوم النظام الديكتاتوري. 85.....
- 2-1- مرحلة الديكتاتورية الإيجابية. 86.....
- 2-2- مرحلة الديكتاتورية السلبية. 88.....
- 2-3- ديكتاتورية البروليتاريا عند كارل ماركس. 90.....
- 3- ديكتاتورية البروليتاريا في مزرعة الحيوان. 93.....
- 3-1- ديكتاتورية البروليتاريا وفق الفلسفة الماركسية في مزرعة الحيوان. 93.....
- 3-2- ديكتاتورية البروليتاريا كحكم استبدادي في مزرعة الحيوان. 99.....
- 4- رؤية أورويل للنظام الشمولي. 106.....
- 4-1- مفهوم النظام الشمولي. 106.....
- 4-2- النظام الشمولي في رواية 1984. 108..
- ## الفصل الثالث: الزمكان والحس السياسي عند جورج أورويل. 116-151
- 1- الزمن بين المفهوم والتشكيل. 117.....
- 1-1- مفهوم الزمن لغة. 117.....
- 1-2- مفهوم الزمن اصطلاحاً. 118.....

2-الزمن السياسي في فكر جورج أورويل.....	120
2-1-الزمن السياسي في مزرعة الحيوان.....	121
2-2-الزمن السياسي في رواية 1984.....	134
➤ تهشيم الذاكرة والتاريخ.....	134
➤ التراكم المعرفي ونمو الحس التاريخي.....	136
3-علاقة الحرية بالمكان في رواية 1984.....	144
3-1-الطبيعة ومناهضة الطغيان.....	144
3-2-الغرفة كمكان معادل للحرية والخصوصية.....	146
الفصل الرابع: آليات التحكم الشمولي في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984 152-193	
1-السلطة في الفكر الشمولي عند جورج أورويل.....	153
2-التحكم في التفكير عبر اللغة.....	159
3-الدعاية في فكر جورج أورويل.....	162
3-1- مفهوم الدعاية.....	163
3-2-الدعاية السياسية.....	165
3-3-الدعاية في رواية مزرعة الحيوان.....	167
3-3-1-الدعاية كألية تحررية في رواية مزرعة الحيوان.....	167
3-3-2-الدعاية كألية شمولية في رواية مزرعة الحيوان.....	171
3-3-3-الدعاية الشمولية في رواية 1984.....	174
4-مجتمع دون طبقات.....	179
5-آلية الجنس في النظام الشمولي.....	184
6-بناء الأسرة في النظام الشمولي.....	191
خاتمة.....	194
قائمة المصادر والمراجع.....	202
فهرس الموضوعات.....	211

ملخص:

تبحث هذه الدراسة الموسومة بالثقافة السياسية عند جورج أورويل في رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984 في تمثيلات الرؤى السياسية للكاتب من خلال الروايتين، كما تميّط هذه الدراسة اللجام عن حقيقة العلاقة التي تربط الإنسان بالإنسان، والسلطة بالمجتمع، والتحول في علاقة العلم بالسلطة، وحقيقة الماضي والتاريخ في تحديد حاضر ومستقبل الشعوب، وكل ذلك من خلال قراءة الكاتب لتاريخ الأنظمة السياسية التي عاصرها، واستكناه مواطن الهشاشة الكامنة فيها، وإظهار قابليتها للتحويل إلى أنظمة استبدادية شمولية.

يضع الروائي الأنظمة السياسية الاشتراكية والرأسمالية في غربال النقد، ويصدم العالم عبر رواية مزرعة الحيوان ورواية 1984، من خلال كشف أساليب الدعاية وآليات التحكم في الرأي العام وتضليله، وكل ذلك بهدف الوصول إلى السلطة المطلقة فقط.

من جهة أخرى تبرز هذه الدراسة تلك الخطوط الرفيعة المسكوت عنها في النص الروائي، والتي تظهر المشارب السياسية التي غدت رؤية الكاتب للأنظمة، وفي نفس الوقت تقدم الدراسة فلسفة الكاتب الخاصة التي تدعو الشعوب إلى ضرورة الالتفاف حول موروثها الثقافي والتاريخي والاجتماعي والديني، والابتعاد عن الأحزاب والخطابات السياسية المنمقة والمظلمة.

Summary:

This study tagged with political culture by George Orwell examines the animal farm novel and the 1984 novel in the representations of the writer's political visions through both novels. This study also highlights the reality of man's relationship with man, power with society, the transformation of science's relationship with power, the truth of the past and history in determining the present and future of peoples, all through

the reading by George Orwell of the history of the political systems he contemplated, his enlightened vulnerabilities, and its potential to transform into totalitarian authoritarian regimes.

Novelist George Orwell puts socialist and capitalist political systems in the sieve of criticism, shocking the world through the animal farm novel and the 1984 novel, by exposing propaganda methods and mechanisms for controlling and misleading public opinion, all with the aim of reaching absolute power and only.

On the other hand, this study highlights those high lines of silence in the fiction text, which show the political stripes that have become the writer's vision of systems, while at the same time presenting the writer's own philosophy that calls on peoples to circumvent their cultural, historical and social heritage.